المسجد الحرام
في قلب الملك عبد العزيز

الشريف عبدالله بن منسي العبدلي

المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز
الشريف عبد الله منسي العبدلي
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز

الشريف
عبد الله منسي العبدلي

ح الشريف عبد الله منسي العبدلي ، ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبدلي ، الشريف عبد الله منسي
المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز - مكة المكرمة .
٢٥٠ صفحه ؛ ٢٥ × ٥ر١٧ سم .
ردمك : ١ - ٦٦٧ - ٣٥ - ٩٩٦٠
١ - المسجد الحرام - تاريخ ٢ - السعودية - تاريخ أ - العنوان
ديوي ٢١٥.١ ١٩/٤٥٦١

رقم الإيداع : ١٩/٤٥٦١
ردمك : ١ - ٦٦٧ - ٣٥ - ٩٩٦٠

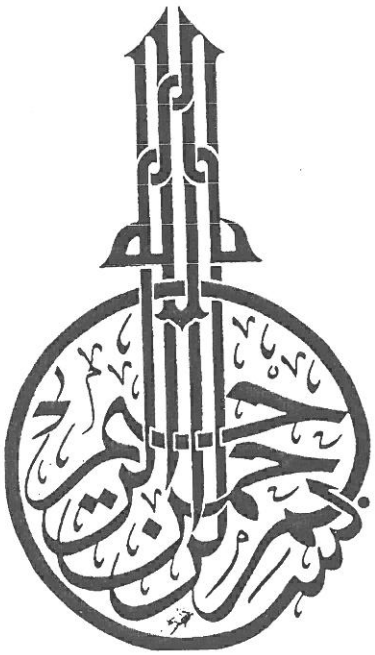
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد .

إن المناسبة الغالية والعزيزة على القلب مناسبة مرور مائة عام على فتح الرياض ، مناسبة جديرة بالإعتناء والاحتفاء، وكما هو الحال في المناسبات التاريخية التي لها صدى ونتج عنها نفع للأمة يسارع الفضلاء ويسعى الأدباء ويجتهد الحكماء للاحتفاء بها وإظهار محاسنها وتذكير الجيل بها ليستمد منها قوته وثباته على المبدأ . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١)

وهذه المناسبة هي مناسبة عظيمة نستوحي منها دروس كثيرة ونتج عنها بفضل الله تعالى خير عميم وفضل جسيم توحدت البلاد وتآخت العباد تحت شعار التوحيد .

تجلت فيها عبقرية عبد العزيز ، وعلو همته ، وسعة أفقه ، وصبره وتجلده ، وتضحيته من أجل أمته ، فأقر الله عينيه وأجرى على يديه توحيد أمة وبناء دولة مهمه .

---

(١) سورة يونس - آية : ٥٨ .

توحدت القبائل وتآلفت واندمجت في بعضها مكونة ذاتاً واحدة وانصرفت همة الدولة الفتية ، لبث روح العلم والثقافة بين الخاصة والعامة ، وأرست قواعد الأمن وسارت بالبلاد نحو العلا في كل المجالات ، وما هذه النهضات العمرانية والزراعية والصناعية والاهتمام بالمجالات الثقافية والصحية إلا أصدق شاهد وأقوى دليل على ما قدمته الدولة للمواطن والوافد والمقيم .

هذه المناسبة بعثت في داخلي الهمة واستحثت العزم فجردتُ القلم من غمده، لأسيل دم حبره على بياض صفحات ورقه تقرباً وزُلفى ، فعادة ما تسفك دماء ما أحل من بهيمة الأنعام شكراً للمولى جل وعلا على عظيم الإنعام في كل مناسبة لها شأن .

وهذه مناسبة لا أجد ما أقدمه ، سوى مداد قلمي على هذه الصفحات اسطره. وبما أنني ابن مكة ، فيها ولدت وعلى ثراها نشأت . هي موطني وموطن آبائي واجدادي وددت التحدث عن عبد العزيز ومكة في ذكراه، ولكن لأمر أراده الله ، انصرف القلم إلى رحاب الحرم ، وانساب يتحدث عن المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز، فكان ما أراد الله وقدّر .

وها هي أسطر تتحدث عن مآثر عبد العزيز وبنيه خدمة لوفود الحرم وعمارة لمبانيه، نشير فيها بإيجاز إلى تواريخ الإنجاز لما تم من تنفيذ مشاريع جبارة، غاية في الإعجاز، ثم أردفت ذلك بأسطر مختصرة عن الإشراف الديني على المسجد الحرام منذ عهد الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز وترجمة ذاتية لبعض من ولاهم ولي الأمر هذه المهمة .

وختمت بحثي هذا بترجمة ذاتية لسير بعض من تولوا إمامة وخطابة المسجد الحرام منذ عهد الملك عبد العزيز ، ولكن عند وصولي لهذا الفصل وجدت ان من تولوا الإمامة والخطابة في المسجد الحرام منذ عهد الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز هم على ثلاث فئات ، فئة قضت نحبها ، وسارت إلى ربها ، وفئة تولت الإمامة والخطابة فترة من الزمن ، وفئة مازالت تؤم المصلين .

فبدأت بالفئة الأولى التي سارت إلى عفو وغفران وجنات ورضوان ، وجمعت تراجمهم من المتفرقات وضمنتها هذه الصفحات .

وارجأت الترجمة لمن أمَّ وخطب فترة من الزمن ، والأئمة الحاليين إلى الجزء الثاني والذي سيصدر قريباً إن شاء الله تخلل هذه الفصول بعض الصفحات عن المسجد الحرام في قلوب المحبين وما له من الخصائص وما فيه من الآثار .

فإليكم جميعاً هذه الأسطر، تزهو وتفخر، لأنها عن أشرف مكان وأطهر .

الشريف عبد الله منسي العبدلي
مكة المكرمة

توطئـــة

(عبد العزيز في قلوب المواطنين وأعين الحجاج)

وبما أن الحديث عن المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز فلابد لنا أن نعرف بعض الشيء عن عبد العزيز هذا العبقري الفذ .

إن الملك عبد العزيز - يرحمه الله - نموذج فذ ، قل نظيره ، أكرم ووفق ، أكرم بمحبة الناس له وتفانيهم في خدمته ، ووفق لاستقطابهم وجمع قلوبهم حوله بما أوتي من حُسن خلق وجزيل كرم ، وهذه منحة منحها الله تعالى إياه وخصه بها إذ التفت حوله القلوب واجتمعت على محبته ، وتفانت في خدمته والاخلاص في مودته وهو بادلهم نفس الشعور ، بل هو الذي بدأهم وزاد في ودهم .

عن بعض مشاعر المواطنين نحو هذا المليك المحبوب ، من سكنت محبته سويداء القلوب نستعرض وإياكم بعض فقرات حفل أهالي مكة المكرمة الذي أقيم لجلالته رحمه الله بمناسبة سفره من مكة المكرمة إلى الرياض ليلة الأثنين ١٥ صفر ١٣٥٦هـ نورد بعض الخطابات والقصائد[١] التي القيت بين يدي جلالته تتجلى فيها مدى المحبة العميقة والمودة الوثيقة التي تربط بين الراعي والرعية وفي الحقيقة هذا لسان حال كل المواطنين في شرق المملكة وغربها شمالها وجنوبها ، وإنما اخترنا حفل مكة وأهلها لأن حديثنا في أساسه يتحدث عن المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز فكان الاستشهاد بأهل مكة آكد وأوجب .

---

(١) جريدة أم القرى يوم الجمعة ١٩/صفر/١٣٥٦هـ

مقتطفات من خطاب فضيلة مدير المعارف العام السيد محمد طاهر الدباغ :

(الحمد لله الذي لا معبود سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والآه ... ياصاحب الجلالة :

يقول الله تعالى : { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها }

وإن أولى النعم وأولاها بالشكر هي نعمة الله علينا بالإسلام ، وإن ثاني هذه النعم وأجدرها بالشكر هي ما مَنّ الله به على أهل هذا البلد الأمين من ولايتكم التي كانت ولله الحمد والمنه مصدرا من مصادر الخير العميم والبركة الفياضة على سكانها ، فلقد وفقكم الله وله الحمد والمنة إلى تأمين سُبله ، وإقامة العدل بين أفراده ، وتسهيل أسباب السعادة والهناء لأبنائه فكان والحمد لله كعبة القاصدين وازدحمت أرجاؤه بقاصديه من الحجاج والزوار وانتشر الخير وعمت البركة ، وكل ذلك بفضل الله تعالى ثم بِيُمْن جلالتكم وجهود حكومتكم السنيه.

إن من أول واجب شكر هذه النعمة أن تفيض القلوب بالإخلاص إليكم والحب الخالص والطاعة الشاملة لجلالتكم والابتهال إليه جلت قدرته أن يطيل في عمر جلالتكم حتى تحقق آمالكم الكبيرة لهذا الشعب السعيد بكم .

ياصاحب الجلالة : إن سكان هذا البلد الأمين الذي يتشرف سُراته بالمثول بين يدي جلالتكم ليعجزون عن أداء شكر ما تولونه جلالتكم إياهم من لطف وعناية ورعاية لم يزالوا مشمولين بها حتى مَلكْتُم قلوبهم بإحسانكم واسترقتم أجسامهم بفضلكم واستعبدتم مشاعرهم بلطفكم ، وأنى للألفاظ أن تفي شكر هذه النعم ولا يُقدم شيء بالتعبير عن هذا الشكر وعن الاعتراف بهذه المِنَنْ إلا

ما ترونه مرتسماً على وجوههم من بِشر وانشراح وما يحمله الأثير من قلوبهم إلى قلب جلالتكم الطاهر من خفق للاخلاص والغبطة والمحبة .

إن الله جلت قدرته وقد اختاركم لقيادة العرب وزعامتها قد أودع فيكم أسمى صفات القائد الزعيم فلا بدع إذا تفانى شعبكم من أقصى البلاد شمالاً إلى أدناها جنوباً ومن أولها شرقاً إلى آخرها غرباً في خدمة جلالتكم والاخلاص فإن هذا الحنان الأبوي وهذه الرعاية الأخوية وهذه الأخلاق العالية وهذه الصفات الغالية لا تُنْتِج إلا هذه الطاعة وهذه المحبة وهذا الإخلاص وهذا التفاني في سبيل ما ترغبونه .

إنكم يامولاي رمز الدين الصحيح والعروبة الخالصة والوطنية الصحيحة فلا والله تجدون من شعبكم إلا ما توجب هذه الرموز العالية من التفاف حول لوائكم وإخلاص لاعتابكم وود لشخصكم .) أهـ .

هكذا كان حُب الملك عبد العزيز لوطنه ومواطنيه ، وكذلك كانوا هُم تفانياً في الخدمة واخلاصاً في الحب والمودة عن شعور الأمة نحو القائد الرائد ، نستعرض هذه القصيدة العصماء التي أنشأها والقاها بين يدي جلالته إمام وخطيب المسجد الحرام فضيلة الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح في حفل أهالي مكة المكرمة سالف الذكر .

إني أحبك فليلمني اللّوم ... والحب في الله العظيم محتمُ
جاء الكتاب وسنة الهادي به ... من لم يذقه تَدينا فجهنم
حق علينا أن نطيعك مثلما ... أمر الإله وللأوامر نسلم
إن كان مدح الناس فيك لحاجة ... فمدائحي حُبٌ وقلبك يعلم

رحم الاله بك البـــلاد وأهلهـــا والخـوف فـيـهم سـائد ومـحكم
مـــا أنت إلا نعـــمـــة من ربنا مـا يكفـر النعـمـاء إلا مـجـرم
والمدح يورث في ســواك تكبــرا وأراه يـورثك الـتـي هي أقـــوم
حق علينا أن نخـصك بالدعـــاء إذ أن عِـــزُك عِـــزنا لا يفـصم
ولئن عــزمت على الرياض فكلنا بقلوبنا حـــولَ الركـــاب نسلم
والله يحـــفظكم ويرعـــاكم لنا ويديم طلعـتكم لنا ويُسلم . أهـ.

نعم إن حُب عبد العزيز في قلوب رعيته شيء فطري يرجون رضاء الله تعالى في السمع والطاعة له عن مدى حب الرعية للراعي نشنف السمع بهذه القصيدة الغراء التي تفتقت عنها قريحة شاعر جلالة الملك أديب الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي والقاها بين يدي جلالته في نفس الحفل :

أنجد أواتهم فأنت الشمس مطلعا والليل مُدَّركا والغيث منتجعا
أنّى تحِل فـالآءُ مُـقَـسـمـة وحيثما كنت كان الخير مجتمعا
إني ومن جـعل الدنيـا مـداولة وصير الخلق في أكفانها شيعا
لم أشدُ فيك لغير الله محتسباً زلفى نفاق ولا أنشدتها طمعا
ولا تخـيـرتُ ألفـاظي لأنثـرها دُراً لَديكِ ولا أنفـقـتـه سلعـا
لكنمـا هي قلبي فـيك أسكبـه من مضغة صلحت فاستمثلت قطعا
(عقيدة) قهرت نفسي ومابرحت تسمو بروحي شعاعا كلما اصطرعا
أبغي بها وجه من أرجو مثوبته يوم الحساب وحسبي منه ما صنعا
ياسـيـد الْعَـرَبِ الْعَـربَاءِ قـاطبـة وخير من صان دين الله فارتفعا

دعني أبثك شوق الشعب عن كثب ... قبل الفراق وهبني منك مُسْتَمعا
وأقبل فديتك عنهم ما وثقت به ... من المودة واخذل كل من خدعا
فشملنا اليوم (بالتوحيد) مجتمعٌ ... رغم الذي فيه شاء الكيد فانقمعا
وعهدنا لك (إيمان) ندين به ... سراً وجهراً وتصديقاً ومتبعا
وفي رضاك رضا الرحمن نطلبه ... ونبغض الغَّي والفحشاء والبدعا
ضمائر كصفاء الطل مشرقة ... تكاد تلمس فيها النصح والورعا
ولو نظمت لك الافلاك قافية ... ما كنت يوماً بما حُملت مضطلعا
أمدك الله بالتوفيق ما أئتلفت ... هذي النجوم وهذا البدر ما سطعا . أهـ

هذا حال المواطنين حُباً في عبد العزيز ، أما عبد العزيز في أعين الحجاج والمعتمرين من خاصة وعامة المؤمنين فيعبر عنه رأي الدكتور أحمد فريد رفاعي مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة بمصر الذي شَرفُ بالحج عام ١٣٥٦هـ مرافقا لركب الحج المصري .

ورد في جريدة أم القرى يوم الجمعة السادس من محرم لعام ١٣٥٦هـ ما يلي: نشرت مجلة الرابطة العربية التي تصدر في مصر حديثاً لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد فريد رفاعي بك مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة عن رأيه في حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وهذا خلاصة ما نشرته المجلة المذكورة :

قالت : (سألنا الدكتور عن الملك عبد العزيز آل سعود وعن معرفته به في مناسبة إختيار الدكتور عضواً في بعثة الشرف المرافقة ركب الحج هذا العام فقال: إن كنت تقصد معرفة آثاره ، والإيمان بمواهبه ، والتقدير لعبقريته ، أو

الإعجاب بإسلامه وورعه ، فإن جلالته ، طلاع الثنايا ، ومصدر إصلاح ومفخرة أخلاق ، وإمام معدّله ، وزعيم نُصفه ، وفصل حق ، ولسان صدق ، وملك بطولة، ومجمع حكمة، ومهبط أدب، ومورد تواضع ، ورمز ديمقراطية، وغرار شورى، ومثل تُقى ، وهدف رضى، وكعبة قُصّاد ، ومقْصِد رواد ، وندى كف، وخشوع طرف، وأمة في رجل، ورَجُل في أمة، وثروة قيادة، وكنز عبادة، وفخر كياسة، وتواضع رئاسة، وإني ككاتب مسلم درس الشخصيات البارزة ، وأخرج منها كتابه عن إبي بكر وعمر ودرس الخلفاء الراشدين ، والزعماء المصلحين في كتابه عصر المأمون، بل كمؤلف لحجة الاسلام الغزالي أسمح لنفسي بأن أقول إني أتصوره وأعرفه وأومن بأن عباراتي ولغتي وما تراه من كثرة أعماله لم أفه حقه[1] . أهـ .

وبعد.. هذا هو عبد العزيز في قلوب مواطنيه وأعين محبيه ، ولو طاوعت قلمي لانساب في سيره يحث الخُطى يجمع من هنا وهناك فأرض سيرته خصبة ترتع في سوحها الاقلام ولكن في هذا القدر كفاية فما قصدت إلا الإشارة دون الإفاضة .

ونختم بأسطر من محاضرة لأحد رجال عبد العزيز القاها في نادي مكة الثقافي بعنوان جوانب من حياة الملك عبد العزيز للشيخ سعد بن عبد العزيز الرويشد .

يقول : (ولد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود في مدينة الرياض عام ١٢٩٧هـ .

ولقد أودع الله في شخصية عبد العزيز منذ حداثة سنه الذكاء والفطنة وقوة

(١) جريدة أم القرى يوم الجمعة ١٣٥٦/١/٦هـ .

الإرادة والنظرة البعيدة والتطلع إلى المجد بالإضافة إلى ما لديه من استعداد فطري في كل ما يفكر فيه أو يقرؤه أو يسمعه من غيره وبفضل الله سبحانه وتعالى تم له فتح الرياض في فجر اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ وسنه آنذاك إثنتان وعشرون سنة يقول الشاعر الكبير محمد بن عبد الله بن عيثمين في إحدى قصائده التي قدمها لجلالته :

سما إلى المجد لم تقطع تمائمه ... بصدق عزم فتىً في رأي مكتهل
عبد العزيز الذي عاد الزمانُ فتىً ... في وقته بعد قيد الشيب والقزلِ
لم يطلب الملك إرثاً بل سعى وسطا ... حتى حواه بعزم الفاتك البطلِ
لكن لآبائه في الملك منقبة ... أضحوا بها غُرةً في جبهة الدُولِ. أهـ

وبعد كفاح عظيم أثمر عن إنجاز كبير ، وبعد تاريخ حافل بجلائل الأعمال مات البطل الملك عبد العزيز كما يموت الأبطال الأحرار وذلك في اليوم الثاني من ربيع الأول من سنة ١٣٧٣هـ بعد أن أقر الله عينيه بتوحيد الجزيرة تحت راية لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله إخوة متحابين : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (١) .

(١) سورة الحج - آية : ٢٤ .

تمهيد

آل سعود الميامين في خدمة هذا البيت الأمين

إن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بذل قصارى جهده في خدمة هذا الحرم وأهله ووفوده وتبعه على نفس النهج أبناؤه البررة فكانوا مثالاً في تقديم كل ما في وسعهم خدمة لهذا الحرم وأهله ووفوده ، فيما يلي مقتطفات من كلام المليك وبنيه تتجلى في طياتها حقيقة شعورهم نحو هذا الحرم وأهله ووفوده.

يقول الملك عبد العزيز يرحمه الله : (إننا نُرحب ونبتهج بقدوم وفود حجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة ١٣٤٣هـ ونتكفل بحول الله بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وتسهيل أمر سفرهم إلى مكة المكرمة)[١] .

هذا قوله في بداية حكمه وفعلاً أوفى بما وعد وجاهد واجتهد ، قام رحمه الله بتوجيه المسئولين بمضاعفة الجهد في تقديم كل ما في الوسع من الخدمة للحرم ووفوده من الحجاج والمعتمرين وأمر بترميم وتعمير المسجد الحرام وأنشأ مدينة للحجاج في جدة لإستقبال الحجاج وتوديعهم وحَسّن الطرق ووسائل المواصلات وطور الرعاية الصحية وأنشأ مديرية عامة للحج [٢] .

ومما أكرم الله تعالى به عبده عبد العزيز آل سعود الصدق والإخلاص في خدمة الحجاج والمعتمرين ، فمنذ إستيلائه على الحجاز وهو يسعى جاهداً في خدمة هذا

(١) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز - المجلد الأول ص ٣٢٩ .
(٢) قصة التوسعة الكبرى - حامد عباس . الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

الحرم المكي ووفوده من الحجاج والمعتمرين وكان حلمه الأكبر أن يرفع عن كاهل زوار هذا الحرم المقدس من عامة المسلمين حجاجاً ومعتمرين تلك الرسوم التي كانت حِملاً كبيراً ولكنه مضطر إليه فهي من مورثات الماضي البعيد ولا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة وسرعة وفي عام ١٣٧١هـ أصدر أمره الملكي الكريم القاضي بقراره الشجاع وخطوته الجرئية برفع رسوم الحج عن الحجاج وإلغائها : فتبلغ وزير ماليته الشيخ عبد الله السليمان هذا الأمر برقياً عن طريق الشيخ يوسف ياسين فأذهله ما تلقى وجاء مسرعاً إلى جلالته يقول له : ياطويل العمر : ثلاثون مليون ريال من أين أعوضها للميزانية ؟ فأجابه رحمه الله : دبر نفسك[١] .

وعلى نفس النهج سار بنيه خدمة للحرم وعمارة لمبانيه واعتزازاً أكيداً بشرف خدمة هذه الرحاب والعمل بالشريعة والكتاب .

فمع أول الملوك بعد عبد العزيز جلالة الملك سعود وهذه الكلمة التي تبرهن غاية البرهان على أن آل سعود انما هم في خدمة السُنة والقرآن .

في جلسة مجلس الوزراء بتاريخ ٩ شوال ١٣٨١هـ يوصي وزرائه بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على رسوله ، ورضوان الله على صحابته والسلف الصالحين .

لقد وقع اختياري عليكم لتقلد مقاليد الأمور في هذه الدولة ، ولتكونوا عوناً لي في خدمة هذا الوطن ، نسير به السير القويم ، الذي يحفظ له دينه أولاً ،

(١) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز . المجلد الرابع ص ١٤١٩

وينظم أموره المعيشية بكل ما نملك من وسائل وقوى وجهد ، وأدعو الله بقلب مخلص أن يحقق للأمة من جهودنا جميعا ما تحتاج إليه لسعادتها في دنياها وآخرتها .

وفي معرض حديثه عن الحرمين الشريفين واعتزاز المملكة بخدمتها قال رحمه الله :

(نحن في هذه البلاد المقدسة مهبط النور والهدى لم يمنحنا الله شرفاً أعلا وأسمى من هذا الدين الذي نشره آباؤنا المسلمون في أنحاء العالمين وخدمة الحرمين الشريفين) .

هكذا يعتز سعود بن عبد العزيز ويوصي وزراءه بأنه لا عز إلا بالدين ولا شرف إلا بالإسلام .

وجاء من بعده جلالة الفيصل رحمه الله وهو الذي ظل فترة طويلة في الحجاز نائباً عن والده عبد العزيز فهو يعرف تمام المعرفة ماهية مكة وقدرها ، استمع إليه وهو يتحدث إلى أهالي مكة في حفل مبايعته تستشف ما فُطر عليه آل سعود من كرم وأريحيه واستقامه على نهج السنة النبوية .

جاء في كلمته رحمه الله لأهل مكة [1] :

(إخواني .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدني في هذه اللحظة الحبيبة على قلبي ، لحظة لقائي بكم ، واجتماعي وإياكم أن أعبر عن تقديري العظيم، وامتناني الكبير ، لما أشعر به منكم من المحبة والإخلاص النابع من القلوب.

(١) كتاب (فيصل العظيم) لأمين سعيد - ص ١٠٤ .

أيها الإخوة ..

لست غريباً عنكم ، ولستم غرباء عني، والله يشهد كم أحس وأشعر تجاه هذا البلد المقدس وأهله من أحاسيس ومشاعر، يقتضيها ديني ، وتقتضيها عقيدتي وإيماني بالله العلي العظيم ثم يقتضيها زمن قضيته بينكم كأخ ومواطن وخادم .

أيها الإخوة ..

لقد تكرمتم فأهديتموني كتاب الله العظيم ، يُهدي من هذا البلد الكريم الذي منه بُعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وشع منه نور الحق ، وإني لأرجو الله مخلصاً أن تكونوا أيها الإخوة ، وأنا منكم ، ممن يتبع هذا الكتاب ، يحلل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويتأكد من أحكامه ، ويهتدي بهديه ، وهذا هو أفضل الخلق في الدنيا والآخرة .

أيها الإخوة :

إن علينا واجبات كثيرة ، وبالأخص أنتم أيها الإخوة سكان حرم الله ، فان عليكم واجبا مقدسا، هو أن تكونوا المثل الأعلى يقتدي بكم بالإيمان بالله ، والاخلاص له ، واتباع شريعته ، والتأدب بآدابه ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة ، والأمانة في كل ما تعملون لدينكم ولدنياكم) .أهـ

وهكذا استمر مسير القافلة تفد وفود الحجيج لهذا البلد الأمين وآل سعود في خدمة هذه الوفود بكل امكانات الدولة ورجالاتها قياماً بحق الدين وخدمة للحرمين .

استمع معي لخادم الحرمين الشريفين مليكنا المفدى فهد بن عبد العزيز وهو

يوجه خطابه التاريخي لأبناء شعبه ومواطنيه بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم ونظام الشورى ونظام المناطق تستبينُ لك السبل وتتضحُ لك المفاهيم فتغدوا على حقيقة من الأمر أن الله تعالى اختص آل سعود بالمزية وتفضل عليهم بالمعرفة وتكرم عليهم باقامة العدل واجرى على أيديهم اسبابه لأنهم اقاموا للإله نفوسهم فأقامهم ، نعم .. إن في طيات هذا الخطاب توحيد وعقيدة ، وتوجيه وإرشاد ، حفظوا الله تعالى فحفظهم ومَكّن لهم .

يقول حفظه الله في خطابه هذا [1] :

(أيها الإخوة المواطنون

إن الله إذا أراد بقوم خيراً هداهم إلى التي هي أقوم .

ونِعَمُ الله علينا كثيرة لا تُحصى .. ولا شك أن اعظم هذه النعم على الإطلاق هي نعمة الإسلام ، فهو الدين الذي إن تمسكنا به لن نضل أبدا .. بل نهتدي ونسعد كما أخبر الله تعالى بذلك وكما اخبرنا رسوله عليه الصلاة والسلام .

وحقائق التاريخ والواقع خير شاهد على ذلك .

فقد سعد المسلمون بشريعة الإسلام حين حكّموها في حياتهم وشئونهم جميعا .

واستمر حفظه الله يعدد مزايا الإسلام وفضائل التمسك به وفضل الله تعالى على هذه الدولة واكرامه لها بتمسكها بهذا الإسلام نصاً وروحاً واتخاذ الكتاب والسنة منهاجاً ودستوراً حتى قال حفظه الله عن اعتزاز الدولة بخدمة الحرمين الشريفين ما يلي :

(ان المملكة العربية السعودية هي موئل مقدسات المسلمين ومكان حجهم

(١) كتيب حصاد الخير أنظمة الحكم والشورى ومجلس الوزراء والمناطق - إصدار مؤسسة مكة للطباعة جريدة الندوة

وعمرتهم وزيارتهم ولها مكانة خاصه في نفوس كل المسلمين وقد أكرم الله هذه الدولة بخدمة الحرمين الشريفين وتيسير سبل الحج والعمرة وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد بذلنا كل ما نستطيع في سبيل توسعة الحرمين الشريفين وتطوير المشاعر المقدسة وقدمت الدولة ما في وسعها من خدمات لقاصدي الأماكن المقدسة .

وإذ نحمد الله على ذلك نسأله المزيد من فضله ومتابعة خدمة هذه الأماكن وخدمة المسلمين والتعاون معهم في كل مكان) .أهـ

هذه بعض أسطر وعبارات أجراها الله تعالى على ألسنة آل سعود الميامين ، استعرضناها وإياكم في هذه الذكرى نَستلهمُ منها الثبات على العقيدة والسير على نهج السلف استقامة ومحبة تآلفاً ومودة تعلقاً بهذا البيت العتيق الذي تهوى إليه الأفئدة والأرواح .

إننا حينما نشارك في هذه المناسبة بالكتابة عن أئمة وخطباء هذه الرحاب المقدسة منذ عهد المؤسس جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، إنما ندعو جيل الشباب للاقتفاء بآثار الكبار من السلف الصالح الذين جاهدوا في سبيل الله تعالى وانفقوا الأوقات في طلب العلم وبثه دعوة واحتسابا في سبيل الله فهذه منقبةٌ يسعى الصادقون لبثها في نفوس الشباب، وإننا حينما نستعرض سيرة عبد العزيز إنما نستعرض سيرة إمام عادل ، ضحى من أجل أُمته وسعى جاهداً في لم شعثهم فكوَّن ألفة بين القلوب بقوله وفعله المحبوب ، كل هذا أمر مطلوب لتزداد به الثقة والاطمئنان ، نقتبس من سيرة هذا البطل دروساً، ونستوحي عبراً، ونستلهم حكماً ، كل هذا ندركه ونحن نحتفي بهذه الذكرى .

الفصل الأول

المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وأبنائه الكرام

المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وابنائه الكرام

منذ أن أستولى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود على الحجاز ودانت له البلاد وجد نفسه أمام مسئولية عظمى وأمانة كبرى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] فوطد نفسه لها وسارع في تنفيذ متطلباتها فكان أول درج مراقي الصعود في مقامات منازل السعود الإهتمام بشئون هذا البيت العتيق وخدمته ، قياماً بحقه وحق وفوده من الحجاج والمعتمرين .

فشمر جلالته عن ساعد الجد ، وبذل في الخدمة كل وقت وجهد ، وتتابعت صدور أوامره الملكية في شتى المجالات التنظيمية والإدارية وخص منها الشئون الدينية والمسائل العمرانية بسرعة التنفيذ .

نعم .. لقد استحوذ الاهتمام بشئون هذا الحرم على فكر جلالته ولُبه فشغله عن كل أمر دونه .

عن بعض إهتمامات جلالته بهذا الحرم والتي سار على نهجها ابناؤه الكرام

---

(١) سورة الحج - آية : ٤١ .

وأكملوا مسيرة هذا الإمام .

نستعرض بعض الصفحات عن الاشراف الديني على المسجد الحرام منذ عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نستعرض سوياً بعض الشيء عن التوسعات السعودية للمسجد الحرام . فكما ان عمارة المسجد الحرام بانواع الطاعات من العبادة كالصلاة والطواف والعمرة والإعتكاف والذكر والتدريس، فكذلك عمارة بنيانه لها شأن عظيم .

المسجد الحرام وتوسعاته السعودية

في هذه العجالة مقدمة يسيرة عن المسجد الحرام ومراحل توسعاته عبر التاريخ حتى عصرنا الحاضر العهد السعودي الزاهر ، أقتضى سياق الحديث عن المسجد الحرام سردها .

المسجد الحرام عبر التاريخ

ذكر الأزرقي في أخبار مكة عن جده عن مسلم بن خالد عن محمد بن الحارث عن سفيان عن علي الأزدي قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إنا لنجد في كتاب الله عز وجل أن حد المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : أساس المسجد الذي وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد .

والمسجد الحرام منذ بنى سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام الكعبة المشرفة إلى أن آل أمر مكة إلى قصي بن كلاب الجد الخامس لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبارة عن فسحة واسعة حول الكعبة المعظمة ، ولم يكن حول الكعبة المشرفة دور مشيدة أو جدار محاط بالمسجد الحرام حيث كانت القبائل التي قطنت مكة من عمالقة وجرهم وخزاعة وقريش وغيرهم يسكنون في شعاب مكة ويتركون حول الكعبة المعظمة احتراماً لها وتعظيماً لشأنها .

فلما آل الأمر لقصي بن كلاب واستولى على مكة وعلى مفتاح الكعبة من خزاعة ، جمع قريش وأمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة بيوتاً من جهاتها الأربع فبنت قريش دورها حول الكعبة المعظمة وشرعت أبوابها إلى نحو الكعبة المعظمة وتركوا للطائفين مقدار المطاف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكاً شارعاً فيه باب يسلك منه إلى المطاف وجعلوا بناء الدور مدورة ولم تكن مربعة الشكل حتى لا يكون بينها وبين الكعبة شبه في البناء من جهة التربيع لكون الكعبة المعظمة مربعة ، وبقي المسجد على هذه الصفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وزمن خليفته أبي بكر الصديق .

زيادة سيدنا عمر بن الخطاب :

أستمر الحال حتى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب فكانت أول توسعة وبناء للمسجد الحرام على يده وذلك عام ١٧ من الهجرة ، أدخل الدور المجاورة في مساحة المسجد وجعل له حائطاً فكان أول من أحاط المسجد بالجدار ووسعه .

عمارة سيدنا عثمان بن عفان :

وأستمر الحال حتى جاءت خلافة سيدنا عثمان وأزداد عدد السكان وظهر الضيق في المسجد ، أشترى سيدنا عثمان الدور التي حول المسجد وهدمها وأدخل أرضيتها في المسجد توسعة له عام ٢٦ من الهجرة وجعل له أروقة ، فكان هو أول من أتخذ الأروقة فيه .

عمارة بن الزبير :

وفي عهد عبد الله بن الزبير بعد أن أنتهى من عمارة الكعبة المعظمة عمر المسجد وزاد فيه زيادة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية وسقف المسجد وكان ذلك عام ٦٥ من الهجرة تقريباً .

عمارة عبد الملك بن مروان :

فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان أمر بعمارة المسجد ورفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب فكانت عمارته منحصرة في تجديد البناء ورفع الجدار وتسقيفه بالساج وتزيينه بالذهب ، ولم يزد في مساحته شيئاً .

عمارة الوليد بن عبد الملك :

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك أمر بتوسيع المسجد ونقض عمل أبيه وعمره عمارة متينه محكمة وهو أول من أتى بالأساطين الرخام من مصر والشام ، وسقفه بالخشب الساج المزخرف وجعل رؤوس الأساطين صفائح الذهب وجعل له شرافات وعقود وجعل في وجوه العقود من أعلاها الفسيفساء وهو أول من زين بها المسجد الحرام وجعل للمسجد سرادقات ، وكانت زيادته من الجهة الشرقية كما يدل عليه سياق التاريخ وكان هذا عام ٩١ من الهجرة .

عمارة أبي جعفر المنصور :

وفي خلافة أبي جعفر المنصور ، أمر عامله على مكة بزيادة توسيع المسجد الحرام فزاد في شقه الشامي وزاد في أسفله وهو أول من البسه بالمرمر من داخله وخارجه وكان ذلك عام ١٣٧ من الهجرة .

عمارة المهدي بن المنصور :

ثم جاء الخليفة المهدي فوسع المسجد من أعلاه ومن الجانب الغربي ومن الجانب اليماني حتى صار واسعاً من جوانبه الأربع عام ١٦٧ من الهجرة .

عمارة السلطان سليم خان :

دام على هذا الحال حتى عام ٩٧٩ من الهجرة ، ظهر أنه بحاجة ماسه للتعمير فصدر أمر السلطان سليم خان بالمبادرة إلى بناء المسجد الحرام جميعه بغاية الإتقان والإحكام وأن يجعل بدل السقف الخشبي قُبباً دائرة بأروقة المسجد ثم توفى السلطان سليم قبل الإتمام .

وتولى بعده السلطان مراد خان فأصدر أمره بالإسراع في إنجاز العمل وإكماله حتى سنة ٩٨٤ من الهجرة .

هذه بعض مراحل عمارة وتوسعة المسجد الحرام نقلناها باختصار جداً من كتاب (في رحاب البيت الحرام) لفضيلة شيخنا السيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني .

وتلى ذلك عدة مراحل للترميم والتعمير منها عمارة السلطان محمد خان سنة ١٠٠٥ هـ وترميم السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٨هـ والسلطان عبد الحميد سنة ١٣١٤هـ والسلطان محمود رشاد سنة ١٣٢٧هـ .

الترميمات والإصلاحات في أواخر العهد العثماني وعهد الحسين بن علي

عن بعض الإصلاحات والترميمات في المسجد الحرام آواخر العهد العثماني يحدثنا المرحوم الأستاذ أحمد السباعي صاحب كتاب تأريخ مكة ص ٥٩١ فيقول :

وعني العثمانيون في هذا العهد بشئون المسجد فأهدت إليه والدة السلطان عبد الحميد في عام ألف ومائتين ونيف وخمسين للمسجد ستة أعمدة في رأس كل عمود نخلة من معدن أصفر تناط بفروعها المدلاة ستة قناديل وقد وزعت في أنحاء المسجد وأنشأ العثمانيون بين الأساطين الامامية للأروقة عوارض من حديد تناط بها القناديل وقد أحصى الشيخ حسين باسلامه في كتابه عمارة المسجد الحرام قناديل المسجد في عموم أروقته وصحنه وأبوابه فكان مجموعها ١٤٢٢ قنديلاً عدا ما جعل في المنائر وكانت القناديل كناية عن آنية من الزجاج مشبوكة من ثلاث جهات في سلسلة تعلق منها وفي جوف الآنية كأس يجعلون فيه الزيت والماء في وسطه ذبالة رفيعة يضيئها الموكلون بمشاعل يمسون بها الذبالة ، وكانوا يضيئون المقامات الأربعة بالشمع يجعلونه في (شمعدانات) من المعدن الأصفر علاوة على ما أنيط بسقفها من قناديل كما كانوا يضيئون باب الكعبة (بشمعدانات) من معدن أبيض .

وفي عام ١٢٦٦ هـ أمر العثمانيون بأجراء إصلاحات عامة في المسجد ورصفوا الردهة الداخلية لباب السلام بالمرمر .

وفي عام ١٢٧٦ هـ أرسل السلطان ميزاباً للكعبة من صنع القسطنطينية مصفحاً بنحو خمسين رطلاً من الذهب وهو الميزاب الموجود إلى اليوم وقد حمل القديم إلى القسطنطينية .

ولما أقتحم المسجد في عام ١٢٧٨هـ سيل عظيم أرتفع مستواه إلى قفل باب الكعبة وأصيب المسجد بأضرار بالغة وغرق فيه خلق كثير داخل المسجد وخارجه نشط العثمانيون لإصلاح الضرر بإشراف أمير مكة عبد الله بن محمد

بن عون وشيخ الحرم أحمد عزت ، وقد دامت عملية الإصلاح نحو ستة أشهر .

وفي سنة ١٣٠١هـ أستأنفوا إصلاح بعض مرافق المسجد وأزالوا بناية سقاية العباس وبيت المحفوظات اللذين كانا قائمين بجوار زمزم ونقلوا الكتب إلى مكانها اليوم في باب السليمانية ثم أزالوا الفاصل الذي كان يحجز النساء في صلاتهن بالمسجد ويسمونه (القفص) .

وأصيب المسجد بأضرار أكثر عندما أقتحمه السيل الذي سموه سيل الخديوي عام ١٣٢٧هـ فقد أخل بنحو ٢٢ أسطوانة عدا وجوه الخراب الأخرى فأمر السلطان محمد رشاد في عام ١٣٣٤هـ بعمارة عمومية شملت كثيراً من أجزاء المسجد وأراد إبدال الاسطوانات بغيرها ولكنه تعذر ذلك عليهم لأن الحرب العامة كانت قد نشبت وقطعت كثيراً من طرق المواصلات فلم يغيروا إلا اسطوانة واحدة وعدلوا نحو عشرة ثم كانت نهضة الحسين فتوقف العمل ثم استؤنف بعد النهضة كما سيأتينا . أهـ .

الإصلاحات في المسجد الحرام في عهد الحسين : يقول صاحب كتاب تأريخ مكة الأستاذ أحمد السباعي ص ٦٢٤ نقلاً عن باسلامه في كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام :

كانت بعض أعمدة المسجد قد تطرق إليها الخلل فأمر ببناء غيرها وأصلح من بعض أرض المسجد وجداره وعني بإضاءته في عام ١٣٣٥ هـ بالنور الأبيض (الأتاريك) لأول مرة في التاريخ وفي عام ١٣٣٨هـ أسس أول ماكينة للكهرباء فأنير بها المطاف وبعد عامين أمر بشراء أكبر منها لإنارة المطاف وبعض جهات المسجد .أهـ .

تسقيف المسعى :

يقول صاحب كتاب أعلام الحجاز المرحوم / محمد علي مغربي في الجزء الرابع ص ١٥٠ :

ذكر الشيخ الغازي في إفادة الأنام ما يلي :

في سنة الف وثلاثمائة وإحدى وأربعين أمر الشريف الحسين الملك الهاشمي بعمل سقيفة للمسعى وكانت مكشوفة ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يتعرضون لحر الشمس ولفح السموم حين سعيهم ، وقد أورد الشيخ الغازي الأبيات الشعرية الجميلة التي سجلت هذا الحدث للشاعر الأديب الشيخ فؤاد الخطيب والتي سجلت على باب سقيفة المسعى من جهة الصفا والمروة هي :

نضّرَ الله تعالى ورعى ... ملك العرب الحسين الأروعا
مرت الأجيال لم يرفع لهم ... غيره الظلَّ الذي قد رفعا
وحمى الإسلام في خير حما ... فهو ظل الدين والدنيا معا
ضجَّ بالشكر وبالحمد له ... كل من طاف ولبَّى ودعا
وجزى القزاز من همته ... خير ما يجزى به من نفعا
صدق الذي قال لنا ... ليس للإنسان إلا ما سعى

أقول [١] الشيخ فؤاد الخطيب كان وزيراً لخارجية الملك الشريف الحسين بن

(١) القائل هو المرحوم الشيخ محمد علي مغربي .

علي ، وهو شاعر عربي كبير ، وأصله من لبنان ، وكان على إتصال بالملك حسين وأولاده .

وفي عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود جاء إلى الحجاز فعينه الملك عبد العزيز يرحمه الله سفيراً للمملكة في أفغانستان ، وابنه الآن من سفراء المملكة في الخارج .

أقول [1] : ولقد أدركت السقيفة التي أمر بإنشائها الملك حسين والتي أشاد بها الشعراء في حينه ، وقد أزيلت هذه السقيفة في العهد السعودي وأبدلت بسقف جميل المنظر تحمله أعمدة حديدية متقنة الصنعة .

وذلك في عهد تولي الشيخ عبد الرؤوف الصبان أمانة العاصمة المقدسة في مكة المكرمة . أهـ .

تسقيف المسعى في العهد السعودي :

يقول المرحوم محمد علي مغربي في كتابه أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة في معرض حديثه عن الشيخ عبد الرؤوف الصبان أمين العاصمة المقدسة آنذاك :

يقول : ولكن أهم إنجاز قام به الشيخ عبد الرؤوف رحمه الله حينما أسندت إليه أمانة العاصمة أنه قام لأول مرة في التاريخ بتسقيف المسعى ، ولعل

---

(١) القائل هو المرحوم الشيخ محمد علي مغربي .

الكثيرين من الناس لا يزالون يذكرون أن المسعى كان سوقاً تجارياً من أهم أسواق مكة المكرمة ، تقوم على جانبيه الدكاكين التجارية بمختلف أنواعها وترتفع فيه العمائر الشاهقة على جانبي الشارع ابتداء من الصفا وحتى المروة وكانت دكاكين الصرافين والحلاقين وبائعي المشروبات وأصحاب المتاجر المختلفة تنتشر على جانبي الشارع كما كانت أهم عمارات مكة المكرمة في ناحية الصفا بل وأغلاها وأعلاها ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم في وسط هذه الأسواق وضجيجها مما يضطر المرء إلى الشعور بالخروج عن حالة النسك والعبادة إلى ضجيج الحياة وزحامها ، وكانت المسعى إلى ذلك في بعض أجزائها مكشوفة تخترقها الشمس فكان الناس يتحاشون السعي في أوقات الحرارة ويؤدون نسكهم بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو في الليل في أوقات الصيف وكان القسم الآخر مسقوفاً بسقف من الخشب كئيب المنظر إن حمى من حر الشمس فهو لا يحمي من المطر في الشتاء .

وإنني لأذكر أنني أجتمعت بأحد كبار تجار الكويت الذي قدم حاجاً في تلك الأيام فقال لي : إن المسعى باقية على حالها منذ مئات السنين ألا تفكرون في إدخال شيء من التغيير عليها . قلت إن هذا موضع نسك فكيف تريدنا أن نغيره ؟ فقال وهل من النسك أن يكون موضعه سوقاً للبيع والشراء ! والواقع أن كل عاقل كان يتمنى للمسعى أن يكون مصاناً وقد أذن الله بذلك فيما بعد حينما تمت توسعة المسجد الحرام وأدخلت المسعى ضمن نطاق المسجد الحرام فتخلصت من السوق وضجيجه وغوغائه .

أما دور الشيخ عبد الرؤوف رحمه الله فقد كان قبل هذه التوسعة بسنوات طويلة ، وقد بدأ هذا الدور بقيام الحكومة ممثلة في شخص وزير المالية الأسبق الشيخ عبد الله السليمان برصف شارع المسعى وكان شارعاً ترابياً غير مبلط ومما أذكره عن هذا الرصف أن المهندس المصري الذي كان يشرف عليه وكان اسمه بهجت سليمان أعاد الرصف مرات في المنطقة التي تصل بين شارع القشاشية وأجياد جهة باب علي وما حولها وكل ما تم الرصف أو أوشك جاء السيل من أعلى مكة مخترقاً شارع القشاشية فأزال الرصف في طريقه إلى أسفل مكة ، وأخيراً تم الرصف والحمد لله .

هنالك تحرك الشيخ عبد الرؤوف فتقدم إلى المسئولين بإكمال تجميل المسعى وذلك بإزالة السقف القديم المتآكل الكئيب المنظر بسقف جميل حديث ، وهكذا تم له ما أراد وأسند المشروع إلى شركة عرين التي أسسها الأستاذ كمال أدهم والتي كان يديرها مهندس مصري ضابط إسمه إبراهيم عويس وقامت الشركة المذكورة بإزالة السقف القديم وتركيب سقف حديث جميل مرتفع قائم على أعمدة حديدية وكان هذا السقف مع الرصف أول تحسين أدخل على شارع المسعى في التاريخ إن صح التعبير إلى أن تم العمل العظيم الكامل بإدخال المسعى نفسه كاملاً ضمن المسجد الحرام كما هو بوضعه الحاضر مما أتاح للحجاج والمعتمرين أداء نسكهم في جو صافٍ هادئ لا تعكره ضوضاء الشارع ولا أصوات الباعة والمشترين . أهـ .

التوسعات السعودية :

وجاء العهد السعودي الزاهر الذي أكتسى بخدمته للحرمين أجمل الحلل والمفاخر ، عصر التوسعات السعودية للحرمين الشريفين التي لم يشهد التاريخ لها مثيل .

إن اهتمام الملك عبد العزيز يرحمه الله بالحرم المكي شيء فطري فهو إمامٌ المسلمين وملك البلاد ، اختصه الله تعالى من بين العباد لينال شرف خدمة حرمه وكعبته ، وخدمة ضيوفه ووفوده من الحجاج والمعتمرين ، فبذل جلالته في سبيل هذه الخدمة جل الوقت والجهد بل كله سهر الليالي وامضى الأيام يسارع في تقديم كل ما في وسعه وفوق جهده ، فبذل من الأموال اعزها لترميم وتعمير المسجد الحرام ، وأصدر من الأوامر والقرارات ما تنؤ به الصفحات اهتماماً وتنظيماً ، متابعة وتنفيذاً خدمة عامة وصيانة تامة وما إلى ذلك مما يتعلق بشئون الحرم المكي .

وظل كذلك يبذل ويسهر ، يتابع ويسأل ، ويقدم كل ما يستطيع خدمة لهذا الحرم ووفوده . وأورث هذا لبنيه فسلكوا طريقه وانتهجوا منهجه ، اكملوا المسيرة ، فحققوا ما كان يصبوا إليه ويؤمله ، فَقُرتْ عينه في مرقده بما بذل ويبذل أبناؤه الميامين الغر من نفائس الجواهر والدر خدمة لهذا البيت العتيق سيراً على نفس الطريق ، فتوالت مراحل تعميرهم وتوسعتهم للمسجد الحرام على أسس متينة وهندسة جميلة وإتقان في التنفيذ وروعة في البنيان تليق بما لبيت الله الحرام من مهابة وقداسة وما له في نفوس المسلمين من توقير وتعظيم حتى وصلوا به إلى هذا الحال الذي هو فيه كمال وجمال من كل النواحي عمارة وتنفيذٌ وخدمةٌ وصيانةٌ ،

وإني في بحثي هذا لست مستقصياً لمراحل هذه التوسعات كما ذكرت آنفاً ، ولكن حديثي عن المسجد الحرام أضطرني أن أعرج عليها فلا يسعني إلا أن أشير بإيجاز إلى تواريخ مراحل بعض الإنجاز وعموماً في هذا الشأن حديثنا كله إشارة واختصاراً مخلاً للعبارة فمن أراد التوسع ومزيد الإيضاح فعليه الرجوع إلى أمهات الاختصاص . ولكن ما حيلتي وقد سلكت هذا الطريق ، فلابد من الإشارة إلى ما فيه من معالم وآثار وإلا كأنني ما سلكته ولا سرت فيه فما دام الحديث عن المسجد الحرام لابد أن نشير إلى هذا الجانب المهم ألا وهو جانب الترميمات العمرانية والتوسعات السعودية ، وفي الحقيقة خير من يحدثنا حقاً ويفيدكم صدقا عن جانب التوسعات السعودية للحرم المكي الشريف ومراحل تنفيذها هو من قام بتنفيذها وعاش مراحل تصورها وتخطيطها منذ أن كانت فكرة في الرأس ثم رسماً على القرطاس حتى أصبحت حقيقة واقعة وأضحت كياناً حياً مشاهداً وأمست رمزاً شامخاً إنها جهة التنفيذ العمرانية مجموعة بن لادن السعودية التي أصدرت ونشرت للأستاذ حامد عباس كتاب قصة التوسعة الكبرى ذلك الكتاب التأريخي والسجل الماسي فهو أقوى الأدلة وأصدق الشهود ، ولا ينبئك مثل خبير [1] .

(١) قصة التوسعة الكبرى كتاب مجلد ضخم يحتوي على ٥٥٣ صفحة من القطع الكبير جداً يحتوي على تأريخ مفصل عن مراحل التوسعات والترميمات للحرمين الشريفين في العهد السعودي وعبر مراحل التاريخ وقد بذل فيه الأستاذ حامد عباس جهداً مضنياً . فآثار جهده ظاهرة للعيان فهو قد سرد الأحول سرداً عجيباً ووصف الأشياء وصفاً دقيقاً .

نعم ... ما أن استقر الأمر واستتب الأمن إلا وسارع جلالة الملك عبد العزيز يحث الخُطى بثبات قدم خدمة لهذا الحرم .

فأصدر أمره السامي في عام ١٣٤٤هـ بترميم كافة أنحاء الحرم ، وكلف مدير الأوقاف آنذاك الشيخ محمد سعيد أبو الخير بترخيم عموم المسجد الحرام وإصلاح كل ما يقتضي إصلاحه .

وفي أوائل عام ١٣٤٦هـ صدرت أوامره الملكية بإجراء عمارة عموم المسجد الحرام داخلاً وخارجاً على حسابه الخاص وعهد بتلك العمارة إلى حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي كما أمر جلالته وزير ماليته الشيخ عبد الله السليمان الحمدان بعمل مظلات قوية ثابتة على دائرة الحصوة مما يلي أروقة المسجد الحرام من الجهات الأربع لتقي الحجاج حر الشمس ، فعُملت مظلات قوية واستمرت هذه عادة سنوية قبل الموسم يقوم مدير الأوقاف ببعض الإصلاحات .

ثم صدرت أوامره الملكية عام ١٣٥٤هـ بتعمير وتجديد كامل يشمل جميع المسجد الحرام [١].

ثم حان الوقت وجاء دور التوسعة السعودية الكبرى والتي بدأت عام ١٣٧٥هـ حيث كلف الشيخ محمد بن لادن رحمه الله بتنفيذ توسعة وعمارة المسجد الحرام .بعد أن مَنّ الله تعالى على عبده عبد العزيز وأجرى على يد المعلم محمد بن لادن تنفيذ توسعة المسجد النبوي الشريف التي أمر بها جلالته والتي أقر الله عينى جلالته ببدء العمل فيها في اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣٧٠هـ بهدم الدور المحيطة بالمسجد النبوي الشريف واستمر الهدم ونقل الانقاض وإزالته حتى عام ١٣٧٢هـ وبُدأ في حفر الأساسات في ٢٤ رمضان ١٣٧٢هـ وقام بوضع حجر الأساس لهذا المشروع الجبار سمو ولي العهد آنذاك

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام للشيخ عبد الله حسين باسلامه .

الملك سعود فيما بعد وقال : (فإنني أحمد الله تعالى الذي وفق مولاي صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين لإصلاح وعمارة المسجد النبوي الكريم وتوسعته إذ أمر وزير المالية عبد الله السليمان بتنفيذه على نفقة جلالته الخاصة ، وتولاه محمد بن لادن المدير العام للإنشاءات الحكومية وانه لمن حسن توفيق الله لي أن شرفني مولاي والدي صاحب الجلالة بالنيابة عنه في وضع حجر الأساس لهذا العمل الجليل وها أنا بسم الله وعلى بركة الله أضع الحجر الأساس بالنيابة عن جلالته وبالأصالة عن نفسي في هذا اليوم المبارك (الأثنين) ١٣٧٢/٣/١٣هـ داعياً الله أن يوفق لاتمامه على خير ما نتمناه والسلام) [١] .

وفعلاً بدأت أعمال التنفيذ في مشروع توسعة المسجد الحرام في اليوم الرابع من شهر ربيع الثاني ١٣٧٥هـ وفي يوم الخميس ٢٣ شعبان عام ١٣٧٥هـ اقيم حفل كبير حضره كبار رجال الدولة وعلماء وأدباء وأعيان مكة المكرمة ووجهاؤها وعلى رأس الجميع جلالة الملك سعود وفي هذا الحفل تم وضع حجر الأساس لعمارة وتوسعة المسجد الحرام في العهد السعودي [٢] .

وقد مرت التوسعة السعودية الأولى في أربع مراحل [٣]:

المرحلة الأولى ١٣٧٥ هـ - ١٣٨١ هـ : وشملت هذه المرحلة بناء المسعى بطابقيه .

والمرحلة الثانية ١٣٨١ هـ - ١٣٨٩ هـ وتضمنت أعمال عمارة المسجد الحرام والجزء الخارجي من المبنى الجديد كما شملت توسعة منطقة المطاف وعمل سلالم لبئر زمزم .

(١ - ٢) من محاضرة بنادي مكة الثقافي للمرحوم الأستاذ محمد مليباري .

(٣) نقلاًعن كتاب قصة التوسعة الكبرى لحامد عباس ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

المرحلة الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٣٩٢هـ : وتم خلالها بناء المكبرية وشق الطرق وإنشاء الميادين حول الحرم .

المرحلة الرابعة : ١٣٩٣هـ - ١٣٩٦هـ : وتضمنت تجديد الحرم القديم وتجديد أركانه الأربعة لإنشاء البوابات الثلاثة الرئيسية .

ثم جاء عهد خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز الذي أكرمه الله تعالى بخدمة الحرمين الشريفين ، وكان له شرف توسعة المسجد النبوي التي لم يشهد التاريخ مثلها .

أحس بشعوره الإيماني أن المسجد الحرام يحتاج لتوسعة أخرى تستوعب العدد الكثير القادم من الحجاج فأصدر بثاقب نظره أوامره الملكية عام ١٤٠٣هـ بإزالة المباني في السوق الصغير كساحات للحرم .

وفي عام ١٤٠٦هـ أمر بتنفيذ مشروع لتحسين سطح المسجد الحرام حيث أضاف هذا التحسين أمكنه لتسعين ألف مصل ، وأضافة مساحات جديدة من جهة سوق الذهب والشامية والشبيكة وفرشها مع الساحات الأخرى القائمة حول الحرم بالرخام المقاوم للحرارة .

وفي يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر عام ١٤٠٩هـ وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بيده حجر الأساس لتوسعة الحرم المكي الشريف واستمر العمل ليل نهار بغاية الجد وتمام الاتقان حتى أكتمل المشروع ، وسر بذلك خادم الحرمين وانتهى العمل رسمياً في يوم ١٤١٣/١١/٣٠هـ [١].

---

(١) نقلاًعن كتاب قصة التوسعة الكبرى لحامد عباس ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية الأولى :

عام ١٣٧٥ هـ عندما بدأت التوسعة السعودية الأولى كان المسجد الحرام مستطيل الشكل تقريباً ويغطي مساحة تبلغ (١٢٢٠٠م٢) .

ويتكون مما يلي :

١ - المطاف : وهو بيضاوي بمحاور كبيرة وصغيرة على التعاقب مبلطا بالرخام وتحيط به قناديل نحاسية للإضاءة .

٢ - مقام إبراهيم : في نفس الموقع الذي يوجد فيه اليوم وعليه مبنى مسقوف ومن خلفه باب بني شيبه .

٣ - بئر زمزم : مغطاة ببناء ذي قبة بنى عام ١٠٧٤هـ يتكون من دورين يستعمل الدور الأول كمكبرية .

٤ - المنبر : في موقع قريب من مقام إبراهيم من الناحية الشمالية وقد أقيم في سنة ٩٦٦هـ على الطراز العربي القديم من الرخام الأبيض وجاء هدية من السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني .

٥ - المظلات : وعددها أربع مظلات أقيمت على المحيط الخارجي للمطاف لتابعي المذاهب الأربعة .

٦ - الحصاوي : وهي المناطق المكشوفة وغير المبلطة بين المطاف وأعمدة المسجد، وكانت مفروشة بالحصباء .

٧ - مبنى المسجد : وكانت أبعاده الخارجية وهي (١٩٢ × ١٩٤م) باستثناء

المنطقتين الاضافيتين الواقعتين عند باب إبراهيم وباب الزيادة وكانت الأبعاد الداخلية للجزء المسقوف من المبنى هي حوالي : (١٠٦ × ١٦٣م) وكان المسجد لا يتسع لأكثر من (٥٠٠٠٠) مصل ولا توجد حوله ساحات، وكان المسعى سوقاً مسقوفاً بسقف مقوس مصنوع من الحديد .

هذا هو الوصف العام للحرم المكي في تلك السنة [١].

أهداف التوسعة السعودية الأولى ونتائجها

تضمنت التوسعة إعادة بناء المسجد والمسعى والتخطيط الشامل للمنطقة المحيطة وتوفير كافة الخدمات اللازمة من مياه وصرف وإنارة .

وكانت الأهداف الرئيسة هي :

١ - إضافة كبيرة لسعة المسجد للتغلب على نقص أماكن الصلاة خلال المواسم . وذلك بزيادة المساحة وإنشاء دورين له .

٢ - توسعة المطاف وإزالة العوائق من مسطحه .

٣ - تحسين الأحوال لتأدية السعي بدمج المسعى داخل مباني المسجد ، ومضاعفة سعة المسجد بإنشاء دورين له .

٤ - تسهيل طريق المواصلات حول المسجد .

٥ - تقليل أخطار مياه السيول .

٦ - تحويل مجرى مياه الأمطار بين هضبة الصفا والمبنى العثماني للمسجد.

٧ - تحسين الخدمات الداخلية بالمسجد مثل توفير المياه والصرف والإنارة .

---

(١) نقلاًعن كتاب قصة التوسعة الكبرى لحامد عباس ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

وقد تمت في هذه المراحل الأربع أعمال ضخمة أعادت صياغة الحرم المكي الشريف وحققت هذه التوسعة نتائج جداً مهمة .

١ - إزالة ما كان يحيط بالمسجد الحرام ويلتصق به من منازل سكنية ومدارس وحوانيت .

٢ - فسحة في المساحة تتسع لأكبر عدد من المصلين في المواسم .

٣ - عمارة ضخمة وجميلة تليق بما لهذا الحرم في نفوس المسلمين .

٤ - ضم المسعى إلى المسجد الحرام في عمارة واحدة

٥ - أحاطة المسجد الحرام بشوارع عريضة وميادين فسيحة .

وقد أصبحت مساحة الحرم المكي بعد التوسعة السعودية الأولى (١٦٠١٦٨م٢) بياناتها كالتالي :

مساحة الحرم المكي قبل التوسعة السعودية الأولى (٢٩١٢٧م٢)

مساحة التوسعة الجديدة (الأولى) الطابق الأول والثاني من الأروقة ٣١٣٠٩ م٢

مساحة المسعى بعد أن ضمت إلى المسجد الحرام ١٠١٧٢ م٢

مساحة الدور الثاني بما فيه المسعى (الطابق الثاني) ٦٠٥٦٠ م٢

مساحة طبقة البدروومات التي تحت أروقة التسعة ٢٩٠٠٠ م٢

أي أن مجموع إضافات التوسعات السعودية الأربع ١٣١٠٤١ متراً

وهذه مساحة تتسع لأكثر من (٣٠٠) ألف مصل [١] .

(١) نقلاًعن كتاب قصة التوسعة الكبرى لحامد عباس ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

أما توسعة وعمارة المسجد الحرام في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وضع حجر الأساس فيها خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز في يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر ١٤٠٩هـ ، وبدأ العمل فيها في شهر جمادي الآخرة من نفس العام وأنتهى العمل فيها رسمياً في شهر ذي القعدة ١٤١٣هـ وقد أضيف جزء جديد إلى مبنى المسجد الحرام من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير من باب العمرة وباب الملك .

وتبلغ مساحته (٧٦٠٠٠م٢) موزعة على البدروم والدور الأرضي والدور الأول والسطح وتتسع لحوالي (١٥٢٠٠٠) مصل .

كما تم تجهيز الساحات الخارجية وتبليطها بالرخام الأبيض ، وهذه التوسعة تعد إنجازاً معمارياً فريداً بكل المقاييس ، صمم على أحدث الأسس المعمارية والإنشائية والجمالية ، واستخدمت فيها أحدث المعدات والتقنيات وأمهر المهندسين والصنّاع والحرفيين ليكون الإنجاز فناً معمارياً إسلامياً قائماً بذاته[١].

---

(١) نقلاًعن كتاب قصة التوسعة الكبرى لحامد عباس ، الناشر مجموعة بن لادن السعودية .

الإشراف الديني على المسجد الحرام

منذ عهد جلالة الملك عبد العزيز

حتى عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز

ما أن تم الأمر للملك عبد العزيز في الحجاز ومبايعة أهله لجلالته ملكاً على البلاد إلا وشرع في المسارعة لأداء الأمانة التي تحملها والمسئولية التي تقلدها تجاه هذا البلد الحرام وخدمة هذا البيت العتيق .

فأول ما شرع جلالته في المبادرة بفعله نحو هذا المسجد الحرام هو صدور أمره الملكي الكريم بتكليف سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ بالإشراف على شئون المسجد الحرام عامة من الناحية الدينية تدريساً ووعظاً وإرشاداً وشئون الأئمة والمؤذنين كما عين سماحته إماماً وخطيباً للمسجد الحرام ومدرساً وواعظاً فيه .

وسماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ليس بغريب على المسؤلية فهو إمام جيوش جلالة الملك عبد العزيز وقاضيها المحنك ذو الرأي السديد والقول الرشيد، ومن خاصة مستشاريه المقربين .

إذاً فقد خص جلالة الملك عبد العزيز المسجد الحرام بمن هو أهلاً لهذه المسئولية وأجدر على القيام بواجباتها كما يريد جلالته رحمه الله .

وفي نفس الوقت سارع جلالته بالكتابة إلى السيد رشيد رضا[1] بمصر

(١) هو السيد محمد رشيد علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتّاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ، ولد ونشأ في القلمون عام ١٢٨٢هـ وتعلم في طرابلس ، رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له . توفي عام ١٣٥٤هـ ودفن بالقاهرة ، أشهر آثاره مجلة المنار ، أصدر منها ٣٤ مجلداً ، وله من التآليف : ١ - تفسير القرآن ١١ مجلداً ولم يكمله . ٢ - تاريخ الأستاذ محمد عبده . ٣ - الوحي المحمدي . ٤ - شبهات النصارى وحجج الإسلام . (أنظر الإعلام للزركلي) .

لإستقطاب عدد من العلماء الحفاظ المجودين وترشيحهم لإمامة وخطابة المسجد الحرام ، فجاء الجواب سريعاً من السيد رشيد رضا بترشيح عدد من العلماء الحفاظ المجودين وسرعان ما وافق جلالته على تعيينهم والأمر على من يلزم بسرعة مجيئهم خدمة لهذا الحرم فجاءوا مسارعين لحمى هذا البيت الأمين منهم فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح وفضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ففرح جلالته بمقدمهم وأطمأن لوصولهم وبالغ في إكرامهم خدمة لهذا الحرم الشريف [1] .

نعم .. لقد أهتم جلالة الملك عبد العزيز بشئون الحرم غاية الاهتمام وظل يتابع ذلك بهمة قوية وعطاء مستمر .

وبناءً على توجيهات جلالته أستمر سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ في القيام بواجبه خير قيام إمامة وخطابة وتدريساً وإرشاداً وملاحظة تامة ومتابعة عامة لجميع شئون الحرم الدينية وظل كذلك حتى بعد ما أسندت إليه رئاسة القضاء عام ١٣٤٦هـ لم يعفه جلالة الملك من مهمة الإشراف على المسجد الحرام بل جمع له هذا وذاك واستمر في البذل والعطاء ، يرعى شئون المسجد الحرام والإشراف الديني عليه خير رعاية ، وأستمرت مهمة الإشراف الديني على المسجد الحرام تابعة لرئاسة القضاء حتى حان الوقت الذي تنْشأ فيه إدارة مستقلة للإشراف الديني على المسجد الحرام .

---

(١) مشافهة عن سماحة العلامة القاضي الفقيه المؤرخ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالمسجد الحرام .

الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام :

أنشئت عام ١٣٨٤هـ إدارة مستقلة ترعى كافة الشئون الدينية بالمسجد الحرام ورئيسها يراجع مجلس الوزراء مباشرة .

أول رئيس لها هو سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، عين رئيساً للإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٨٤هـ .

باشرت الرئاسة مهامَها ومسئولياتها بهمة ونشاط سماحة رئيسها والمهمة الفعلية للإشراف الديني على المسجد الحرام تشمل كافة الشئون الدينية والإشراف على شئون الأئمة والمؤذنين وتعيينهم وشئون التدريس والمدرسين وطبع الكتب الدينية وتوزيعها على طلبة العلم ، وتزويد الحرم بالوعاظ الفقهاء في أيام المواسم بكل لسان ولهجة لتفقيه أبناء جنسياتهم الوافدين لأداء العمرة أو مناسك الحج .

وسماحة الشيخ عبد الله بن حميد عالم فقيه شغوف بالعلم تشهد بذلك آثاره وماضيه ، ففي عهده أنشئ معهد الحرم المكي الشريف لأن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد نظر بثاقب حدسه وبنور بصيرته فأسس معهداً لتدريس علوم الشريعة بالمسجد الحرام ليجمع بين الحسنيين تدريس العلوم الشرعية بالمسجد الحرام حسب الدراسة النظامية على نمط المعاهد العلمية ، وليتسنى للمتخرج عنه والحاصل على شهادته مواصلة دراسته الجامعية والعليا أو التعيين في أي وظيفة مناسبة لمن تمنعه ظروفه من مواصلة الدراسة .

فكان معهد الحرم المكي الشريف وتم افتتاحه في عهده وتقرر فيه تدريس القرآن الكريم وعلومه والتفسير والحديث وعلومهما والفقه وأصوله والتوحيد وعلوم اللغة العربية .

ويشمل المعهد مرحلتي الكفاءة المتوسطة والثانوية العامة ، وشهادة المعهد معتمدة ومعادلة يحق للمتخرج عنه أن يلتحق بأحدى كليات الشريعة والدعوة والدراسات الإسلامية في جميع جامعات المملكة بل وحتى خارج المملكة فلقد اعتمدت جامعة الأزهر الشريف شهادة المعهد وعادلتها .

وكانت إدارة المعهد في بداية إنشائه تحت إشراف فضيلة الشيخ محمد السبيل فهو مديراً للمعهد والشئون الدينية آنذاك . وزود المعهد بمدرسين أكفاء علماء أجلاء .

ومن حسنات الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله إستقطاب سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إلى هذا الحرم المكي عام ١٣٨٥هـ ، حيث عين فضيلته إماماً وخطيباً ورئيساً لشئون المدرسين بالمسجد الحرام .

كما كان لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد إهتمام شديد بطلبة العلم ومساعدتهم وطبع الكتب المفيدة على نفقة الرئاسة وتوزيعها على طلبة العلم والوافدين من الحجاج والمعتمرين ، وكان عهده عهد إزدهار التدريس بالمسجد الحرام ، فمن حسن حظه أنه جاء رئيساً للإشراف الديني على المسجد الحرام في وقت كان المسجد الحرام يغص بخيرة مدرسيه بقية علماء الحلقات حيث كانت حلقات العلم ودروس الفقه ومجالس الوعظ لا تعد ولا تحصى تراهم حلقا حلقا يلتف الطلبة حول مشائخهم يغترفون من بحور العلم والمعرفة ، ومن أشهر مدرسي المسجد الحرام في هذه الفترة :

فضيلة الشيخ محمد العربي التباني .

فضيلة الشيخ السيد علوي بن السيد عباس المالكي .

فضيلة الشيخ محمد نور سيف هلال .

فضيلة الشيخ السيد محمد أمين الكتبي .

فضيلة الشيخ حسن مشاط .

فضيلة الشيخ إبراهيم يوسف خان .

فضيلة الشيخ محمد المنتصر الكتاني .

فضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي المحدث (والد الشيخ أبو تراب الظاهري)

فضيلة الشيخ خير محمد (والد الشيخ مكي المدرس الآن بالمسجد الحرام)

فضيلة الشيخ عبد الله دردوم

فضيلة الشيخ إسماعيل عثمان زين

فضيلة الشيخ علي بن محمد الهندي

فضيلة الشيخ عبد الفتاح راوه

فضيلة الشيخ محمد سعيد تنكل

فضيلة الشيخ عبد الرحيم كلنتن

وأستمر سماحته رحمه الله تعالى باذلاً قصارى الجهد في أداء مهمته على أكمل وجه حتى صدر الأمر الملكي الكريم بتعيين سماحته رئيساً لمجلس القضاء الأعلى بمرتبة وزير، فجمع سماحة الشيخ عبد الله بن حميد بين المنصبين حتى حان الوقت لإنشاء رئاسة عامة ترعى شئون الحرمين الشريفين إدارياً ودينياً إدارة مستقلة رئيسها بمرتبة وزير .

الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف :

وفي عام ١٣٩٧هـ صدر أمر ملكي بإنشاء الرئاسة العامة لإدارة الحرمين الشريفين ويندرج تحت مسماها إدارة الحرم المكي الشريف والإشراف الديني عليه وإدارة الحرم النبوي الشريف والإشراف الديني عليه تندمج في إدارة واحدة تحت مسمى الرئاسة العامة لإدارة الحرمين الشريفين ويكون رئيسها بمرتبة وزير يراجع رئيس مجلس الوزراء مباشرة في كل أمر يخص الحرمين .

وبهذا أصبحت خدمة الحرمين الشريفين والإشراف عليهما إدارياً ودينياً تتبع إدارة واحدة ، وتم تنظيم الهيكل الإداري لهذه الرئاسة وتسلمت الهيكل الوظيفي لإدارة الحرم المكي وإدارة الحرم النبوي من وزارة الحج والأوقاف .

وصدر الأمر الملكي الكريم بتعيين سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد رئيساً للرئاسة العامة لإدارة الحرمين الشريفين بمرتبة وزير .

وهو بهذا أول رئيس تجمع له رئاسة الإشراف على إدارة الحرمين إدارياً ودينياً ، تولاها سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد ، وقام بواجباتها خير قيام سارع في أداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وكان في عهده تنظيم وإنجاز وبتوجيه ورعاية من ولاة الأمر تم تنفيذ مشروع توسعة زمزم وفرش صحن المطاف بالرخام المضاد للحرارة .

أصدر كثيراً من القرارات التي تخدم الحرمين في كل النواحي الإدارية والتنظيمية .

كانت له نظرة وآمال وفي ذهنه وفكره خطط ومشاريع وبالعموم كان نشطاً مجتهداً يتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة .

اهتم سماحته بالأئمة والخطباء في الحرمين الشريفين نظراً لمكانتهم الدينية ولما لهذه الوظيفة من جلال وهيبة فرفع مكافأتهم الشهرية إلى مبلغ (٨٢٢٠) ثمانية آلاف ومائتان وعشرون ريالاً مكافأة مقطوعة شهرياً لأن مكافأتهم قبل ذلك كانت ضئيلة جداً بالنسبة لمكانتهم الاجتماعية وهم في الحقيقة لا ينظرون إليها بل وبعضهم لا يتقاضاها لأنه يود أن يقوم بهذا الواجب حسبة لله تعالى وقُربى ، يرجو بذلك وجه ربه الأعلى ، لكن سماحة الشيخ ناصر أصر على رأيه وأصدر قراره .

كما كان لسماحة الشيخ ناصر إهتمام كبير بفئة من العاملين في المسجد الحرام ممن بلغوا السن القانوني للإحالة على التقاعد وكانت رواتبهم ضئيلة ، فرفع أمرهم لولي الأمر ، فجاء الجواب بناء على ما اقترحه سماحة الشيخ بإحالتهم على التقاعد بكامل رواتبهم فرفعت الأيدي تدعو لولي الأمر بحسن الجزاء .

كما أهتم سماحته بالوافدين من الحجاج والمعتمرين فأستقطب لهم من جامعة أم القرى علماء أجلاء للتدريس المسائي بالمسجد الحرام يدرسون ويعظون ويفتون وممن حاز على هذا الشرف فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبه وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنه وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازي .

وفي شهر شعبان من عام ١٤٠٠هـ طلب سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد من ولاة الأمر إعفائه من منصبه لظروفه الصحية ، فصدر الأمر الملكي بالموافقة على إحالته على التقاعد بناء على طلبه .

ومن ثم صدر أمر ملكي كريم بتعيين سماحة الشيخ سليمان بن عبيد رئيساً للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بمرتبة وزير .

فباشر سماحته العمل وتحمل المسئولية وأكمل المسيرة فسار على خُطى من قبله ملاحظة ومتابعة وتطويراً وتجديداً ودعماً للإدارات التابعة للرئاسة

بالكفاءات السعودية ومضاعفة أعداد العاملين في خدمة الحرمين في المواسم واستقطب من وزارة العدل ابنه فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد وعينه وكيلاً لشئون الحرم المكي فشد به عضده .

وهكذا استمر مجاهداً حتى أحس أنه قد حان له أن يترجل عن صهوة هذا الجواد لظروفه الصحية التي لا تمكنه من الإستمرار وتضطره للراحة والإستجمام فطلب الإعفاء من ولاة الأمر فأجيب لطلبه وصدر الأمر الملكي بإحالته على التقاعد بناء على طلبه في ١٤٠٩/٤/١٣هـ .

وكُلف سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رئيساً بالنيابة .

وفي عام ١٤١١هـ صدر الأمر الملكي الكريم بتعيين سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رئيساً للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بمرتبة وزير ، وسماحته ليس بغريب على المسئولية ولا ببعيد عنها فمنذ عام ١٣٨٥هـ وفضيلته إماماً وخطيباً وواعظاً ومدرساً في المسجد الحرام ، ومديراً لمعهده ورئيساً لشئون مدرسيه ، فهو إذن في المسجد الحرام على الدوام، ثم منذ عام ١٣٩٠هـ نائباً للرئيس العام للإشراف الديني للشئون الدينية ، ثم عام ١٣٩٣هـ نائباً للرئيس العام للإشراف الديني ومنذ عام ١٣٩٧هـ نائباً للرئيس العام لشئون الحرمين الشريفين ومنذ ١٤٠٩/٤/١٣هـ رئيساً عاماً بالنيابة . إذاً فَجُل وقته بل كله أمضاه في المسئولية المباشرة ممارسة ومدارسة وكل إنجاز تم كان له فيه حظ ونصيب .

وفي عهد سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل وبتوجيه من ولاة الأمر تم تنفيذ توسعة قُبة الصفا وعمل بعض العبّارات في المسعى والتي خففت من الضغط وشدة الزحام وخاصة عبارة باب السلام التي تتجه لسلم الدرج المؤدي للدور العلوي يتجه عبرها المصلي من ساحة الحرم للدور الثاني بدون أن يزاحم الساعين بين الصفا والمروة .

وتوسعة المروة وفتح أبواب إضافية للمروة في الدور الأرضي والعلوي والتي نفست عن الحجاج والمعتمرين بحيث يستطيع المعتمر أن يخرج عبر هذه الأبواب لساحات الحرم بدون مزاحمه لإخوانه الحجاج والمعتمرين الساعين بين الصفا والمروة .

وعمل سلم درج من الراقوبه إلى الدور الثاني من المسعى وعمل جسر الراقوبه المؤدي لسطح المسجد الحرام الذي لا ينكر نفعه .

وتوسعة بداية المطاف من الدور العلوي من جهة الصفا حتى باب السلام توسعة كان لها صدى وأثر هام جداً وذلك بأعمدة انشئت من الأرض جهة باب النبي والعباس فكان عملاً مبروراً وفعلاً مشكوراً .

وإضافة عبارتين من جهة الشاميه تؤدي للدور العلوي .

وسلم درج يؤدي للدور العلوي من ساحة باب الملك عبد العزيز من الجهتين عن يمين باب الملك عبد العزيز وعن يساره ، إنجازات تمت بتوجيه ورعاية ولاة الأمر وبمتابعة شخصية من سماحته ، كل هذه الإنجازات كان لها الأثر الكبير في تخفيف وطأة الزحام وشدته جعلت الأكف ترتفع تدعوا لولاة الأمر بالتوفيق وعظيم الأجر وحسن الجزاء ، ومازال سماحته على رأس العمل يعطي بسخاء ويتابع بوفاء .

وبعد هذه النبذة اليسيرة عن الإشراف الديني على المسجد الحرام ، إليكم نبذة موجزه وترجمة مختصرة لبعض من تولوا هذه المهمة وتقلدوا شرف رئاسة هذه الوظيفة فمع سيرتهم الطيبة وتاريخ أعمالهم النيره دعونا نلج سدتهم العلية ونبدأ بسماحة الشيخ عبد الله بن حميد .

سماحة الشيخ عبد الله بن حميد

الرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام

١٣٨٤هـ - ١٣٩٧هـ

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد

الولادة : ولد رحمه الله تعالى في مدينة الرياض سنة ١٣٢٩هـ

المنشأ : نشأ وترعرع وتربى في مدينة الرياض ، وشب على ثراها ، وتعلم على مشائخها ، وحفظ القرآن في كُتّابها وهو صغير السن ، تلقى علومه على مشائخ علماء أجلاء فضلاً من خيرة أهل العلم في الرياض . منهم الشيخ حمد بن فارس والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض آنذاك والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن عتيق وغيرهم كثير .

ثم لازم سماحته الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ودرس عليه مختلف العلوم في الفقه والحديث واللغة وغيرها ، وانتفع بملازمته والقراءة عليه إنتفاعاً عظيماً حتى بلغ في العلم رُتبة مكنته من التدريس وهو صغير السن مما حدا بسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أن يختاره مساعداً له يقوم بتدريس بعض الطلبة الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم التي برع فيها في جانب المسجد عندما كثر عدد الطلاب في حلقة سماحته لما لمسه فيه من نبوغ وتمكن وثبات قدم وعلو كعب في شتى أنواع العلوم .

تولى سماحته في بداية حياته العملية عدة مناصب قضائية :

عينه جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله قاضياً في الرياض سنة ١٣٥٧هـ ، أستمر في عمله حتى سنة ١٣٦٠هـ ، عُين قاضياً في منطقة سدير ، استمر كذلك في عمله حتى سنة ١٣٦٣هـ نُقل إلى قضاء منطقة القصيم ، أستمر فيه حتى سنة ١٣٧٧هـ . عندها طلب الإعفاء من منصب القضاء الذي أمضى فيه عقدين من الزمن وكان فيه مثال العفة والنزاهة متصفاً بالقوة والشجاعة ، يحكم بالعدل وقوله الفصل . طلب الإعفاء ليتفرغ للعلم وطلبته لأنه شغوف به حريص على نشره ، وقد كانت له حلقات علمية طيلة أيامه في الرياض وسدير والقصيم ، وقد انتفع به خلق كثير لكنه أراد أن يعطي العلم كل وقته وجُل جهده فأجيب لطلبه .

وفي عام ١٣٨٤هـ أنشئت الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام ، فاستقطبه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، وجاء به إلى مكة المكرمة رئيساً عاماً لهذه الرئاسة التي تختص بالإشراف على التدريس والمدرسين وتعيين الأئمة والمؤذنين بالمسجد الحرام ، فسُر بذلك سماحة الشيخ عبد الله بن حميد أيما سرور لأنه صادف رغبة في نفسه أن يخدم العلم وطلبته في هذا المكان الطاهر المقدس ، فكان الإنجاز المثمر حيث كانت فترة رئاسته للإشراف الديني على المسجد الحرام من أخصب فترات التدريس وأزهرها ،

تولى بنفسه الإشراف والمتابعة لكل الإجراءات التي ترقى بمستوى الطلبة والمدرسين.

وبدأ بنفسه فعقد حلقة درس مسائية في المسجد الحرام ، التف حوله عدد كبير من طلبة العلم ينتهلون من معين مورده المتدفق .

وشجع بقية الزملاء من المدرسين في المسجد الحرام وحثهم على بذل قصارى الجهد في نشر العلم بين طلابه وأمد الطلبة بالمعونة وطبع على نفقة الرئاسة كثير من كتب السلف ووزعت على جميع طلبة العلم من المهتمين والمجاورين والحجاج والمعتمرين .

أستمر في هذا العمل بهمة ونشاط حتى آواخر عام ١٣٩٥هـ عُين سماحته رئيساً لمجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية إلى جانب عمله رئيساً للإشراف الديني على المسجد الحرام ، واستمر يجمع بين المهمتين حتى سنة ١٣٩٧هـ حيث صدر الأمر الملكي بإنشاء رئاسة عامة لإدارة شئون الحرمين الشريفين ، فاندرجت رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام تحت مسماها وهيكلها الوظيفي ، وأستقر سماحة الشيخ عبد الله بن حميد برئاسة مجلس القضاء الأعلى بمرتبة وزير، استمر رحمه الله تعالى يباشر مهماته في مجلس القضاء وغيره من الهيئات العلمية المحلية والدولية حتى ضعف جسده وشعر بوهنه وأشتد عليه مرضه سافر للعلاج خارج البلاد وعندما حان الأجل لبى النداء وسار إلى مغفرة ورضوان فأنتقل إلى جوار ربه رحمه الله تعالى ظهر يوم

الأربعاء الموافق ٢٠ / ١١ / ١٤٠٢هـ وصلى عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر من يوم الخميس ١٤٠٢/١١/٢١هـ حضر جنازته كثير من الأمراء والمسئولين والوجهاء وكبار العلماء وعامة طلبة العلم والمحبين وتبع الجنازة حشد هائل من المسجد الحرام إلى مقبرة العدل بجوار جبل النور حيث دفن هناك رحمه الله تعالى وعفى عنه .

آثـاره العلميـة :

هذا ولسماحته رحمه الله عضويات بارزة في هيئات محلية ودولية هامة جداً ، فهو عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

وعضو في المجلس الأعلى العالمي للمساجد .

وعضو في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة .

كما ترأس سماحته عدة هيئات علمية محلية ودولية :

فهو رئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

ورئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية .

ورئيس المجمع الفقهي بمكة المكرمة .

ولسماحة الشيخ عبد الله بن حميد من المصنفات العلمية في شتى علوم الشريعة الكثير منها :

الرسائل الحسان .

إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره .

غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود .

تبيان الأدلة في إثبات الأهلة

الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة .

توجيهات إسلامية .

كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر .

هداية الناسك إلى أحكام المناسك .

دفاع عن الإسلام

حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب .

هذا ولسماحة الشيخ من المشاركات الظاهرة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة الشيء الكثير ، رحم الله شيخنا وعوضه الجنة جزاء ما قدم للإسلام وأهله .

سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد

الرئيس العام لشئون الحرمين الشريفين

١٣٩٧هـ - ١٤٠٠هـ

هو صاحب السماحة والفضيلة معالي الشيخ ناصر بن حمد الراشد ممن أدرك الرعيل الأول من جيل العلماء الأجلاء، فلازم كبار علماء عصره ممن قدموا لدينهم وأمتهم وبلادهم أكبر التضحيات واجزل المعطيات فنشأ وتربى في أحضانهم واغترف من معين موردهم الصافي وأخذ عنهم جُل علومه ومعارفه وثباته على الحق ومبادئه .

أولئك العلماء الاعلام الذين تعلموا العلم لذاته رجاء الأجر والثواب يوم المعاد ، الذين زهدوا في الدنيا ومناصبها ولم يتخذوا العلم سلماً للمناصب والجاه ، وإنما طلبوا العلم لذاته إذ هو الغاية المقصودة والضالة المنشودة ، تحققوا به وتخلقوا فهو جمالٌ في هذه الدنيا الفانية وفلاح في الاخرى الباقية.

عن هؤلاء البررة العلماء الصادقين والدعاة المخلصين ورث سماحة الشيخ ناصر العلم والمعرفة واقتفى أثرهم سيرا على خطاهم فأحاط ذاته بسياج من التواضع والبعد عن مواطن الشهرة والتواري عن الأنظار فمحى ذاته وأحيى روحه بطلب العلم لذات العلم ورجاء ثواب الحق جل في علاه وبلغ في التواضع درجة قَلَّ من يُدرِكُها فرفعه الله تعالى مكانة قلّ من يصلها ، بلغ أعلى المناصب وأرقاها ، وتبوأ أرفع المقامات وأسماها لدى الحكام والمحكومين .

عمل في مجالات عده في مجال القضاء والحسبه ، تولى سماحته عدة مناصب قيادية أمضى فيها فترة من عمره منحها جُهده وعلمه وتفانيه واخلاصه فأثمرت تلك الجهود ثمار يانعة وانجازات هادفة ، تولى سماحته رئاسة تعليم البنات حُقبة من الزمن ، رقى فيها بمستوى التعليم مع المحافظة التامة على النهج الإسلامي الصحيح الذي تنشده الدولة أيدها الله تعالى في تعليم البنات اللاتي هن بناتٌ لنا واخوات وفي المستقبل أُمهات ، فجندت الدولة كافة إمكاناتها للرقي بمستوى تعليم الفتاة السعودية حتى وصلت بها إلى أعلى الدرجات العلمية .

تولى سماحته رئاسة هذا الصرح العلمي وحافظ على صفائه ونقائه وظل كذلك متفانياً في سبيل خدمة هذا المرفق الهام بكل جهد ووقت وخبرة وعلم ومتابعة شديدة واهتمامات أكيدة حتى بعد أن غادر هذا المرفق ليخدم دينه ووطنه ومليكه في منصب آخر ومرفق هام أيضاً وهو رئاسة الحرمين الشريفين أوصى بهذه الأمانة خَلَفَهُ سماحة الشيخ راشد بن خنين وذكّرَهُ ورَغبْ إليه في بذل كل الجهد مما يدل على أن سماحته غاية في الإخلاص وقمة في الشعور والإحساس، فهو يرى أن هذا الصرح الذي أمضى فيه فترة من عمره هو جزء من كيانه ، ثم جاء إلى مكة المكرمة رئيساً عاماً لشئون الحرمين الشريفين بمرتبة وزير وهو يرى نفسه جندي مجنداً لخدمة دينه ووطنه ومليكه في أي مرفق ومصلحة المهم أن يكون هناك ثمرة لجهده فبذل من الجهود غاية المجهود تنظيماً وإنجازاً ، تولى سماحته رئاسة شئون الحرمين واستلم الهيكل الإداري للرئاسة من وزارة الحج والأوقاف ورئاسة الإشراف الديني وكون الإدارات الخدماتية المباشرة في الحرمين ونظم الهيكل الإداري فكان شعلة نشاط في التنظيم والإنجاز وهو

بفطرته كما ذكرنا سالفاً يحب الجد والاجتهاد والمثابرة والإنتاج يدني منه من يلمس فيه شعار النشاط والإخلاص والجد والمثابرة ، رأى تلك الخصال في شخص سعادة الأستاذ عبد الله بن سعود بن خضير الذي جاء منتدباً من معهد الإدارة العامة لتنظيم العمل في رئاسة الحرمين الشريفين في بدء تكوينها فأصدر بثاقب نظره قراره القاضي بتعيين سعادة الأستاذ عبد الله بن خضير مديراً لمكتب معاليه فما خاب لمعاليه ظن لقد حقق سعادة الأستاذ بن خضير كل ما كان يرجوه سماحة الشيخ ناصر من تنظيم غاية في الإتقان مما جعل سماحة الشيخ يصدر أمره بتكليف الأستاذ عبد الله بن خضير وكيلاً للرئيس العام لشئون الحرم المكي الشريف واستقطب للصيانة العامة سعادة المهندس أحمد عبد الحميد يرحمه الله سعودي الجنسية الذي كان يشغل منصب كبير المهندسين الإستشاريين الباكستانيين (المكتب المشرف على مشروع توسعة المسجد الحرام من قبل وزارة المالية) فولاه إدارة الصيانة العامة برئاسة الحرمين الشريفين نظراً لما لمس فيه من جد وإخلاص ومثابرة وتفاني في العمل فتحقق على يديه من الإنجاز الشيء الكثير .

نعم .. أوردت هذين المثالين لأدلل على أن سماحة الشيخ ناصر رجل يقدر جهد العاملين ولا يُدني منه إلا من أدناه جِده واجتهاده ، فهذان الشخصان لم يكن له بهما أي صلة وإنما الرابط بينهما وبينه والقاسم المشترك هو الإخلاص في العمل والجد في أدائه والاتقان في إنجازه .

ولو أردت أن أسترسل لما استطعت أن أُحصي بعض ما أعرفه فضلاً عما لا أعرفه ، على كل حال سماحة الشيخ ناصر الراشد أكبر من أن يكتب عنه مثلي ولكن ظرف المناسبة دعى لتسطير هذه الأسطر عن سماحته بصفته رئيساً عاماً

لشئون الحرمين الشريفين وعموماً كان عهده عهد إزدهار وتنظيم وإنجاز .

قضى فترة من الزمن في هذا المنصب أخلص في الخدمة وصدق في أداء الواجب لدرجة أنه رُشح من قِبل رابطة العالم الإسلامي عضواً في مجمع الفقه الإسلامي فاعتذر بلطف لإنشغاله بشئون الحرمين ، كان شديد الحرص على عدم الإخلال بأداء أمانة العمل ، ظل كذلك حتى غادر منصبه ليأخذ قسطاً من الراحة فإن لنفسه عليه حقا ، ولكن ولاة الأمر حفظهم الله تعالى لما يعلمون فيه من صدق وإخلاص وكفاءة ولاه خادم الحرمين الشريفين رئاسة ديوان المظالم بمرتبة وزير ومازال على رأس العمل أمده الله تعالى بالصحة والعافية والعون والتوفيق .

هذا ولسماحته مشاركات علمية فقد ناقش كثيراً من رسائل الماجستير والدكتوراه في العقيدة ، وهو عضو في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

هذا بعض ما تيسر لي كتابته عن سماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد الذي من عادته كما أسلفت عدم حب الظهور ولا يحب أن يكتب عنه ويتوارى عن الأنظار لأنه أكرم من الله تعالى بتواضع جم محى به ذاته فأحيى الله تعالى روحه ورفع ذِكْرَهُ وشهر اسمه وما سمحت لنفسي بالتحدث عنه إلا للضرورة القصوى فأنا أترجم هنا لمن ولاهم ولي الأمر مهمة الإشراف الديني على المسجد الحرام وهو أحد أولئك الكرام فليعذرني سماحته إن لم أوفي بما وعدته من عدم الكتابة عنه أولاً وليعذرني ثانياً إن كان هناك إطراء أو مدح هو لا يحبه وإنما سبق السيف العذل فهذا بعض حق سماحته على شخصي الضعيف ، عفى الله تعالى عنا جميعاً ، والحمد لله رب العالمين .

سماحة الشيخ سليمان بن عبيد

الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف

١٤٠٠هـ - ١٤٠٩هـ

هو الشيخ سليمان بن عبيد بن عبد الله بن عبيد آل سلمي من تميم

الولادة : عام ١٣٢٧هـ .

المنشأ : نشأ وترعرع في البدائع بالقصيم ، شرع في قراءة القرآن الكريم وهو في السادسة من عمره وختمه على يد الشيخ حمود بن تلال ثم تعلم مبادئ الخط والحساب وبدأ تعليمه في المختصرات على الشيخ محمد العلي الوهيبي.

سافر لطلب العلم إلى الرياض عام ١٣٤٥هـ فحفظ القرآن الكريم وقرأ في التوحيد على الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ كما قرأ في أصول الدين والنحو على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وفي آخر عام ١٣٤٦هـ عاد إلى موطنة البدائع وأكمل مواصلة تعليمه على أيدي علماء القصيم في مدينة بريدة ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم والشيخ عمر بن محمد بن سليم على هؤلاء وغيرهم درس علوم الحديث والفقه ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي عام ١٣٥١هـ عاد إلى الرياض ليزداد من المعارف والعلوم فقرأ على علمائها ومنهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ صالح بن عبد

العزيز آل الشيخ وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وقد لازم الأخير مدة طويلة وأخذ عنه كثيراً في شتى علوم الشريعة كالحديث ومصطلحه والفقه وأصوله والتفسير والتاريخ والفرائض واللغة العربية .

وفي عام ١٣٥٨هـ رجع إلى موطنه البدائع وواصل دراسته على الشيخ عمر بن سليم في مدينة بريدة .

أعمالـه :

تولى القضاء في محافظة الزلفي ثم محافظة المجمعة من ١٣٦٩/١/١هـ حتى ١٣٧٢/١/٣٠هـ

ثم عُين نائب أول لمدير المعارف في ١٣٧٢/٢/٢٢هـ

ثم عُين رئيساً لمحاكم وهيئات المنطقة الشرقية في ١٣٧٣/٣/٢٨هـ كما رأس مكتب مراقبة المطبوعات بها .

ثم عُين عضواً بدار الافتاء في ١٣٧٦/٣/١٢هـ .

ثم عُين رئيساً للمحكمة الكبرى بالرياض في ١٣٧٦/١٠/٢٥هـ .

ثم رئيساً لمحاكم عنيزة عام ١٣٨١هـ .

ثم رئيساً للمحكمة الكبرى بمكة المكرمة في عام ١٣٨٣هـ

ثم رئيساً عاماً لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في ١٤٠٠/٨/١٨هـ بمرتبة وزير ، واستمر في هذا المنصب يبذل من الجهد أكثره وأخلصه ومن العطاء أجوده وأحسنه حتى شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٩هـ

عندها أحس انه بحاجة إلى فترة من الراحة يتفرغ فيها لنفسه فطلب من ولاة الأمر إحالته على التقاعد فأجيب لطلبه وأحيل على التقاعد .

هذه مناصبه الإدارية والقضائية التي افنى عمره في خدمة دينه ووطنه ومليكه من خلالها .

نشاطه العلمي :

كان سماحته عضواً بمجلس القضاء الأعلى وعضو بهيئة كبار العلماء ولجنة تحديد المشاعر وكان لسماحته دروس علمية في مسجد البلد الذي يحل فيه يدّرس الفقه والتوحيد والتفسير والفرائض والنحو .

له من التصانيف [1] :

١ - (تحفة النصيح بشرح غرامي صحيح) شرح فيه قصيدة غرامي صحيح في مصطلح الحديث .

٢ - شرع في إعداد تاريخ يبتدي من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا الحاضر قصداً منه في ربط الحاضر بالماضي إلا أنه لم يكمله نظراً لكثرة الأعمال المنوطة به .

٣ - وضع فلكاً للبروج الشمسية بدوراتها على الشهور القمرية لعرض المملكة العربية السعودية يبدأ من عام ١٣٤١هـ وينتهي في عام ١٤٠٠هـ ويشمل على تقويم الأوقات وطالع الفجر من المنازل ، ومدخله من البرج ظل الزوال ، وأسماء البروج ، وعدد أيامها ، وأسماء أيام الأسبوع ، إلى آخر ما أوضحه فيها .

---

(١) تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي ص ٤/١٤٧ للشيخ عبد الله بن محمد عايض الزهراني

تقلد وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود .

كان رحمه الله سمحاً خلوقاً متواضعاً ، يتودد لمحبيه ، ويحنو على الفقراء، ويرعى شئونهم ويسعى في قضاء حوائجهم .

استمر على هذا الحال حتى لقي وجه ربه ، توفى رحمه الله يوم ١٤١٦/٥/٢هـ ، وصلى عليه بالمسجد الحرام ، ودفن بمقابر العدل بجوار جبل النور بمكة المكرمة .

المراجع :

* ترجمة خطية بخط ابنه فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد
* كتاب : تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي - ص ٤/١٤٧
للشيخ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني

سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف

هو الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل عثمان الملقب (السبيل)

من قبيلة بني زيد المشهورة في منطقة نجد وبني زيد من قبيلة قضاعة وقضاعة من قحطان .

الولادة : ولد سماحته في مدينة البكيرية إحدى مدن القصيم عام ١٣٤٥هـ

المنشأ : نشأ وترعرع وتربى على ثرى البكيرية وأخذ عن علمائها الأفاضل، بدأ من الكتاتيب مروراً بالقُراء والحُفاظ ، وإنتهاءاً بكبار علماء ذلك العصر في تلك المنطقة.

فبعد أن تزود من الكتاتيب شرع في حفظ القرآن الكريم على والده الذي كان من المقرئين المجودين وعلى خاله المقرئ الشيخ محمد المحمود وغيرهم من مقرئي البكيرية .

فأتم حفظه عن ظهر قلب وهو في سن الرابعة عشر من عمره ثم قرأه بعد ذلك في مكة المكرمة على العالم السلفي الشيخ سعدي ياسين اللبناني رحمه الله ، أحد أعضاء رابطة العالم الإسلامي وله منه اجازة .

ثم طلب العلم على أيدي كبار علماء البكيرية فقرأ على الشيخ محمد بن مقبل آل مقبل قاضي البكيرية آنذاك ، وقرأه على شقيقه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السبيل والذي تولى قضاء البكيرية بعد الشيخ محمد آل المقبل وكانت جل قرائته عليه .

وقرأ على الشيخ محمد بن صالح الخزيم ممن تولى قضاء عنيزة والرس في القصيم وعلى الشيخ سليمان بن صالح الخزيم ممن تولى قضاء روضة سدير وغيرها . وعلى الشيخ صالح بن عبد الله الشاوي ، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخزيم ، وعلى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى حينما كان رئيس لمحاكم القصيم ، قرأ عليه ولازمه وأخذ عنه وانتفع به .

عن هؤلاء الأعلام تلقى جُل علومه في سائر الفنون الشرعية والعربية توحيداً وتفسيراً نحواً وبلاغة فقهاً وحديثاً ، عروضاً وتاريخاً .

ومن مشائخه في المسجد الحرام الشيخ المحدث أبي محمد عبد الحق الهاشمي والشيخ المحدث أبي سعيد عبد الله الهندي وله من هذين الشيخين اجازة في هذا الفن .

بدايته العملية :

بدأ سماحته مدرساً للعلوم الشرعية والعربية في أول مدرسة افتتحت في البكيرية من عام ١٣٦٧هـ حتى عام ١٣٧٣هـ عندما افتتح المعهد العلمي

ببريدة .عين فيه مدرس للعلوم الشرعية والعربية واستمر مدرساً فيه حتى عام ١٣٨٥هـ وخلال هذه الفترة كانت له دروس في المساجد والجوامع بعد صلاة العصر وبعد صلاة المغرب كما كان يخطب في أحد الجوامع ويدرس فيه

وفي عام ١٣٨٥هـ عُين بطلب من سماحة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام آنذاك إمامٌ وخطيب ورئيس للمدرسين في المسجد الحرام .

وفي عام ١٣٩٠هـ عُين سماحته نائباً لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام للشئون الدينية ، ثم أصبح نائب للرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٩٣هـ .

استمر سماحته في منصبه حتى عام ١٣٩٧هـ عندما أندرج مسمى الإشراف الديني على المسجد الحرام تحت مسمى الرئاسة العامة لإدارة الحرمين الشريفين ورئيسها بمرتبة وزير ، عين سماحته نائباً للرئيس العام بالمرتبة الممتازة .

واستمر في منصبه يبذل كل ما يملك من جهد وعلم خطابة وتدريس في المسجد الحرام ورحلات للعالم الإسلامي للدعوة والإرشاد ، وإشراف على شئون الكتب وتوزيعها حتى عُين سماحته رئيساً للرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بمرتبة وزير عام ١٤١١هـ فتضاعفت المسئولية وازدادت المهمة وهو بفضل الله تعالى لها ولكل ملمه .

لم يمنعه عمله الإداري والإرهاق الجسدي وازدحام الأمور والمهمات من

استمرار بث العلم والحنو على طلابه وتفقدهم فله مشاركات عديدة في ندوات والقاء محاضرات بالإضافة إلى عضوياته المهمة في عدة جهات وهيئات علمية محلية وعالمية ، فهو عضو في جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة منذ عام ١٣٨٧ هـ .

وعضو في هيئة التوعية الإسلامية في الحج منذ عام ١٣٩٣هـ .

وعضو في المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة منذ عام ١٣٩٨هـ .

وعضو في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

له نشاط بارز في نشر الدعوة :

شارك في عدة مؤتمرات إسلامية محلية وعالمية ، قام بجولات إرشادية لكثير من الدول الأفريقية والأسيوية ، زار الهند والباكستان وبنقلاديش بدعوة من علماء تلك البلاد وعمداء جامعاتها الإسلامية .

زار الجاليات الإسلامية في بعض دول أوروبا .

له أحاديث اسبوعية وبعضها يومية في اذاعة نداء الإسلام كما أن له مقالات في بعض الصحف والمجلات المحلية .

له من التصانيف الشيء الكثير نذكر بعضها :

ديوان خطب .

رسالة في حد السرقة .

رسالة في حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية .

رسالة في الرد على القاديانية .

كما أن له في قلوب الناس محبة ، فيه تواضع جم ، ذو خُلق رفيع بل كله أخلاق حميدة ، وخصال مجيدة ، غالب خطبه ومحاضراته عن الأخلاق ، يحاول جاهداً أن يوجد طلبة علم على مستوى عال من الخلق لأن الدعوة تحتاج إلى خلق النبي صلى الله عليه وسلم .

فطالما استمعت إليه وهو يتحدث عن هذا الجانب بانسياب يسلب اللب ويسبي العقل ، بقول رشيد ورأي سديد ، ذو حكمة وفطنة ، يعرف كيف يدني البعيد، أسر بكرمه كل محبيه وشمل بعطفه طلبته ومريديه .

من مراجع الترجمة :

نسخة مصورة من ترجمة ذاتية لسماحة الشيخ محمد السبيل من إعداد ابنه فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عمر بن محمد السبيل عميد كلية الشريعة سابقاً إمام وخطيب المسجد الحرام عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى .

الفصل الثاني

المسجد الحرام في قلوب المحبين

طلائع الزوار .

أيها المقبل مرحا .

تأثير الحرم في نفس المسلم .

الهي يامن تعلقت بك القلوب الوالهة ، ويامن تُباهي بالذاكرين من عبادك الملائكة ، اهدنا لصراطك ووفقنا لذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، واجعلنا من أهل محبتك وطاعتك .

آما وقد استعرضنا بعض إنجازات واهتمامات الملك عبد العزيز وبنيه لهذا الحرم ، دعونا نستعرض بعض الصفحات التي تتجلى فيها بعض مشاعر وأحاسيس المؤمنين نحو هذا الحرم الأمين .

لنعلم مدى ما حبى الله تعالى آل سعود الميامين من شرف أفخم ومقام سام أكرم بخدمتهم لهذا المكان الطاهر المقدس الذي يحتل سويداء القلوب من كل المؤمنين وتشتاقه أرواحهم كل وقت وحين ، فمع المحبين الصادقين وأرق عباراتهم وأجمل تعبيراتهم عن مدى تعلقهم بهذا البيت العتيق .

المسجد الحرام في قلوب المحبين

لقد عظم من شأن هذا البيت العتيق الحق جل في علاه ، فكرمه وشرفه وعظمه وقدسه، جعله حرماً آمناً ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يختلي خلاه ، دعى الناس لحجه ، ووعد الحاج بمغفرة ذنبه ، فأستجاب لذلك من أستقر الحب في قلبه ، فعقد عزمه وشد رحله ، وسار في ركب المحبين ، واصلوا الليل بالنهار ، يحثون ركائبهم حتى أضنوا مراكبهم ، تتناقلهم الأودية والوهاد ، وحالهم بالنهار شوق وبالليل سهاد ، ساروا على منهج الحب ، أفئدتهم من الشوق تكاد تطير .

لله در ركائب سارت بهم ... تطوى القفار الشاسعات إلى الدجى
قصدوا إلى البيت العتيق وقد شجا ... قلب المتيم منهموا ما قد شجا
نزلوا ببيت لا يخيب نزيله ... وقلوبهم بين المخافة والرجا

إن هذا البيت العتيق ، هو الحمى والحصن ، تهوى إليه الأفئدة وتتعلق به الخواطر وتأنس فيه الأرواح :

هي البلد الأمين وأنت طه ... فطاها ياأمين فأنت طه
ووجه حيث كنت كذا إليها ... ولا تعدل إلى شيء سواها
فوجه الله قبلة كل حي ... لمن شهد الحقيقة واجتلاها

وهذا البيت بيت الله فيه ... إذا شاهدت في المعنى سناها
فهلل عند مشهده كفاحاً ... وزمزم عند زمزمه شفاها
وقل بلسان عرفك في رُباها ... لنفس في منى بلغت مناها
إليك شددت يامولاي رحلي ... وجئت ومهجتي تشكو ظماها
وهاأنا جار بيتك ياإلهي ... وبالاستار ممتسك عراها
وللجيران والضيفان حق ... على الجار الكريم إذا رعاها
إليك شفيعنا الهادي محمد ... ومن قد حل جهراً في حماها
شفيع الخلق يوم الحشر حقا ... رسول الله أقوى الخلق جاها
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة غير منحصر مداها

إن هذا الحمى العتيق هو مأوى الروح يقصده العُبّآدُ ، وترنوا إليه أرواح كافة العِبآدْ ، كيف لا وقد جعله الله تعالى قبلة للناس كافة ، وأمرهم بالتوجه إليه في الصلاة خاصة .

إذاً فما من مؤمن يقف بين يدي ربه ومولاه إلا وهو متجه لهذا البيت بالروح والجسد ، ومادام الأمر كذلك فشوقهم إليه عظيم لأن قلوبهم قد ملئت حباً عميقاً وأرتبطت به إرتباطاً وثيقاً ولله در قائلهم ذاك المحب الصادق :

أهيم بمحبوبي وما يعرفونه ... ولو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا

نعم لا يعرف الشوق والاشتياق إلا من هامت روحه وذاق .

إن للمحبين الصادقين حول هذا البيت دندنة ، ولهم في حب مولاهم العظيم

همهمة ، تراهم حول الكعبة طائفين ، وبالأستار متعلقين ، وتحت الباب واقفين ولسان الحال يقول :

ياحبيب القلوب مالي سواكا ... فأرحم اليوم زائراً قد أتاكا
عيل صبري وزاد فيك أشتياقي ... وأبآ القلب أن أحب سواكا
أنت سؤلي وبغيتي ومرادي ... ليت شعري متى يكون لقاكا
ليس قصدي من الجنان نعيماً ... غير أني أريدها لأراكا

ياسبحان الله ...

من سعادة المرء أن يُكْرَم بصادق الحب وخالصه للحق جل في علاه ، فإن لهذا الحب على النفس تأثير هام وأثر ه ظاهر عام ، فإن المحب تجده دوماً يتتبع خُطى الشريعة ويتلمس رضا الحق جل في علاه في كل أمره صغيره وكبيره ، يود أن يكون كما أراد الله له أن يكون قائماً بالأمر مُتْبعَاً للشرع مبتعداً عن الحرام مجتهداً في الطاعة وهكذا تسمو به الأماني وترقى به الأعمال : ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (١) .

وما من شك ولا ريب أن حُبْ الديار يدل على حب أهلها ومكة والمدينة هي أحب البقاع إلى الله تعالى وإلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فبالفطرة الإيمانية تشتاق كل نفس مسلمة لهذه الديار المقدسة : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(٢) .

(١) سورة الشورى - آية : ١٣ .
(٢) سورة الحج - آية ٣٢ .

والوصول لهذه الرحاب وهذا الحمى هو غاية المقصد والمُنى :

ياسائقاً غن النياق وزمزما ... أبشر فقد نلت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة ... وتقول أن بها المُنى والمغنما
بَرّد بماء سقاية العباس ما ... كابدته طول الطريق من الظمأ
فأنهض وهرول بين زمزم والصفا ... وأدخل إلى الحَجَرِ الكريم مسلما
ومقام إبراهيم زره مبادرا ... وبِحِجْرِ إسماعيل صلِ معظما
وانظر عروس البيت تجلى حسنها ... للناظرين ولذ بها مستعصما
فهي التي ظهرت فضائلها فلا ... تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنسان إلا باكيا ... فرحاً بها أو ضاحكاً متبسما
والنور من أحشائها لا يختفي ... أبداً وإن جن الظلام وأعتما
ومن العجائب أنها محروسة ... والصيد فيها لا يزال مُحَرَما
تختال في حلل السواد وبابها ... بالنور منه مبرقعاً وملثما
هي كعبة المولى الكريم وكل من ... وافى إليها حقه أن يكرما
ما منهموا إلا ذليل خاضع ... باك على زلالته متندما
يارب قد وقفت ببابك عصبة ... يرجون منك تفضلاً وتكرما
ذا طالباً فضلاً وذا مقتصدا ... مما جناه من الذنوب وقدما

هذا حال من وصل بعد طول عناء ، إلى هذه الرحاب الفيحاء ، والرياض النظرة الغناء ، التي هي مرتع خصب للأولياء .

أما الأرواح ففي هذا المكان لها شأن عظيم ، فهي تحن إليه منذ زمن قديم ، فما أن حلت الأشباح حتى أرتقت الأرواح ، فالأشباح بالطاعة مشغولة ، والأرواح في عالم الأنس محبورة ، والألسن بالدعاء لَهِجَةْ ، والقلوب بالأنوار مُتَوَهِجَة ، يسود الجمع سكون وضجيج ، سكنت أرواحهم في جنبات الحرم ، ولَجّتْ وضَجّتْ ألسنتهم بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، يطوفون حول الكعبة وهم في غاية الفرح والسرور ، يُصَلّونَ خلف المقام بحضور تام ، يدخلون الحِجْرَ ويكثرون من الذكر ، يقف أحدهم بالباب ملتزماً بالأعتاب ينادي ربه بصوت ندي وقلب خاشع شجي وعين باكية :

يامالكي ياخالقي يارازقي ... يامن إليه تحركي وسكوني

إني ضعيف عن عذابك سيدي ... ومقصر عن حمل قبح ذنوبي

إنه في مقام لا ينفع فيه إلا الوقوف بالذل والاقرار بالذنب والتوجه الصادق بطلب العفو والغفران والأخذ بالعزم الأكيد على التوبة النصوح .

يامن إذا أبصرني معرضا ... وليس فعلي عنده مرتضى

لي رحمة التوحيد لا غيرها ... وهي لقد تدخلني في الرضا

ما حيلتي إلا الرجاء سيدي ... فاعف بفضل منك عما مضى

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة المائدة - اية : ٨٥ .

إن هذه الرحاب الطاهرة محط نظر الله ، ومهبط أهل القدس ، ومجمع أهل الأنس، الأفئدة تهوي إليها وتأوي في رقرقه ورفرفه ، لا يصبر على البعد عنها مشتاق إذا ذُكرت للمحب الصب الولهان حَنّ وأنّ ، ومَنّى النفس بِلَعلّ وعسى وبات يجأرُ إلى ربه ومولاه بدموع مغرورقة ومهجة متوقدة ونفس متحرقة :

ألا أيها الصب الذي شاقه الحمى ... فأضحى كئيباً مستهاماً متيما
حليف سقام ساهر الليل باكياً ... تسح لفرط الشوق أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه ... على نفسه من شدة الوجد مأتما
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه ... وان سألوا عن غيره كان أعجما
تذكر أياماً مضت من شبابه ... وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره ... ويخدم مولاه إذا الليل أظلما
يقول إلهي أنت سؤلي وبغيتي ... كفى بك للراجين سؤلاً ومغنما
فذلك ينجيه الجليل بعفوه ... ويسكنه الفردوس فيها منعما

﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

نعم إن زفرات المحبين تنم عن حالهم وهذا الوصف هو بعض مقالهم

هل الحب إلا لوعة وحسرة ... تنم عليها زفرة وغرام

وهذا هو حال أهل الصدق مع الله تشرئب قلوبهم وتتطاول أعناقهم لهذا الحمى شوقاً وطربا :

(١) سورة الزمر - آية : ٦١ .

ياعاذل المشتاق دعه فإنه يطوي على الزفرات غير حشاكا
لو كان قلبك قلبه ما لمته حاشاك مما عنده حاشاكا

وما هذا الشوق والوَلَهُ واللوعة واللهْفُ للكعبة وحماها إلا تعبير فطري يظهر في عالم المحسوسات حباً للحق جَل في علاه وشوقاً إليه :

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ (١) .

هذا البيت الحرام يُذكِّرُ بصاحبه جل في علاه ، فالبيت العتيق عند أهل التحقيق هو الرمز وإلى غيره الإشارة : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ (٢)

لا إله إلا الله أكرم بها من شاء من عباده فكسى قلوبهم بأنوار هدايته ورقى بأرواحهم في عالم الشوق إلى لقائه فأشتغلت جوارحهم بطاعته وشُغِلَتْ مُهَجُهُمْ بمحبته ، فتاهوا به فخراً وزهواً والعبد يزهو على قدر مولاه ، وحق لهم أن يفرحوا ببشارة : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (٣) فهنيئاً لهم ما هم عليه :

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه
وطوبى لصب أنت ساكن سره ولو بان عنه الفه وقريبه
وماضر صبٌ أن يبيت وماله نصيب من الدنيا وأنت نصيبه
ومن تك راضٍ عنه في طي غيبه فما ضره في الناس من يستعيبه

---

(١) سورة طه آية ٧٥
(٢) سورة الكهف آية ٣٨ .
(٣) سورة فصلت آية ٣١ .

هذه بعض نفحات من شُغِفَتْ قلوبهم حباً وأزداد عليهم وجد الصبابة صبا ونفثات من سرى بهم حادِي الحنين في ليل السهاد نحو هاتيك البلاد .

هذا هو الحرم وهذه مكانته في قلوب المؤمنين لأنه محور شعائرهم ، ومظهر وحدتهم ، وسر اجتماعهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

والمقصد والمراد والوجهه ، هو الله جل في علاه :

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٢)

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الحجرات - آية ١٠ .
(٢) سورة الزمر - آية ٦٦ .
(٣) سورة البقرة - آية ١٦٣ .

البيت العتيق وطلائع الزوار

وما أن لاحت شوارق الأنوار لطلائع الزوار، وشارفوا على المضارب ، وقاربوا أطراف الحمى ، وهبت عليهم نسمات الرضا ، وتوالت عليهم نفحات القبول .

وأعظم مـــا يكون الشـــوق يومـــاً إذا دنت الخـــيـــام من الخـــيـــام

إلا ورفرفت الأرواح لهفة واشتياقا وتمايلت الأشباح فرحاً وابتهاجا وأزدادت النفوس لوعة واضطرابا .

هنالك تعـارفت الأرواح وتآلفت وفي هذه السـاحات تصافـحت وتعـانقت ووجدت كل نفس مناها ، إنهـا رحاب طاهرة تعـشقهـا النفوس الزكـيـة وتأوي إليهـا القلوب التقيـة المخلصة النقيـة ويحصل لها أنس عظيم يقف أحدهم بالذل متجرداً من المخيط والمحيط متعلقاً بالحق جل في علاه : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (١) مستشعراً حرمة المكان ، ورهبة المقام ، يناجي ربه ، ويذرف دمعه، وقد غسلت دموعه وجنته ، وبللت لحيته ، لا تستوعبها يداه ، ولا تقله على الأرض قدماه ، في أي بقعة من تلك الرحاب خلف المقام أو في الملتزم عند الباب ، أو في داخل الحِجر تحت الميزاب ، يقف مشدود الفؤاد مسمر الجوارح ،

(١) سورة النمل - آية : ٦٢ .

لا تكاد عيناه ترفان ، يتمنى لو أن أجله قد حان ، لما يشعر به من إيمان واطمئنان : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (١) .

نعم إنها رحاب لها تأثير على النفس لا يخفى وللأرواح فيها أسرار بها تَرقى .

سر الشوق إلى بيت الله الحرام سر عجيب وأمر غريب يدفع المسلمين للسُرى نحو هآتيك الرحاب يقطعون الفيافي والقفار ويُحَلِقُونَ في جو السماء ويركبون البحار .

أعلمتم أن النسيم إذا سرى حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى

نعم ..

إنه سر لا يدرك إلا بالروح ولا يتذوق إلا بالوجدان .

ليس دواء المحب داء يداوي إنما برؤه لقاء الحبيب

وفي الحقيقة هذا الشوق ، وهذه اللهفة إنما هي من لواعج الصدق وركائز الإيمان وهي علامات الحب الصادق للحق جل في علاه لأن هذه البقاع إنما هي مشاعر تؤدي فيها شعائر والمؤمنون حقاً لما عرفوا بجلاله جل في علاه خضعوا والمذنبون لما سمعوا بعفوه جل في علاه طمعوا .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الاسراء آية ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف اية : ١٦ .

أيها المقبل مرحا ... هذه المشاعر بك فرحا

نعم أخي المحب ، هذه جنبات المسجد الحرام وعرصاته ، وهذه أروقته وساحاته ، وهذا الحِجْرُ والحَجَرُ وزَمْزَمُ والمُلْتَزمُ وصخراتُ المروة مع الصفا .

الكُل بِكَ مسرورٌ وقد زان لك به الوقت وصفا ، زال عنك التعب وهآ أنت في روضات أُنس لا صخب فيها ولا نصب ، فاغتنم الوقت وأبذل الجهد ، وحث الخطى ، وسارع إلى عفو وغفران ، وألزم الأدب في هذا المكان ، فهو مكان حَري بالتعظيم جدد التوبة وكرر الندم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(١) .

حاول أخي وفقني الله تعالى وإياك أن تجاهد نفسك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وتأخذ بالفضائل وتتشبه بالكرام فإن العارفين وأولي النهى يدلجون ويحثون الخُطى ديدنهم الذكر وسيماهم الصمت والفكر يعملون بالشريعة والكتاب يترسمون خُطى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الآل والأصحاب : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (٢) .

فكن بهم متشبها إن التشبه بالكرام فلاح إنهم صدقوا في محبتهم وتعلقوا بمحبوبهم وعلامة محبة الله جل في علاه هي محبة القرآن الكريم ومحبة النبي

---

(١) سورة فصلت : آية ٣٠ .

(٢) سورة محمد : اية ١٧ .

العظيم صلى الله عليه وسلم ومحبة المؤمنين .

يقول أحد المحبين : لا يكون العبد مريداً حقاً لمولاه جل في علاه حتى يجد في القرآن كل ما يريد ، وعلامة حب القرآن الكريم حب أهل القرآن وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار فعليك أخي المحب أن تكون مثالاً يُحْتَذَى ونِبْراساً يُقْتَدَى بعد عودتك من هذا الحمى ، تعود لبلدك وأهلك وولدك وجيرانك وعشيرتك وعليك من آثار القبول مسحة وفي صدرك فسحة متبعاً لهدى النبي صلى الله عليه وسلم محباً لله تعالى حقاً وقد قيل أشد الناس حباً لله تعالى أحسنهم تخلقاً بأخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق .

فعد أخي وقد ظهر عليك من نور العلم وبهاء الحلم وحسن الخلق ما يجعل منك أسُوة حسنة في الدعوة إلى الله تعالى بأخلاقك الحميدة وخصالك المجيدة علماً وأدباً ، تربية وخلقاً ، قولاً وسلوكاً ، منهجاً وفعلاً ، صياماً وقياماً ، سعياً في الأرض ، بحثاً عن الرزق ، وطلباً للعلم ، دوام عمل بلا كلل ولا ملل .

الأنس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نُجب ... وكلهم صفوة لله عمال

هذه بعض آمال المحبين ، رجاء أن يعودوا طلائع الزوار بها محملين بعد أن جاءوا لهذا الحمى الأمين : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الجاثية : اية ٣٠ .

أثر الحرم في نفس المسلم

إن للأرواح في هذه الساحات المباركة شأن هام ولهذا الحرم على النفس تأثير عام .

عن أثر الحرم في نفس المسلم يحدثنا فضيلة الشيخ علي الطنطاوي بأسلوب كريم ، وقول جميل ، عن مدى تأثير الحرم في النفوس ، ويستشهد بقصة واقعية كدليل على هذه القضية .

يقول فضيلته [1] : كنت في مصر من بضع سنين ، وكانت في الجامعة بعثة من الطلاب تستعد لتمضي إلى الحج ، فعلق بها طالب يعرفه اخوانه شيوعياً خبيثاً ، حرباً على الإسلام وأهله ، مجادلاً لدعاته ، فأبوا عليه الصحبة ، وألح هو ، راغباً فيها ، فخبرني بذلك إستاذ في الجامعة ، فقلت له : أنا أرى أن تأخذوه معكم ، فلعل الله قد أذن بصلاحه ، فبعث هذه الرغبة في نفسه ، فاستبعد ذلك . فقلت له : ان هذا الطالب كالألآف من أمثاله ، ممن نشأ على الإسلام ورُبي عليه في بيته فرسخ الإيمان في قلبه ، لأن الكفر والإيمان ومبادئ الخير والشر إنما يكون رسوخها في سن الطفولة والصبا ، إنه مؤمن في قرارة نفسه ، ولكن ضعف الدعوة إلى الحق ، وقوة الدعوة إلى الباطل هي التي

(١) في كتابه من نفحات الحرم .

صارت به إلى هذا المصير ، إنه طلاء إذا سطعت عليه شمس الحجاز أذآبته فكأنه ما كان .

وأخذوا برأيي وصحبوه . ولما رجعوا ولقيت هذا الأستاذ قال لي : لقد كان ما قدرّت ، ولكنه كان شيئاً عجيبا . دهش له كل من كان معنا حتى الطالب نفسه ، فإننا ما بلغنا حدود الحرم ونزعنا ثيابنا حتى تَبَدّل نفساً بنفس ، كأنما نَزَع مع الثياب دنياه كلها من قلبه ، وأفكار السوء من رأسه ، وترك الباطل الذي كان يحيا فيه ، وعاد الفتى المؤمن يجهر بالتلبية أكثر من جهرنا ، ويخشَعُ لها أشد من خشوعنا ، فحسبنا ذلك تظاهراً منه لنا ، وتزلفاً إلينا ، حتى إذا بلغنا باب الحرم وبدت لنا الكعبة ، غلبت عليه حال يستحيل أن تكون تصنعاً وتمثيلاً وراح يبكي وينشنج حتى لقد أبكانا ، ثم كان أكثرنا صلاة وطوافاً واستغراقاً في العبادة .

قلت : هذا أثر الحرم في نفس المسلم ، وهب أن هذا الشاب كان فاسقاً أو كان شيوعياً . أفما صلى مرة واحدة في عمره ، أما رأى من يصلي ؟

فكيف يصلي ولا يتعلق بهذا البيت ؟

إن المصلين يتوجهون جميعاً ، من آفاق الأرض الأربعة ، خمس مرات كل يوم إلى هذه البنية السوداء ، يقومون صفوفاً وراء صفوف ، يتصورنها على البعد من وراء الجبال والبحار ، وقلوبهم تهفوا إليها ، أكثر مما يهفو إلى المحبوب قلبُ العاشق الهيمان ، وبينهم وبينها من البعد ألف حجاب ، فلا يزال

الحاج منهم يقطع الأرض يدنوا منها ، وكلما دنا وأرتفعت له الحجب ، حجاباً بعد حجاب ، زاد به الشوق خطوة بعد خطوة ، حتى يأذن الله بالوصول ، فإذا هو في حضرة القدس ، وإذا هو يلمس بيده جدرانها ، ويقبل حجرها ، ويتعلق بأستارها ، وإذا هو في لذة من لذائذ الروح ، لو اجتمعت أقلام أدباء البشر من كل لسان لما استطاعت وصفها ، فإذا مشى في الموكب الأزلي ، الموكب الذي بدأ يسير من عهد سيدنا إبراهيم لم ينقطع أبداً ، موكب الطهر الذي يسير في الحر والقر ، وفي السلم والحرب ، وفي الليل والنهار ، على مدى الأيام وكر الليالي ، موكب الطائفين أحس كأن قد حل عنه قيد الزمان والمكان ، فرأى الزمان كله قد اجتمع هنا ، والمكان كله هنا ، الشام هنا ومصر هنا والعراق وفارس وهنا أفريقيه والمغرب ، والسند والهند ، وجاوة والأرض المسلمة كلها ، والماضي هنا ، والحاضر هنا .

في هذا الموكب يمشي سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ، وسيدنا محمد سيد الرسل صلى الله عليهم أجمعين والصحابة والتابعون والخلفاء والأئمة الفاتحون ، والمسلمون كلهم من كان منهم ومن سيكون ، فما من مسلم يطوف حول الكعبة إلا أحس أن وطنه الحق ها هنا ، لا البلد الذي ولد فيه ، وشهد مدارج طفولته ، وملاعب صباه .

فهل تراه يفكر في غيره ليستطيع أن يبحث عن الصلات الروحية بينه وبين ذلك الوطن . أهـ .

وإليكم إيضاً هذه الأسطر عن أثر الحرم في نفس المسلم أنقلها لكم من كتيب [1] أصدرته دار الوفاء بمصر ومكتبة شمس بالرياض ، عنوانه رحلتي من الظلمات إلى النور ، لشمس البارودي ، من اعداد عزة الجرف وتقديم الداعية الإسلامية زينب الغزالي . والكتيب يتحدث عن قصة توبة شمس البارودي واعتزالها التمثيل والتزامها بتعاليم دينها وارتدائها للحجاب .

بعد أن تحدثت شمس البارودي عن نفسها ومراحل مسيرتها حتى وصلت للحرم المكي في أول عمرة لها تقول :

وفي الحرم المكي الشريف ، وجدت العديد من الأخوات المسلمات اللآتي يرتدين الحجاب وكنت أفضل دوماً البقاء في الحرم لأقرأ القرآن ، وفي احدى المرات أثناء وجودي في الحرم بين العصر والمغرب ، التقيت بإحدى الأخوات المؤمنات الصادقات ، قرأت عليّ أبياتاً من الشعر الذي كتبته ، فبكيت ، لأنني أستشعرت أنها مست شيئاً في قلبي ، وكنت في تلك الفترة تراودني فكرة الحجاب كثيراً ، ولكن الذين من حولي كانوا يقولون لي : انتظري حتى تسألي زوجك .. لا تتعجلي أنت مازلت شابة ، ولكن رغبتي دائماً في ارتداء الحجاب ، فجاءت هذه القصيدة وهي قصيدة طويلة ، أبكي كلما تذكرتها ، أستشعر أنها تتحدث بلسان حالي ، وأنها مست شغاف قلبي ، أذكر منها هذه الأبيات :

---

(١) أصل هذا الكتيب نقل من حديث في جريدة النور. نشر في ٢٢ جمادي الآخرة ١٤٠٨هـ .

فليقولوا عن حجابي ... لا وربي لن أبالي
قد حماني فيه ديني ... وحباني بالجلال
زِينتي دوماً حيائي ... واحتشامي هو مالي
ألآ إنّي أتولى ... عن متاع لزوال
لآمَنِي الناس كأني ... أطلب السؤ لحالي
كم لمحت اللوم منهم ... في حديث أو سؤال
لا وربي لن أبالي ... لا وربي لن أبالي

وبعد ذلك خرجت من الحرم لأداء العمرة عن أخت لي من أبي توفيت وكنت أحبها كثيراً رحمها الله ، وبعد أداء العمرة ، لم أنم ليلتها ، وشعرت بضيق في صدري رهيب ، وكأن جبال الدنيا تجسم فوق أنفاسي وكأن خطايا البشر كلها تخنقني ، كل مباهج الدنيا التي كنت أتمتع بها كأنها أوزار تكبلني ..

وسألني والدي عن سبب أرقي ، فقلت له أريد أن أذهب إلى الحرم الآن ولم يكن الوقت المعتاد لذهابنا قد حان ، ولكن والدي - وكان مجنداً نفسه لراحتي في رحلة العمرة - صحبني للحرم ، وعندما وصلنا أديت تحية المسجد وهى الطواف ، وفي أول شوط من الأشواط السبعة ، يسر الله لي الوصول إلى الحجر الأسود ، ولم يحضر على لساني غير دعاء واحد لي ولزوجي ولأولادي ولأهلي ولكل من أعرف .. دعوة بقوة الإيمان ، ودموعي تنهمر في صمت ودون إنقطاع .. طوال الأشواط السبعة لم أدعُ إلا بقوة الإيمان ، وطوال الأشواط السبعة أصل إلى الحجر الأسود وأقبّله ، وعند مقام إبراهيم عليه السلام وقفت

لأصلي ركعتين بعد إنتهاء الطواف ، وقرأت الفاتحة ، كأني لم أقرأها طوال حياتي واستشعرت فيها معان اعتبرتها منّة من الله ، وكأن الله أنزل عليّ بعض رحماته فشعرت بعظمة فاتحة الكتاب ، وكنت أبكي وكياني يتزلزل وطوال الطواف استشعرت كأن ملائكة كثيرة حول الكعبة تنظر إليّ استشعرت عظمة الله كما لم أستشعرها طوال حياتي [١] .

أحسست بكل كلمة وكل حرف في سورة الفاتحة وكأنها تجسد أمامي عظمة الله سبحانه وتعالى ثم صليت ركعتين في حجر إسماعيل عليه السلام ، وحدث لي نفس الشيء ... كل ذلك كان قبل الفجر وجاءني والدي لأذهب إلى مكان النساء لصلاة الفجر عندها كنت قد تبدلت ، وأصبحت إنسانة أخرى تماماً [٢] .

وسألني بعض النساء ، هل ستتحجبين ياأخت شمس ؟ فقلت بإذن الله ، حتى نبرات صوتي قد تغيرت ، وتبدلت تماماً [٣] ، هذا كل ما حدث لي ، وعدت من وقتها لم أخلع حجابي وأنا الآن في السنة السادسة منذ أرتديته ، وأدعو الله أن يحسن خاتمتي وخاتمتنا جميعاً أنا وزوجي وأهلي وأمة المسلمين جمعاء . أهـ .

---

(١) يالها من لحظات أنس بالله وحضور مع الله مَنّ الله تعالى بها على أمته في حرمه وبيته .

(٢) لاحظ اللفظ تقول بأنها تبدلت وأصبحت انسانة أخرى ، يالها من نفحات يَمن الله بها على من يشاء من عباده .

(٣) ياسبحان الله هذا الحرم وهذا تأثيره لأنه من مواطن إستجابة الدعاء حقق الله لها النصر على نفسها في هذه الرحاب .

يالها من لحظات إيمانية قضتها هذه الأمة المؤمنة في رحاب الحرم وكانت نتاجها كل خير وبر وتوفيق .

نعـــم ..

هذا هو تأثير الحرم في نفس المسلم ، لقد خالط الإيمان شغاف قلب هذه الأمة المؤمنة التائبة الصادقة المتوجهة المخلصة ، فتأثرت هذا التأثير وعزمت عزماً أكيداً على ارتداء الحجاب والإلتزام بتعاليم الإسلام واعتزال التمثيل واجتناب اللهو واللغو واصرت على ذلك بل وأبعد من هذا .

حيث أنتهجت منهج الدعوة فهيأت نفسها للدعوة وفرغت وقتها لخدمة زوجها ورعاية شئون بيتها والقيام بتربية أولادها على النهج الإسلامي ، خدمة لدينها وأداء لواجب الإسلام عليها ، هذا حالها منذ ما يقارب سبعة عشر عاماً ، كل هذا بفضل الله تعالى ثم بتأثير الحرم على هذه النفس المؤمنة ، لذا لم تنقطع عن مواصلة الحج والإعتمار فهي على صلة دائمة تعتمر كل سنة مرة وتحج كل عام برفقة زوجها الأستاذ حسن يوسف لتعلق قلبيهما بالكعبة حباً وولها وكلما زاد البعد زاد الشوق واللهف ، ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1] .ويفضل سلوكها الحسن وإلتزامها المنهج القويم هدى الله تعالى بها خلقاً كثيرا [2] .

---

(١) سورة النور - آية : ٣٨ .

(٢) أول المتأثيرن بها والمنتفعين زوجها الأستاذ حسن يوسف حيث التزم المنهج الصحيح وأصبح في مجال عمله داعية إسلامي فله كثير من الأعمال منها قطار المستغفرين والموسوعة الإسلامية وأركان الإسلام للأطفال وغير ذلك الشاهد أنه أصبح يعمل لخدمة الإسلام في مجال تخصصه .

الفصل الثالث

المسجد الحرام وما له من الخصائص وما فيه من الآثار

تعريف شامل بمعنى المسجد الحرام

المسجد الحرام في القرآن الكريم

الكعبة المشرفة

الكعبة ومراحل البناء

الكعبة الغراء في قلوب المؤمنين الأتقياء

فضل النظر إلى الكعبة المشرفة

فضل الطواف حول الكعبة المشرفة

الحجر الأسود

الركن اليماني

الملتزم

حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام

مقام إبراهيم

زمزم

المسجد الحرام وحلقات دروسه العلميه

وبعد ..

هذا هو الحرم في قلوب المؤمنين حباً وأثراً هاجت قلوبهم لزيارته ، واشتاقت انفسهم لأروقته وساحته ، وما أن يصل أحدهم إلى هذه الرحاب إلا وينطلق لسانه بأجمل خطاب يناجي ربه العزيز الوهاب : (إلهي لك الحمد على ما يسرت من أسباب الوصول لحرمك وسهلت ، اللهم إنك هيجت قلبي القاسي على الشخوص إلى حرمك ، وقويت أركاني الضعيفة لزيارة عتيق بيتك الحرام ، وبلغتني لأشهد مواقيت حرمك وأمنك .

إلهي من يوم وجودي لم أزل ذاهباً إليك منجذباً بانجذاب خاصية فيّ منك أنت تعلمها ، فضائي ، ورسمي ، وظلي ، وجزئي ، وكلي ، ساجد لوجهك مسبح لك بما يسبحك به سكان ملكوتك وملكك .

اللهم رب الملائكة المقربين ، ورب الأنبياء والمرسلين ادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين أسألك اللهم أن تغفر لي ياملاذ العائذين المستجيرين ، ياملجأ المضطرين) .

هذا بعض الشعور والإحساس ينتاب بعض المحبين من الناس فتهوى أرواحهم والأفئدة نحو هذه الرحاب المقدسة .

دعونا إذاً نستعرض بعض خصائص هذا المسجد الحرام وما فيه من الآثار باقتضاب سريع .

تعريف شامل لمعنى المسجد الحرام

في كتابه الجامع اللطيف يقول ابن ظهيرة القرشي رحمه الله تعالى

فصل :

وأما المسجد الحرام فأعلم أن له أربعة إستعمالات :

أحدها : نفس الكعبة لقوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١)

الثاني : الكعبة وما حولها من المسجد قال النووي : وهو الغالب واستدل بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٢)

إذ المراد به نفس المسجد .

الثالث : جميع مكة لقوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (٣)

قال ابن عطيه : وأعظم القصد هنا مكة .

الرابع : جميع الحرم الذي يحرم صيده ومنه قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٤) .وعهدهم إنما كان بالحديبية وهي من الحرم وكذا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة - آية : ١٤٤ .
(٢) سورة الاسراء - آية : ١ .
(٣) سورة الفتح - آية : ٢٧ .
(٤) سورة التوبة - آية ٧ .
(٥) سورة التوبة - آية ٢٨ .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (١)

قال ابن عباس : أنه جميع الحرم . قال الماوردي : حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فإن المراد به الكعبة ، شرفها الله تعالى .

(١) سورة البقرة - آيه : ١٩٦ .

المسجد الحرام في القرآن الكريم

لقد أورد الله تعالى ذكر المسجد الحرام في كتابه الكريم القرآن المجيد في عدة مواضع منها :

قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ سورة البقرة آية ١٤٤

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة البقرة آية ١٤٩

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ سورة البقرة آية ١٥٠

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ ﴾ سورة البقرة آية ١٩١

قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ سورة البقرة آية ٢١٧

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ ﴾ سورة المائدة آية ٢

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ سورة الأنفال آية ٣٤

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ سورة التوبة آية ٧

قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سورة التوبة آية ١٩

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ سورة التوبة آية ٢٨

قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ سورة الإسراء آية ١

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ سورة الحج آية ٢٥

قوله تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ سورة الفتح آية ٢٥

قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ سورة الفتح آية ٢٧

الكعبة المشرفة

تلك البنية المكعبة المجوفة التي تتوسط المسجد الحرام وتتغشاها أنوار الهيبة والجلال شرفها الله تعالى وزادها مهابة وبرا .

أورد ذكرها في القرآن فقال جل من قائل : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (١) .

هي بيت الله تعالى وقبلة المسلمين نسبه الله لنفسه تشريفاً وتعظيماً فقال جل جلاله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٢)

هي أول بيت وضع للناس في الأرض ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ (٣) .

هي محط نظر الله ومتنزل رحمته جعل القلوب تهوى إليها .

في هذه العجالة سنقرأ عن مراحل بنائها وعن مكانتها في قلوب المؤمنين وعن بعض فضائلها ومزاياها وعن فضائل النظر إليها والطواف بها باختصار مقتضب .

---

(١) سورة المائدة - آية : ٩٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٢٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٦ .

الكعبة المشرفة ومراحل البناء

يذكر المؤرخون أن الكعبة الشريفة قد بنيت عدة مرات على فترات متباعدة.

فالمرة الأولى : بنتها الملائكة قبل أن يهبط آدم عليه السلام إلى الأرض بأحقاب طويلة وقد بنوها محاذية للبيت المعمور .

ثم تلا ذلك : بناء سيدنا آدم عليه السلام بمعاونة الملائكة بعد تهدم البناء الأول

ثم تلا ذلك : بناء أبناء سيدنا آدم بناء تجديد وظلوا يعمرونها بالزيارات والطواف حتى كان الطوفان في عهد سيدنا نوح عليه السلام فذهب البيت فيما ذهب .

ثم تلا ذلك : بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل .

ثم تلا ذلك : بناء جرهم .

ثم تلا ذلك : بناء قصي بن كلاب بن مرة الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم تلا ذلك : بناء قريش قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس أو عشر سنوات .

ثم تلا ذلك : بناء عبد الله بن الزبير وأدخل فيها ما نقصته قريش من الحجر .

ثم بعد ذلك : بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان وأعاد بنائها على ما كانت عليه في عهد قريش .

ثم بناها : السلطان مراد خان العثماني .

الكعبة الغراء في قلوب المؤمنين الأتقياء

الكعبة الغراء هي قبلة كل المسلمين في كافة الدنيا بأسرها فما من مسلم ولا مسلمة إلا ويتجه إليها كل يوم وليلة خمس مرات فرضاً وغير ذلك ما شاء نفلاً .

فلا تمر ساعة من ليل أو نهار بل ولا أقل من ذلك إلا وكثير من المؤمنين والمؤمنات متجهين بالقلب والجسد نحو هذه الكعبة الغراء صافين الأقدام بين يدي الحي القيوم جل في علاه يناجونه ويتضرعون إليه .

والكعبة حقاً في قلب كل مؤمن ومؤمنة تتوق أرواحهم إليها شوقاً ويتمنون الوصول إليها فيشدون الرحال ويقطعون الصحاري والقفار حتى إذا ما وصلوا إليها زاد لهيب الحب والزفرات وعند بابها تسكب العبرات ولسان الحال يقول :

مرحباً مرحباً أهلاً وسهلاً ... بعروس على المحبين تجلى
لبست حلة الجمال وزفت ... سلبت للعشوق قلباً وعقلا
قد هجرنا الديار والأهل شوقا ... وقطعنا القفار وعراً وسهلا
وأتينا شعثاً وغبراً نلبي ... ودموع الأشواق تزداد هطلا
ثم بعنا النفوس بيع سماح ... وعلمنا بأن وصلك أغلى

كم مشوق قد رام منكِ وصلا ... قبل موت فلم ينل منك وصلا
تحت ظل الأراك أضحى طريحاً ... باكي العين عن حماك مُخْلا
عاقه حظه فعاد حزينا ... وزمان السرور عنه تولى
أي شيء يكون في الأرض جمعا ... كطواف القدوم والسعي وأحلى
والتزام الستور والدمع يجري ... من سرور وكعبة الله تُجلى
رفعت برقع الجمال ونادت ... ألف سهلاً بالزائرين وأهلا
قد عفا الله عنكم وحباكم ... برضاه وزادكم منه فضلا
فاشكروا الله مذ دعاكم إليها ... وأعاد العسير ياقوم سهلا
بادروا الآن للطواف وقوموا ... قد صفا الوقت والحبيب تجلى
ماترى الصيد عندها كيف يحمى ... وكذا الطير فوقها ما تعلى
وصلاة على النبي الف تتلى ... وسلام على المدى ليس يبلى

هذه الكعبة وهذا مكانها في قلوب المحبين زادها الله تشريفاً وتعظيماً ، هي مأرز الدين ومهوى قلوب المؤمنين يفتدونها بالمهج والأرواح .

عن سر الكعبة ومدى تعلق القلوب بها يحدثنا فضيلة الإمام السيد علوي ابن السيد عباس المالكي يقول فضيلته [1] :

أخي المسلم ، الكعبة المشرفة هي بيت الله العظيم ومهوى أفئدة العالمين

(١) في كتاب نفحات الإسلام من بلد الله الحرام ، وفضيلة السيد الإمام علوي بن السيد عباس المالكي هو أحد أشهر مدرسي المسجد الحرام ومدارس الفلاح ومن كبار العلماء كان عضواً باللجنة العليا لتوسعة المسجد الحرام في عهد الملك سعود وكان عضواً في لجنة تحديد المشاعر وعضو لجنة اختبار المطوفين وكان له

جعله الله بيتاً معظماً محجوجا وحرماً آمناً بنى على شرعة التوحيد الخالص ، فكان رمز الحنيفية وقبلة الدين وقطب دائرة الأرض خالياً من الأصنام والزخارف والصور لا تمر ساعة من ليل ونهار إلا وتخفق له القلوب وتتوجه له الوجوه وتعنو لعظمة الله رب البيت الجباه .

سبحانك ربي ما أعظم شأنك وأجلى برهانك جعلت لنا هذا البيت الحرام لنتوجه إليه قياماً لنا في عبادتنا ، وأمرت الخليل عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج ، فأستجاب المسلمون لهذه الدعوة الربانية وتعظيم المشاعر الإلهية .

أيها المسلم :

انظر إلى البواخر تمخر في البحر من أرجاء الأرض مشتاقة إلى الحرمين لا يثنيها عن عزائمها هول ولا خوف ولا حرب ولا توقع فقر، يملأ الجو حنين حجاجها إلى هذا البيت المعظم ، غسلوا ذنوبهم بدموعهم وطهروا أفئدتهم بتوبتهم وخرجوا عن أدران البشرية بتجردهم واعرضوا عن كل الدنيا ولبوا داعي الله .

انظر الطائرات في أجواء الفضاء مسخرات في جو السماء كالطير لا يمسكهن إلا الرحمن تطير بالشوق والحب إلى مطمح الأبصار ومهوى القلوب .

انظر السيارات تشق الصحاري والرمال تذلل الصعاب وتقرب البعيد وتقطع السهل والحزن عليها وفود بيت الله الحرام يجوبون الفلوات ويتحملون المشقات

= نشاط بارز في مجال الدعوة والإرشاد من خلال دروسه في المسجد الحرام وفي الأذاعة وفي المدارس وفي بيته الذي هو ملتقى العلماء من كافة أنحاء الدنيا ، تتلمذ على كبار علماء عصره فورث عنهم جُل العلوم ، سطع نجمه على أقرانه فأصبح يشار إليه بالبنان ، ولد عام ١٣٢٨هـ وتوفى رحمه الله عام ١٣٩١هـ وكانت جنازته عظيمة لم تشهد مكة مثلها . له من التآليف الكثير وتخرج على يديه من طلبة العلم العدد الجم الغفير .

لا تبعد عليهم غاية وليس إلا ليطوفوا بالبيت العتيق يخوضون في الرحمة خوضاً .

كانت قوافل الإبل تسير شهوراً متوالية ، وهي سفن الصحراء القديمة عليها قصّاد البيت المعظم أولو القوة والعزم الصابرون يؤمون المشاعر التي نشأ فيها دينهم وعاش فيها نبيهم وأشرقت فيها شمس تاريخهم ، تلك القبلة التي طالما توجهوا إليها في صلاتهم ، وخفقت إليها قلوبهم فإذا هم في الطواف عند بيت ربهم وفي ساحة مولاهم ، يطلبون مغفرته ورضوانه ، ويسألون نصره وأمانه ، قد جمعهم توحيد الإسلام ، وزال عنهم كبر الجاهلية ، وتجردوا عن الفوارق ، فهم سواء العربي والأعجمي ، الملك والصعلوك ، الغني والفقير ، القريب والبعيد ، سواءً العاكف فيه والباد ، ذاك هو التوحيد الحق ، والأخوة الإيمانية ، والقلوب المتحدة ، والأهداف النبيلة ، والمقاصد الدينية ، والنيات الصالحة ، والمبادئ الحقة ، والنتائج المنشودة ، والحق جل وعلا يقول : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1] .

هذه الكعبة الشريفة هي مركز دائرة الإسلام ، يجتمع حولها المسلمون ، ويطوفون بها عباد الله وإليها ينتهون ، فهنا الأمة الإسلامية كلها قائمة متلاحقة متضامنة ، تؤم البيت الحرام بالأرواح والأشباح .

كَأَنَّ الْحُبَّ دَائِرة لِقَلْبِي فَحَيْثُ الإِبْتِداءُ الإِنْتِهَاءُ

إنك لو تأملت هذه القبلة لعرفت حكمة توحد هذه الأمة التي تتوجه إليها

(١) سورة الأنبياء - آية : ٩٢ .

كل يوم خمس مرات ، غفل المسلمون عن هذه الغاية والوحدة ، ناموا عن الدعوة والدين ، فغمرتهم موجات الغش المحيطة والمكائد المحدقة من الأعداء ، فالواجب عليهم أن يسعوا فيما يسعدهم في الدين والدنيا ، وأن يعملوا لما ينجيهم وأن يسلكوا أيمن السبل للمشاورة والاستعداد ، فقد اشتد الكرب ، وعظم الخطب .

ولا ينجي من هذه المحنة الكبرى إلا الإلتجاء إلى الله ، والتمسك بالدين والنهوض بالأخلاق النبوية ، وتطبيق الإرشادات المحمدية ، والدفاع عن عقائد الإسلام وسننه وآدابه ، ومهاجمة الإلحاد في وكره لنأمن شر مكره ، ونحفظ أبناءنا أفلاذ أكبادنا من الأهواء المضللة والفتنة الفاشية ، والمغريات الفاضحة .

فلنقف أمام الكعبة المشرفة مجتمعين ، ففي هذه البقعة المباركة وقف نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ملبين قبل أربعة عشر قرنا ، ولنستعرض سلسلة تاريخنا لنمثل دعوتنا الإسلامية ونجاحنا في هداية البشر ، ونشر الدين حلقات لا تنقطع ، وعُرى لا تنفصم ، وأمة واحدة أولها وآخرها خير ، وإسلام واحد حاضره وماضيه ، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أهـ .

فضل النظر إلى الكعبة :

نعم ..هذه مكانة الكعبة في قلب المسلم وما أن يحل برحابها وينزل بفنائها إلا ويعتريه حال لا يوصف لإنه لا يدرك إلا بالروح ولا يتذوقه إلا المحبون .

يقول الإمام السيد صديق حسن خان رحمه الله عن فضيلة النظر إلى الكعبة الشريفة [1] :

إذا وقع النظر على البيت فليكن مقروناً بالتعظيم والإجلال، وليحضر في نفسه ما خص به من تشريف النسبة وأوصاف الجلال والجمال .. قال ابن عباس رضي الله عنهما : النظر إلى الكعبة محض الإيمان .

وعن سعيد بن المسيب : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه . رواه الأزرقي .

روي عن الشبلي لما حج البيت ووصل إليه ورآه عظم عنده ذلك فأنشد طرباً:

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عيانا وهذ أنا

وصار يكرره حتى غشى عليه .

وقال آخر :

هذه دارهم وأنت محب فما بقاء الدموع في الامآق

(١) في كتابه رحلة الصديق إلى البيت العتيق ص٢١ طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني بتصحيح وتعليق عبد الحكيم شرف الدين . والإمام السيد صديق خان هو محمد بن صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي .. أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجددين ، ولد ونشأ في قنوج بالهند وتعلم في دلهي وسافر إلى بهوبال قال في ترجمته لنفسه : (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوبال فأقام وتوطن وتمول واستوزر وألف وصنف) وتزوج بملكة بهوبال ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندوسية . منها بالعربية (فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء في التفسير ، ولف القماط في اللغة ، وعون الباري في الحديث . توفى في ٢٩ / جمادي الثاني ١٣٠٧هـ . أنظر الاعلام للزركلي .

قلت : وقد تمثلت بهما عند وصولي بمكة .أهـ.

وكان المحبون الصادقون من عباد الله المخلصين إذا دخلوا مكة ولاحت لهم أنوار الكعبة تأخذهم حالة من الخوف والوجل فتقشعر جلودهم وتلين قلوبهم وتطمئن بذكر الله ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾.(١)

ورؤية الكعبة تعني لهم الشيء الكثير فهي قبلة الأجسام والأرواح يستقبلها المسلمون عند كل صلاة ويتجهون نحوها في كل دعاء

نعم أيها الأحبة إن للكعبة سر لا يدريه إلا الشجي الذي صدق في حب ربه وتعلق قلباً وروحاً بالحق جل في علاه .

إن الكعبة بالنسبة للمحب الصادق رمز يستشعر أمامها فيوضات الإيمان ويتحسس شآبيب الرحمة والغفران فتزهو روحه ويزداد في التوجه والاقبال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾(٢)

(١) سورة الزمر - آية : ٢٣

(٢) سورة فصلت - آية : ٣٩ .

فضل الطواف :

هذه بعض خصائص ومزايا الكعبة أما الطواف حولها فهو منية كل نفس وسعادة كل روح فيه أجر عظيم وفضل عميم وسر يسري بأرواح المحبين الصادقين .

فإن شئت أن تَلْقى المحبة جُمْلَةً ففي وجه محبوبي جميع المحبة

عن سر الطواف وفضله يحدثنا الإمام السيد صديق حسن خان فيقول فضيلته [1] :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الطواف حول البيت صلاة) رواه الترمذي واللفظ له . وابن حبان في صحيحه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من طاف بالبيت اسبوعاً لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط عنه خطيئة ، وكتب له بها حسنة ورفع له بها درجة) رواه ابن خزيمة في صحيحه وابن حبان واللفظ له .

---

(١) في كتابه رحلة الصديق إلى البيت العتيق .

قال بعض الصالحين : رأيت في الطواف غلاماً نحيف الجسم رقيق الساقين ، وهو يبكي ويقول وا شوقاه لمن يراني ولا أراه فقلت له من هو ؟

فأنشـد :

ولي حـبـيب بلا كـيف ولا شـبـه ... ولي مـقـام بلا ربع ولا خـيم
أتيت من دار عـشق لا أمـثلهـا ... من عند من لم أطق شـرحـاً له بفم

ثم غشى عليه زماناً ، فحركناه فوجدناه قد مات .

وما أحسن قول العارف بالله عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى :

عـشـقت في مكة ذات البـهـا ... يدعـونهـا الكعـبـة باسم صـريح
وهي كـعـوب غـادة حـرة ... كم قلب صب في هواها جـريح
مـحـجـوبة بالسـتـر عن كل من ... ينظرها من أجنبي قـبـيح
وإنما ينـظـرها مـحـرم ... فـيبـصـر الوجـه الجـميل الصـبيح
رأيتـهـا في مـدتي مـرة ... فـراح جـسـمي في هواها طريح
وطفت سـبـعـاً لاثمـاً ... يمين ربي هيـئـة المسـتـبـيح . أهـ.

الحجـر الأسـود

قال المحب :

طـابـت الـنـفـس سـرورا بـلـثـم هـذا الحـجـر

فأجابه :

مـرحـبـاً أهلاً وسـهـلاً بمن جـاء حـاجـاً أو مـعـتـمـر

هو ذاك الحجر الذي في ركن الكعبة المجاور لبابها والذي منه ابتداء الطواف والحجاج والمعتمرين وعموم الطائفين يستلمونه ويقبلونه اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، أنزله الحق جل في علاه من الجنة ، وجعل النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إستلامه وتقبيله سنة.

له من الخصائص والفضائل الشيء الكثير ، عن بعضها يحدثنا فضيلة الدكتور السيد محمد علوي المالكي الحسني يقول فضيلته [1] :

هذا الحجر له خصائص ومزايا عظيمة صحيحة ثابتة من طرق صحيحة عن سيدنا محمد نبي هذه الأمة الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم منها :

١ - أنه يشرع تقبيله واستلامه ، وقد ثبت هذا بأحاديث كثيرة لها طرق صحيحة معلومة عند المسلمين بالإجمال والتفصيل . وهي موجودة في

(١) في كتابه لبيك اللهم لبيك ص ١٤٩

صحيح البخاري ومسلم ، أصح كتابين عند المسلمين بعد القرآن .

٢ - ومنهـا أنه في أشـرف مكـان في بيـت الله المعظم «الركن الشرقي» وهـو المكـان الذي يقـع على نفـس القـواعـد الأولى الأصـليـة التـي رفعهـا إبراهيـم عليـه السـلام كما قـال تعـالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[1] .

٣ - ومنها أنه في المكان الذي يشرع إبتداء الطواف بالبيت منه ، فالإنسان إذا أراد الطواف بالبيت فإنه يبتدي من الركن الذي فيه الحجر .

٤ - ومنها أنه كان له نور عظيم مضيء ، ولكن الله تعالى قد طمس هذا النور كما ثبت في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه .

٥ - ومنها أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق ، كما ثبت في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه والطبراني في الأوسط . أهـ .

(١) سورة البقرة - آية ١٢٧ .

الركن اليماني

هو أحد أركان الكعبة المشرفة ، ركن عظيم له فَضل بَيّنْ وشأنه ليس بالهَيّنْ، من فضائل هذا الركن ومزاياه أنه على القواعد الأولى للبيت التي رفعها سيدنا إبراهيم عليه السلام .

ومن مزاياه أيضاً ملامسته ليد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم استلمه بيده الشريفه .

يسن للطائف إستلامه لما فيه من المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وللأجر والثواب العظيم .

وحال الصادقين عند إستلامه حال لا يوصف فهو يبعث فيهم من الشوق ما عاناه يعقوب على يوسف :

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها كفعل الذي جاءت به كف قادح

وكما قيل : الحب كَامنٌ في القلب كُمون النار في الحجَر إن قُدِح أورى وإن تُرك توارى .

فما من محب صادق يستلم الركن بيمناه إلا وتشتعل في بواطن حِسه لواعج حُبِّهْ فتسري به الذكرى في عالم الفكرة يجدد العهد ويكرر الندم ويؤكد العزم على السير مضي في طريق الحق وعلى نهج الصالحين طاعة واستقامة ولزوماً للجماعة ونفعاً للخاصة والعامة يرجو بذاك العفو والغفران .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأنعام - آية : ٩٠

الملتزم

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١) .

ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة وتحت أعتابها هناك موقف خاص للأحباب يسكبون فيه العبرات وتظهر لهم إشارات وبشارات في هذا المكان يقف المخلصون بخضوع تام وخشوع عام يدعون ربهم ويتضرعون إليه يرجون رحمته ويخشون عقابه فتسمع أصواتهم بالدعاء تعج وأعينهم لِعَزيز الدَمع تثج في هذا المكان تختلط الأصوات وتمتزج اللغات بسائر اللهجات والحق جل في علاه ينظر إليهم يرى المكان ويسمع الدعاء ولا تختلف عليه لغة ولهجة ويتجلى عليهم بالمغفرة والرحمة .

في هذا المكان تقال العثرة وتسكب العبرة وتُسْمَع النبرة بصوت شجي تناجي الرب جل في علاه بإيمان قوي وعلى ثقة تامه بأن الحق جل في علاه يراهم ويسمعهم وألسنتهم تردد :

لبيك يارب من أعماقنا مطرا ترطب القلوب والأوزار تنمحق

نعم :

يقف أحدهم بالذل معترفاً بالذنب يناجي الرب جل في علاه :

يارب عبدك قد آتاك وقد أساء وقد هفا

(١) سورة البقرة - آية : ١٨٦ .

يكفيه منك حياؤه من سوء ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنوب الموبقات وأسرفا
وقد أستجار بذيل عفوك من عقابك ملحفا
رب أعف عنه وعافه فلأنت أولى من عفا

بصدق في اللهجة ، وشوق في المهجة ، يناجي أحدهم ربه ، مستأنساً به وحده :

أنست به فلا أبغي سواه مخافة أن أضل فلا أراه

مرداداً بصوت خافت وقلب باهت :

إلهي يامغيث كم أغثتا وكم جانٍ دعاك وقد أجبتا
ومنك الغوث واللطف الخفي ذنوب المذنبين وقد غفرتا
جميع الخلق قد قصدوك ربا مجيباً للسؤال فكم أجبتا
وكم سألوك أرباب الخطايا لغفرٍ للذنوب فكم عفوتا
وإني واقف بالباب أدعو تقبل دعوتي فيمن قبلتا

رقة في القول واعتراف بالذنب أمله في ربه وخوفه من ذنبه جعله يقف هذا الموقف بهذا الحال الرحمه واسعة والعفو شامل لكنه تذكر سوء عمله وافكه فخاف أن يطرد عن باب ربه ، وهذا حال أهل الكمال حالهم بين الخوف والرجا.

مولاي جئتك والرجاء قد أستجار بحسن ظني
أبغي فواضلك التي تمحو بها ما كان مني

فـــــانـظـر إلـيّ بـحق لـطـفـك يـــاإلـــهـــي واعـــف عـــنـــي

لا تـخـــــزني يـوم المعـــــاد بـمـا جـنـيـت ولا تُـــهِـنـــي

وعن الملتزم وفضله يحدثنا فضيلة الدكتور السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني فيقول فضيلته[1] :

الملتزم هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة . كما ثبت ذلك عن ابن عباس . ويقال له المدعا والمتعوذ (الأزرقي ٣٤٧/١ - شفاء الغرام ١٩٦/١ والجامع اللطيف ٤٣) . وسمي بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده .

وفضله عظيم ولذلك ثبت أنه من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء .

وفي سنن ابن ماجة قال عبد الله بن عمرو بن العاص وقد التزم البيت بين الباب والحجر والصق صدره ويديه وخده إليه . هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل (كذا في السنن لابن ماجه) .

وفي رواية ابي داود : ان عبد الله طاف ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا وبسطهما بسطا ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله (كذا في السنن لأبي داود). وكان ابن عمر يلزق صدره ووجهه بالملتزم . أهـ .

---

(١) في كتابه : في رحاب البيت الحرام ص ٥٠ .

حِجْرُ إسماعيل

هذا الحِجْرُ هو الحائط الواقع شمال الكعبة المشرفة وهو على شكل نصف دائرة ويسمى أيضاً الحطيم والدعاء فيه مستجاب .

فكم خاضع كم خاشع متذلل وكم سائل مدت إلى الله كَفّاه
وكم حامد كم ذاكر ومسبح وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه

وهذا الحِجْرُ هو جزء من الكعبة له شرف ومزية، الصلاة فيه مطلب الأخيار يتسابقون لأداء ماشاء الله لهم من الركعات فيقفون بالذل والخشوع يصلون صلاة يستشعرون فيها الراحة والاطمئنان فتنطلق ألسنتهم تناجي الرب جَل في علاه بأدمع منهمرة في ركوع بخضوع وسجود بخشوع .

ورب دعانا ناظر لخضوعنا خبيراً عليماً بالذي قد أردناه
ولما رأى تلك الدموع التي جرت وطول خشوع في خضوع خضعناه
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى وباهى بنا الأملاك حين وقفناه

يشكرونه على عظيم نواله وجزيل عطائه ، إنها لحظات أنس وهناء وصفاء ونقاء يعيشونها داخل هذا الحجر في صلاة ذات خشوع وخضوع فتمر عليهم الأوقات مر السحاب وهم لا يودون أن ينصرفوا من هذا المكان المبارك لما يستشعرون من راحة واطمئنان

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (١)

(١) سورة ق : أية ٣٢ - ٣٣

مقـام إبراهيـم

هو ذاك الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما كان يبني الكعبة الشريفة وقد أثرت قدماه في الحجر والأثر باقٍ إلى الآن ظاهر للعيان .

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم هذا المقام فقال تعالى :

فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ (٢) .

فالسنة أن تكون ركعتي الطواف خلف المقام بأن يكون المقام بين المصلي والكعبة وتصح ركعتي الطواف في أي مكان من المسجد الحرام .

وهذا الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي والإمام أحمد وابن حبان : (إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٩٧

(٢) سورة البقرة - آية : ١٢٥

زمـــــزم

هي البئر المباركة التي أظهرها جبريل عليه السلام سقيا لسيدنا إسماعيل عندما ضمأ فنبع ماؤها من تحت قدميه عليه السلام، ثم حفرها سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ثم أظهرها عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام .

وماء زمزم ماء مبارك ورد فيه من الأحاديث والآثار أنه طعام طعم وشفاء سقم ، منية كل محب صادق أن يرتوي من هذا الماء المبارك ، ويغتذي من هذا المنهل العليل .

فما أن يصلوا المحبين حتى يردوا هذا المعين فهم على شوق وشوب يشرب أحدهم بالنيه كلما أزداد شرباً أزدادَ تلذذاً وَريا .

بَرّد بماء ســقــايه العــبــاس مــا كــابدته طول الطريق من الظمــا

وهذا الماء جعل الله في شربه أسرار ، وقد قال بعضهم عن زمزم شربه تعبدا لا تلذذا .

والمحبين يشربونه إقامة لشعار المحبة وحسن العهد .

ومــا شــربي للمــاء إلا تذكــرا لماء به أهل الحــبــيب نزول

فضل شرب ماء زمزم :

وعن فضل زمزم يحدثنا الشيخ الإمام السيد صديق حسن خان رحمه الله تعالى فيقول[1] :

عن ابن عباس مرفوعاً : (ماء زمزم لما شرب له) فإن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه ، ذكره القرشي .

وكان ابن عباس إذا شرب زمزم ، قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء . رواه الحاكم والدارقطني .

قال ابن العربي : وهذا موجود فيه إلي يوم القيامة - يعني - العلم والرزق والشفاء ، لمن صحت نيته وسلمت طويته ، ولم يكن به مكذباً ولا يشربه مجرباً ، فإن الله مع المتوكيلن . أنتهى .

قلت : وقد دعوت بما دعا به ابن عباس عند شربي له وأرجو من الله القبول .

وفي حديث اسلام أبي ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنها مباركة وإنها طعام طعم) رواه مسلم وزاد الطيالسي (وشفاء سقم) .

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له) أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقي .

واستسقى عبد الله بن المبارك من زمزم شربة وأستقبل الكعبة وقال : اللهم

(١) في كتابه : رحلة الصديق إلى البيت العتيق .

إن أبا المولى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له) وهآنذا أشربه لعطش يوم القيامة ، ثم شرب ، أخرجه الحافظ شرف الدين الدمياطي وقال إنه على رسم الصحيح وقد قلت ، ما قاله ابن المبارك ، وأرجو قبوله فما ذلك على الله بعزيز .

وفي الصحيح أنه لما قدم أبو ذر ليسلم ، أقام ثلاثين يوماً وليلة وليس له طعام إلا زمزم فسمن حتى تكسرت عكن بطنه ولم يجد على بطنه سخفه جوع .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحمى من فيح جهنم فأبردوها من ماء زمزم) رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه وانفرد البخاري باخراجه فقال : (فأبردوها بالماء أو بماء زمزم) .

وفي حديث شق الصدر، ثم غسله بماء زمزم . رواه البخاري .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير بئر على وجه الأرض ماء زمزم) أخرجه ابن حبان والطبري بسند رجاله ثقات .

وعن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا أراد أن يتحف الرجل سقاه من ماء زمزم) رواه الدمياطي وصححه .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم) رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

والتضلع الإمتلاء حتى تمتد الأضلاع .

وكم قد تضلعت به والحمد لله .

وعن ابن عباس قال : نسميها شباعة - يعني زمزم - وكنا نجدها نعم العون على العيال . رواه الطبراني في الكبير وهو موقوف صحيح الاسناد .

وبالجملة فقد أجمعوا على أن ماء زمزم أفضل من جميع المياه على الإطلاق إلا الماء الذي نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم . كيف وهي هزمة جبرئيل وسقيا إسماعيل عليهما السلام وفي شربها منافع لا تحصى ذكر بعضها الحضراوي في العقد الثمين . أهـ

المسجد الحرام وحلقات دروسه العلمية

المسجد الحرام يعتبر أول جامعة إسلامية منذ العصر النبوي بعد المسجد المدني ، ففي جنباته وفسيح أروقته وحصواته ، وجميع نواحي ساحاته ، للعلماء مجد تليد ومواهب علم كل يوم في مزيد ، حلقات دروسهم بالناس مكتظة غاصة ، وبطلبة العلم منهم مزدانة خاصة ، ينتهلون من أعذب الموارد أصفاها ، ويقتبسون من أشرف العلوم أزكاها .

نعم إن المسجد الحرام هو مصدر الثقافة والعلوم ، منذ صدر الإسلام الأول الزاهر حتى وقتنا الحاضر ، علماؤه الأعلام ومشايخه الكرام ، رفعو للعلم ألوية وأسالوا من مدلهمات مسائل العلوم أودية ، وبثوا روح المعارف والثقافة بين العامة والخاصة ، وأنشأوا جيلاً من الطلبة نادراً ، وكسوهم من الحلل مفاخرا ، ساروا بهم في طريق العلم تنقيباً وتمحيصاً ورقوا بهم مدارجه بحثاً وتحقيقا .

وطلبة العلم تلقوا تلك العلوم والمعارف بشوق ونهم ، فانكبوا على تلك الحلقات شيباً وشبانا ، وسارعوا في نشر ما تلقوه من معارف وعلوم بهمة ونشاط في رحاب أم القرى وغيرها من الأوساط .

فكان المسجد الحرام بهم يزهو ويفتخر لأنهم حملوا من الأمانة أثقلها ، وأدوا من الواجب أكثره ، رحمهم الله تعالى وتجاوز عنهم .

نعـم ..

إن المسجد الحرام هو مركز الإشعاع العلمي وطالما نشر من العلوم أطيبها ، وصدّر الدعاة والفقهاء لسائر أقطار الدنيا مشرقها ومغربها ، يدعون إلى الله تعالى على هدى وبصيرة سيماهم الوقار وتعلوهم الهيبة ، وتغشاهم الأنوار ، وما ذاك إلا بصدق النية وإخلاص الطوية وتلك هي المزية التي أختص بها طلاب العلم في المسجد الحرام ومشايخه الكرام شعارهم التمسك بالدين والأخلاق، ودثارهم الصدق في إخلاص النية طلباً للعلم ذاته لوجه الله تعالى، ورجاء ثوابه يوم المعاد .

نعـم ..

لقد كان المسجد الحرام يزهو بطلبته ويفخر بمدرسيه ، لأنهم يطلبون العلم في رحابه ويتدارسونه فيه ، يتفقهون في الدين ، يتعلمون ويعلمون ، وهذه هي وظيفة المسجد حقاً وخاصة المسجد الحرام فهو أول منبر لإنطلاق العلم والمعرفة والدعوة والإرشاد ، منه شع النور بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي رحابه وعلى ثراه مشى الحبيب صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الله تعالى بشيراً ونذيراً بعد أن نُبىء صلى الله عليه وسلم وهو في أعلى قمم جباله على جبل حراء وفي غاره نزل عليه جبريل الأمين بقول الله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فكانت بداية بعثته صلى الله عليه وسلم إقرأ ومعجزته الخالدة هي

القرآن الكريم ، فمن هذه الرحاب الطاهرة وهذه البطاح النيرة أشرق على الدنيا نور العلم والإيمان فمحى ظلام الجهل والوثنية .

نعم ..

إن هذا المسجد الحرام هو أول منطلق العلوم والمعارف ومشرق الثقافة والحضارة .

مرت العصور والدهور وعشرات القرون وهذا المسجد الحرام منارة علم ونبراس هدى يُصَدِر للعالم الإسلامي دعاته ومعلميه ، تشهد بذلك أروقته وساحاته ، كم حلقة علم عُقِدتْ فيها ! وكم من كتاب دُرس متناً وشرحاً ! وكم من طالب علم إنتهل من معين مشايخه علوماً شتى ! وأقتبس منهم أخلاقاً عظمى ومناقب جمه وأستفاد منهم فوائد جداً مهمة ، وهكذا توالت السنون والأعوام ، وتتابعت الشهور والأيام ، وما زال معين مورده لا ينضب ، وسيل متخرجيه كل عام في تدفق .

يذكر التاريخ والمؤرخون أن المسجد الحرام كان أقدم جامعات الدنيا وإنني في هذه العجالة لا أستطيع أن أحصي ولا أستقصي ، وإنما ظرف المناسبة دعى للكتابة فبلطيف الإشارة ودون تطويل في العبارة نشير إلى التدريس في المسجد الحرام ونظامه وبعض مدرسيه في آواخر العهد العثماني والهاشمي وبداية العهد السعودي :

وعن نظام التدريس في المسجد الحرام في آواخر العهد العثماني يحدثنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ فيقول :

نظام التدريس في المسجد الحرام في أواخر العهد العثماني [1] :

وقد صدر هذا النظام في محرم ١٣٣٢هـ وأهم ما فيه بإيجاز :

(أ) : **المشرفون على التعليم في المسجد الحرام :**

١ - تشرف على التعليم في المسجد الحرام هيئة مكونة من مفتي الشافعية ومفتي المالكية ومفتي الحنابلة وثلاثة من المدرسين ، ويرأسها رئيس المدرسين مفتي الأحناف .

٢ - يعين كاتب يتولى صرف مرتبات المدرسين والمفتشين ،ويقوم بشئون المعاملات المتصلة بالتدريس في الحرم .

٣ - يعين مفتشان قديران بمعاش شهري ليشرفا على سير الدراسة في الحرم ويراقبا ما يدور في حلقاته .

٤ - يعين خمسة عشر مدرساً (من العلماء الملازمين المقتدرين على أداء الوظيفة بانتخاب المفاتي الأربعة ووجوه العلماء) ويرتب لهم معاش شهري .

(ب) : **واجبات المدرس وقواعد تعيينه :**

١ - على المدرس ذي المعاش أن يدرس ثلاثة دروس في اليوم والليلة ، أما المدرسون الملازمون فإنهم يدرسون حسب استطاعتهم .

---

(١) نقلاً عن كتاب التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني للأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ .

٢ - إذا أبتدأ المدرس - سواء كان من أرباب المعاش أو الملازمين - كتاباً فعليه أن يتمه وأن يراعي مناسبته لمستوى الطلاب .

٣ - إذا شغرت وظيفة مدرس ، عين بدله مدرس آخر (من الملازمين المقيدة أسماؤهم في دفترهم من أرباب الاقتدار) وذلك بعد أن يمتحنه أعضاء الهيئة المشرفة على التعليم بالمسجد الحرام والمدرسون أرباب المعاش في أثنى عشر فناً من الفنون الخمسة عشر التي تدرس في المسجد الحرام ، وإذا تعدد طالبوا الوظيفة أجريت بينهم مسابقة .

٤ - إذا شغل المدرس وظيفة أخرى لا تمكنه من القيام بواجب التدريس المقررة عُين غيره (مالم تكن تلك الوظيفة مؤقتة وجهت له لمصلحة العموم وإلا انتظر لفراغه منها) .

٥ - (كل من دخل في دفتر ملازمي التدريس وكان ناقصاً طلبه عن الستة العلوم وهي الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ولم يشتغل بالطلب لإتمام لياقته فإنه ينبه عليه بالطلب ، وإذا لم يمتثل التنبيه المذكور محي اسمه من فتر الملازمين) .

٦ - لا يجوز لأحد الطلبة أن يستدعى في وظيفة التدريس إلا بعد أن يشتغل في طلب العلم عن مشائخ معينين وبعد ذلك يمتحن فإذا برع في نحو الستة العلوم «الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع» أعطيت له شهادة اللياقة بالتدريس في المسجد الحرام على قدر استطاعته أو يقيد من الملازمين) .

(جـ) : التدريس والامتحانات :

١ - تعطى كل الدروس باللغة العربية ، ويجوز للمدرس أن يترجم معاني الكتاب الذي يقرؤه إذا كان طلبته من غير العرب .

٢ - تدرس بالمسجد الحرام الفنون الآتية : (التوحيد ، التفسير ، الحديث ، الفقه ، وأصول الفقه ، وأصول الحديث ، النحو ، الصرف ، المعاني ، البيان ، البديع ، المنطق ، التاريخ ، السير ، العلوم الرياضية) .

٣ - يقوم المدرس في شهري شعبان ورمضان بتدريس التفسير والحديث والتوحيد (بلا تحديد وقت للتدريس فيه ولا عدد بل في أي وقت شاء دَرّس ، ومن ابتداء شوال إلى نهاية ذي القعدة يكون التدريس في المناسك لاستفادة الحجاج والطلبة وله التدريس في غيرها على حسب ما يريد . ومن ابتداء شهر ذي الحجة إلى عشرة في المحرم يكون تعطيل الدروس وكذا يوم الجمعة والثلاثاء والأعياد لمن أراد التعطيل للتفسح وله الفسحة المطلقة في برجي الأسد والسنبلة لضرورة شدة الحر فيهما بمكة) .

٤ - تعين الهيئة المشرفة على التعليم في المسجد الحرام خمسة من المدرسين لإمتحان الطلاب إمتحاناً عاماً ، وتطلب الهيئة من المدرسين كتابة (نمرة كل طالب في الجدول الذي يقدم لهم من كل مدرس ، ويكون ذلك التنمير بعد الامتحان بحسب ما برعت فيه الطلبة من العلوم ، ويقدم للرئيس والهيئة ليجروا تقديرهم) .

٥ - يقدم المدرس لهيئة الامتحان جدولاً بأسماء طلابه وبما قرؤوه عليه من الكتب ، وذلك لكي تسجل فيه الهيئة الدرجات التي يستحقها الطلاب . ويعقد الامتحان بعد سنتين ويكون وقته شهر رجب ، ثم بعد السنتين يكون الامتحان سنوياً في شهر رجب ولا يجوز للمدرس أن يقرأ لطلابه - إذا رأى عدم كفاءتهم بعد الامتحان - كتاباً أعلى مستوى من الكتاب الذي أتمه ، بل عليه أن يعيده لهم أو يقرأ لهم كتاباً مماثلا له .

٦ - إذا تأخر طالب عن أداء الامتحان في وقته بدون عذر شرعي فإنه (لا يجوز له قراءة كتب أكبر من الكتب التي قرأها في سنة الامتحان بل يبقى في مثلها) وإذا تأخر لعذر شرعي فإن هيئة الامتحان تعقد له إمتحاناً عند زوال عذره) . أهـ .

وعن المدرسين في المسجد الحرام في آواخر العهد الهاشمي وبداية العهد السعودي يحدثنا المرحوم الأستاذ عمر عبد الجبار في كتابه سير وتراجم لبعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة الذي ترجم فيه لسيرة مائة وعشرين عالماً من علماء الحرم كانوا منارات هُدى ومشاعل نور لهم حلقات حافلة في جنبات الرحاب الطاهرة وقد كانوا ملء السمع والبصر .

إليكم مقدمة هذا الكتاب تحية كتبها فضيلة المرحوم السيد علوي بن السيد عباس المالكي أحد مدرسي المسجد الحرام :

تحية بقلم فضيلة السيد علوي بن السيد عباس المالكي [1]

المدرس بالمسجد الحرام

حمداً لمن رفع منار العلم والأدب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العجم والعرب ، وعلى آله وأصحابه ومن إليهم أنتسب .. أما بعد فهذه صفحات مشرقة مجيدة من تاريخ علمائنا الأمجاد وآبائنا الأبطال المكيين الذين رفعوا لواء العلم ، ونشروا أعلام الفضيلة في جنبات المسجد الحرام ، وفي ربوع هذا البلد المقدس مولد النور ومصدر الخير ومهبط الوحي وموطن الدعوة الإسلامية ، فلقد كافحوا الجهل كفاحاً مريراً ، وساروا بخطى ثابتة صوب الهدف المنشود وتحلوا بفضائل جليلة كانت أسوة حسنة وقدوة صالحة لمن أخذ عنهم العلم من أبناء هذا البلد الحرام ومن مريديهم من سائر الأقطار حتى كونوا منهم قوة روحية علمية كانت قائداً لمواكب العلم والإصلاح والتوجيه الصحيح في أقطارهم التي تغير وجهها بعد قدومهم إليها ، من وجه سيطرت عليه المادة والجهل إلى وجه مشرق بالعلم والاخلاص والبطولة والعدل والرحمة والوفاء فأسست المعاهد العلمية وانشئت المشاريع الخيرية الاجتماعية ، وكانت تلك النهضة الإصلاحية الثقافية وليدة همم أولئك الدعاة المصلحين ، كما تشهد بذلك أندنوسيا وغيرها ، فكم فيها من قضاة وعلماء وزعماء وأدباء ممن رحلوا إلى الحجاز فأرتووا من مناهل العلم والأدب ، وعادوا يحملون مشاعل التبليغ وكانوا حماة الدين . إن هذه الفترة من تاريخ ماضينا العلمي المجيد قد

(١) ترجمة السيد علوي ص ١٠٣ - ١٠٤ .

علاها غبار النسيان وأحاطت بها عناكب الإهمال ، وكان شبابنا يشتاقون إلى معرفة أخبارها والاحاطة بحقائقها فلا يجدون بعد البحث إلا صورة موجزة لا تبعث في نفوسهم الإعجاب ولا تدفعهم إلى الاقتداء فكان لزاماً علينا أن نفي بها فجاءت هذه الصفحات المشرقة مسجلة لهذه الفترة وكانت : (سير وتراجم علمائنا في القرن الرابع عشر) من خير ما يقدم للشباب وللتأريخ اليوم .. أجل إنها دروس من ماضي التعليم ، وعبرة لمن تبصر وذكرى مجيدة لأولاد وأحفاد أولئك الآباء العباقرة العابدين الذين قضوا حياتهم في النفع والتثقيف وتبليغ الدعوة ، وتحملوا أذى الفقر والمحنة ونشروا العلم لا يريدون بذلك مالاً ولا جاهاً ولا رياء ولا سمعة ، إنما يبتغون وجه الله ، ويطلبون الدار الآخرة ولذلك مات أكثرهم فقراء مدينين قد تحملوا الآم التعب وجاهدوا في سبيل الدعوة إلى الله تعالى صامدين أمام العقبات والموانع ولم تكن لهم إمكانيات واسعة كما نحن عليه الآن وكانوا راضين مسلمين فرحين كما قال الشاعر :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

فلله هذه النفوس العالية ولله تلك الهمم الأبية ، والمثل العليا في ميادين التضحية والكفاح فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة ، وتغمدهم بفضله وإحسانه لقد خلفوا ذكرى عطرة وسجلوا في تاريخ الخلود سفراً رائعاً ينطق بفضلهم وزهدهم فهذه مؤلفاتهم وآثارهم وتلك بيوتهم ومكاتبهم وهؤلاء أبناؤهم وأحفادهم فيا أبناءهم اقتدوا ويا أحفادهم تيقظوا ، ويادنيا إسمعي ،

ويا أم القرى إشهدي ، ويا تاريخ حرر فلن يضيع الله أجر المحسنين ولا يزال لهم لسان صدق في الآخرين .

وجزى الله الأستاذ المؤلف عمر عبد الجبار أفضل الجزاء فيما جمعه وتعب في تحريره فقد حقق بعمله الأمنية ، وأبان للجاهل بتاريخ هؤلاء الأفاضل ما كان يجهله فكانت خدمة موفقة أسأل الله عز وجل أن ينفع بها ، وفي الحقيقة إن ما كتب عن تاريخ هؤلاء الأفاضل هو موجز ينير الطريق لمن أراد الإفاضة في هذا الموضوع .

وختاماً فهذه تحيتي الشعرية لهذا التاريخ الجليل ولهؤلاء الآباء الأكابر :

فلله آباء مضوا نحو ربهم ... وقد خلفوا ذكرا جليلا مؤبدا
تحلوا بأخلاق الكتاب وسارعوا ... إلى المجد يبنون الفخار مشيدا
لقد جاهدوا في الله حق جهاده ... وقد سلكوا سُبل المكارم والهدى
دعاة إلى الدين الحنيفي قادة ... بهم يقتدي من رام مجدا سؤددا
فسل مكة الغراء عنهم فإنها ... تسجل في تاريخها الفضل مسندا
وسل عنهم البيت الحرام فكم إلى ... دروسهموا من حوله حَن منشدا
وسل زمزما والركن والحجر والصفا ... عن القوم باتوا يئنون سُجدا
وكم طوفوا بالبيت يبكون حوله ... وكم وقفوا بالبيت كم رفعوا يدا
وكم عبدوا خلف المقام وشاهدوا ... من السر نور الله يسطع مرشدا

لقد خصهم مولاهمُ بجواره ففازوا بتضعيف المثوبة سرمدا
جزى الله من أجيالنا من ذكر مجدهم ولازال موفور الكمال مؤيدا
وصلى على المختار والآل من سموا إلى الفخر ما طير الحدائق غردا . أهـ

وبعد هذه العبارات الفياضة التي عبرت عن ما كان عليه علماء المسجد الحرام في تلك الأيام من محافظة على التدريس ومواظبة عليه نفعاً لطلبته ونشراً له بين المسلمين وما أثمر عنه جهدهم المبارك من تخرج طلاب علم أسوياء عادوا لبلدانهم يحملون مشاعل النور وقناديل الهداية ، أشتغلوا بنفع إخوانهم فأسسوا المعاهد والمدارس وبثوا روح العلم في تلك النواحي والأقطار فأنتفع بهم الخاص والعام .

وددنا أن نتعرف على بعض تلك الأسماء اللامعة والنجوم الساطعة التي أهتدى بها كثيراً من الطلاب وأنتفع بهم الكثير من الشيب والشباب .

فمع المرحوم الأستاذ عمر عبد الجبار[1] وتمهيد جعله في مقدمة كتابه سالف الذكر .

---

(١) الأستاذ / عمر عبد الجبار هو أحد أعلام المكيين ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٠هـ وبها نشأ وتعلم ، تخرج من الكلية العسكرية في عهد الشريف الحسين وكانت وظيفة ضابط أول عمل قام به ، وفي العهد السعودي الزاهر اضطلع بعدّة مهام منها منصب مدير دار الأيتام ومساعد المعهد العلمي السعودي ومدير شرطة الحرم ، ومدير شرطة الآداب ، وضابط بالأمن العام ، ومدير عام للجوازات . كان رائداً في تعليم الفتاة بإنشائه مدارس الزاهر للبنات في مكة المكرمة ، وله كثير من المؤلفات . توفى رحمه الله بمكة المكرمة في ١٣٩١/١/١٦هـ ودفن في مقابر المعلاه .

تمهيد

أحمد الله وأصلي على نبيه محمد بن عبد الله وآله وصحبه الأبرار .. وبعد .. فقد كانت مكة مهبط الوحي ومصدر النور ، ومنهل العلم والمعرفة منذ أشرقت منها شمس الإسلام ، فبددت ظلمات الجهل ، وحطمت أوثان الشرك وأزالت من العقول ما علق بها من أوهام الجاهلية وخرافاتها ، ثم اتخذ الخلفاء الراشدون (المدينة) عاصمة لنشر الإسلام في مملكتي الروم والفرس ، وان قلبي ليشب ويتفتح لذكرى تاريخ العرب في أجمل إيامهم وأمجد وقائعهم وحوادثهم ، أولئك الأبطال الذين قطعوا الصحراء منذ نيف وثلاثمائة سنة فرساناً وركبانا حيث لا سيارات ولا قطارات ولا طائرات ، وتوغلوا في الشام والعراق وأفريقيا حتى تم لهم الفتح وحولوا معابد الوثنية إلى مساجد يذكر فيها إسم الله كما أسسوا بجانبها مساجد لنشر نور العلم والعقيدة الصحيحة ليعبد الله وحده .

وكان المسجد الحرام والمسجد النبوي يغذيان الدعوة بالمتخرجين منهما وإبتعاثهم إلى البلاد المفتوحة لنشر الدين وتفقيه سكانها وتوجيههم إلى الطريق إلى ربهم ، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم ، ثم دار الزمن دورته ، فظل المسجد الحرام والمسجد النبوي منهلين لطلاب العلم ، يقصدونهما من

جميع البلاد فتعقد فيهما حلقات في جميع العلوم ، وكان الإقبال عليهما عظيما من جميع طبقات الشعب .

وقد أدركت أواخر العهد ، وكانت حصوات المسجدين مكتظة بحلقات التدريس وانكباب الطلاب شيبا وشبانا على الدرس والمطالعة والاستعانة بمصابيح الشمع (اللالات) حيث لا توجد كهرباء ولا أضواء غير قناديل الزيت المسرجة حول المطاف والأروقة .

وقد نشأت بجانب هذه الدراسة الدينية المدرسة الصولتية والفخرية ومدارس الفلاح والمدرسة الراقية، فقامت بتربية النشئ وتثقيفه للسير في ركب الحضارة الحديثة ، ولم يكن للدراسة بالمسجد الحرام منهج وإنما كان كل مدرس يلقي على طلابه المواد التي تضلع فيها وتحصل على شهادة من هيئة العلماء بعد اختباره في التفسير والحديث والفقه وقواعد اللغة العربية ، ولم يكن للمدرس راتب من الحكومة ولا ينتظر من طلابه صدقة ولا زكاة ولا معونة لأن تعليمه كان لله في سبيل الله ولذلك مات معظم علماء المسجد الحرام فقراء لم يتركوا سوى الذكر الحسن «والذكر للإنسان عمر ثان» .

وكان المسجد الحرام يغص بكبار العلماء ، أذكر منهم من أدركتهم رحمهم الله وهم : المشائخ محمد يوسف الخياط ، وشعيب الصديقي ، وعبد الرحمان الدهان ، وأسعد الدهان ، وعبد الله الزواوي ، وعمر باجنيد ، وجعفر

لبني ، ومحمد المرزوقي (أبو حسين) ، ومشتاق ، وأحمد شطا ، وصالح شطا وحسين شطا ، وعيدروس البار ، وبكر البار ، وسعيد اليماني ، وخليفة النبهاني ، وعبد الحميد قدس ، وصالح بافضل ، وعباس مالكي «والد السيد علوي المالكي» ، وبكر خوقير ، وعمر جان ، وأمين كتبي «والد محمد أمين كتبي» ، والشريف حمزة البركاتي ، وعبد الستار الدهلوي ، ومحمد سعيد بابصيل ، وبكر بابصيل ، وعلي بابصيل ، وأحمد خطيب «والد عبد الحميد خطيب» ، وعبد الحميد فردوس ، وأمين مرداد ، وعبد الله أبو الخير ، ومحمد سعيد أبو الخير ، وبكر صباغ «والد الأستاذ عبد الرحمن صباغ» ، ومحمد سليمان حسب الله ، وعبد الله حمدوه ، وعبد الحميد مليباري ، ومحمد بن عبد الله ، وسعيد بافيل .

ومن علماء المسجد الحرام الذين اشتهروا بمؤلفاتهم وطلابهم الشيخ علي المالكي « كان يدرس مؤلفاته بجانب المواد الأخرى وهي تدريب الطلاب في قواعد الإعراب وشرح الفروق للقرافي ، وفتاوي الحرمين في المذاهب الأربعة ».

والشيخ جمال مالكي «وكان يدرس مؤلفه الثمرات الجنية في قواعد اللغة العربية بجانب دروس الفقه على مذهب الإمام مالك» .

والشيخ محمد محفوظ الترمسي : «وكان يدرس بعض مؤلفاته وهي موهبة ذي الفضل شرح بافضل أربعة أجزاء ، والكوكب الساطع شرح نظم جمع الجوامع» .

والشيخ محمد نووي « وكان يدرس تفسيره مراح لبيد في مجلدين » .

والمشايخ مختار عطارد ، ومحمد فطاني ، ومحمد نور فطاني .

ولما تخرج الفوج الأول من علماء المدرسة الصولتية أزدادت حلقات الدروس بالمسجد الحرام ، إذ عقدا المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق ، ولم يدعوا لعلماء بيت الله الحرام مجلساً للتدريس والوعظ والإرشاد ، أذكر منهم الشيخ عيسى رواس ، الشيخ أحمد ناضرين ، والشيخ سالم شفي ، والشيخ محمد علي تركي ، والشيخ درويش شفي ، والشيخ عبد الله مغربي ، والشيخ حسن مشاط ، والشيخ عباس عبد الجبار ، والشيخ أحمد قاري ، والشيخ حامد قاري ، والشيخ عبد الحميد حديدي ، والشيخ عبد الله حداوي ، والشيخ سليمان مراد ، والشيخ عثمان بشناق ، والشيخ سراج ششه ، والشيخ أحمد هرساني ، والشيخ حسين عبد الغني .

ثم قدم من المدينة الشيخ محمد العربي ، والشيخ عمر حمدان ، ومن جده الشيخ محمد حامد ومن الطائف الشيخ أحمد نجار والشيخ محمد علي سراج ، فاشتركوا مع إخوانهم علماء المسجد الحرام في نشر التعليم والثقافة ، وكان واعظ العامة بالمسجد الشيخ إبراهيم بن حسن عرب ، فكان رحمه الله يمتلك قلوب مستمعيه بطلاقة لسانه وحسن أدائه وورعه ويستولي على مشاعرهم بنصائحه وأمثاله وقصصه .

وحيث أني حضرت حلقات الكثير من هؤلاء العلماء الأعلام ، وسمعت دروسهم وطريقة أسلوبهم وإلقائهم ، فقد رأيت من واجبي القيام بترجمة حياة كل منهم فأوردت نموذجاً من دروسه بالطريقة التي سمعتها أو بما في معناها ونشرت ذلك تباعاً بالصحف المحلية ، وإستجابة لهمسة الأستاذ عبد الله عريف في البلاد السعودية ، وإلحاح شيوخ هذا الزمن ، جمعت ما نشرته تحت عنوان (سير وتراجم علمائنا في القرن الرابع عشر وطرق تدريسهم) في هذا الكتاب تخليداً لتاريخهم المجيد وعظة لشباب هذا الجيل وما يليه ، وقد خصصت الجزء الثاني من هذا الكتاب لعلماء المسجد الحرام الأحياء أمد الله في حياتهم . أهـ .

الفصل الرابع

المسجد الحرام وأئمته الكرام

المسجد الحرام وأئمته الكرام

الإمامة والإمام والخطابة والخطيب :

وجاء الآن دور التحدث عن أئمة هذه الرحاب الطاهرة .

سأتحدث عن فترة محددة لأنني لا أستطيع أن أُبحِر بسفينتي في هذا البحر الممتد عال الموج كثير اللجج ، فالمسجد الحرام مرت عليه عصور ودهور وسنين وشهور وقد تولى إمامته والخطابة فيه أئمة كُثر منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

ولكنني كما ذكرت في أول بحثي هذا أنني مقتصر على زمان وفئه .

نعم .. مقتصر على العهد السعودي ، بدأً من أول إمام عينه جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله .

وعلى فئة سارت إلى رحاب مولاها نستعرض في هذه الأسطر بعض سيرتها وذكراها

عن هذه الفترة نورد بعض الترجمة لأصحاب الفضيلة العلماء الأئمة الخطباء فهيا بنا معاشر الأحباب نُبْحِرُ سوياً في أطراف سواحلهم فتتلقفنا غصباً عالي امواجهم حتى تستقر بنا غوصاً في قاع أعماق بحارهم لنستخرج لئلالىء أخبارهم ودرر أحوالهم من مكامنه ونستعرضه على أنظار قارئه وسامعه .

إن المسجد الحرام زاده الله تعالى تشريفاً ومهابة وبرا ليس كغيره من

المساجد لذا فأئمته وخطبائه ليسوا كغيرهم من الأئمة والخطباء لأنهم أكتسبوا المهابة والتعظيم وأقتبسوا البر والتوقير بنسبتهم إلى المسجد الحرام :

كفا شرفاً أني مضاف اليكمُ وأني بكم أدعى وأرعى وأعرف

نعم .. هذا هو حال لسان أئمة وخطباء المسجد الحرام فهم ليسوا كغيرهم لقد حازوا شرفاً عظيماً وأمتازوا به على سواهم، فسبحان من أكمل عليهم النعم وجعلهم أئمة لهذا الحرم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديدا .

إنهم ليسوا خطباء جوامع ومصليات ، بل هم خطباء العالم في جميع القارات ، الأعين تنظرهم بالتبجيل والآذان مصغية لنصحهم وقولهم الجميل .

نعم ... إنهم خطباء العالم بأسره ، عربه وعجمه ، لهم في قلوب المؤمنين حباً عميقاً ووداً وثيقاً ، يُكِنُ لهم العالم الإسلامي كل تقدير واحترام ويعاملهم بكل تبجيل وتعظيم واهتمام : فضلاً من الله ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] .

لذا تجد أن شأن هذا الإمام في كل أنحاء الدنيا كبير وعظيم فما أن تطأ أقدامه أي بقعة من الأرض في أي بلد إسلامي أو بين جالية إسلامية إلا وسارع كبار أهل العلم والفضل والجاه لإستقباله بالحفاوة والتكريم فرحين مستبشرين فتقام له الحفلات وتعقد الندوات وتجري معه اللقاءات يستعرض معهم القضايا والشئون الإسلامية يحاضر في الجامعات والمعاهد ويخطب في الجوامع والمساجد .

(١) سورة الحديد - آية : ٢٩ .

تمضي الأيام سراعاً لا يدرون عدتها وهم في رحاب العلم والإيمان يستفيدون من هذا الإمام الشيء الكثير .

كما أن كثيراً من الجاليات الإسلامية بل وبعض الحكومات الإسلامية تتشرف وتتلطف باستدعاء وطلب ورجاء لإمام وخطيب المسجد الحرام بوضع حجر الأساس لأي مشروع إسلامي مهم كبناء جامع أو معهد أو مكتبة ومسجد أو بناء جامعة إسلامية أو غير ذلك من المشاريع الخيرية .

نعم .. يطلبون ويلحون ويحرصون أن يكون وضع حجر الأساس لأي مشروع مما ذكر بيد فضيلة إمام المسجد الحرام وخطيبه تفاؤلاً وتبركاً وتيمناً كما لا تطيب أنفسهم عند تمام المشروع وإفتتاحه إلا بحضور فضيلة إمام وخطيب المسجد الحرام ، فيالها من مزية : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[1] .

هذا ودولتنا الرشيدة رعاها الله تعالى لها اليد البيضاء ورايتها خفاقة في العلياء تشير إلى ما قدمته وتقدمه للإسلام والمسلمين في كل مكان وكل حين حيث أمتدت يد العطاء لسائر أقطار الدنيا براً ووفاء وبالأخص لأبناء الجاليات الإسلامية الذين يعيشون في ديار لا يدين أهلها وحكوماتها بالإسلام فتشد من أزرهم وتناصرهم ببناء مساجد ومراكز ومعاهد لبث العقيدة ونشر الإسلام ، وتدعمهما بالدعاة المخلصين لتصبح هذه الدور إشعاع هداية لتشمل من خصته العناية فتضيء القلوب بنور الإيمان : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء : آية ٧٠ .

(٢) سورة الزمر : آية ٢٢ .

وما من مشروع مما ذكر إلا وللأئمة وخطباء المسجد الحرام حضور هام في حفل وضع حجر أساسه أو عند إتمامه وافتتاحه لأن الأوامر الملكية صدرت بأنتداب أحد أئمة هذه الرحاب المقدسة للحضور وافتتاح المشروع بالصلاة فيه ، وهذا كله تفاؤلاً بإمام المسجد الحرام المسجد الذي انطلقت منه بداية الهداية وشعت إشراقات الصفا وأشرقت أنوار الدعوة فعمت سائر الكون ومن فيه فنال من بركاتها من سبقت له السعادة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾(١)

وخاب وخسر من كفر وكذب وعصى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٢) .

نعم .. إن تبجيل وتعظيم إمام المسجد الحرام على قدر عظمة ومكانة البيت العتيق ، فعلى قدر عظمة البيت الحرام في قلوب المسلمين تكون المشاعر والأحاسيس نحو هذا الإمام الكريم .

وقبل أن نستعرض وإياكم بعض التراجم الذاتية والسير الشخصية لأئمة وخطباء المسجد الحرام في العهد السعودي ، وددت التنبيه والإشارة بشيء يسير من القول والعبارة إلى : فضل الصلاة ومكانتها ، والإمامة وأهميتها ، والخطابة وخطورتها كمدخل وبداية ليتسنى لنا معرفة الشيء اليسير عن عظم هذه الأمانة، التي تحملها هؤلاء الأئمة وقاموا بها نيابة عن الأمة ، نسأل الله جل في علاه أن يمدهم بالعون والتوفيق .

---

(١) سورة الحديد - آية : ١٩

(٢) سورة الحديد- آية : ١٩

الصلاة ومكانتها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١)

الصلاة في الإسلام مكانتها معروفة فهي أحد أركانه الخمسة ، رغب فيها وحث عليها وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة كما جاء في الحديث : (أول ما يحاسب عليه يوم القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله) (٢) .

فرضت ليلة الإسراء والمعراج فرضها الحق جل في علاه مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم مباشرة بدون واسطه .

فهي معراج روح المؤمن يعرج بها كل يوم وليلة خمس مرات يقف بالذل والخشوع، يناجي ربه جل في علاه وينعم فيها بلذيذ المناجاة فهي راحة النفس ونعيم القلب وأمان الروح ، يجد فيها العارف من اللذة ما يدعوه لطول القيام لا يشعر بتعب البدن ولا يبدو عليه الوهن لأنه في حال خشوع وحضور وفي مقام (كأنك تراه) لا يود الإنصراف لما يحظى به من الإكرام والاتحاف .

وقدوتهم في ذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه وقد جعلت قرة عينه في الصلاة وهو الذي كان إذا حزبه أمر فزع للصلاة ويتحين بها الظلال ، وكثيراً ما كان يقول أرحنا بها يابلال .

---

(١) سورة النساء - آية : ١٠٣

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده والضياء المقدسي في المختارة باسناد صحيح .

فالصلاة شأنها عظيم من حافظ عليها فاز وعلى الصراط أجتاز فاغتنم أخي أيام حياتك، وحافظ على صلواتك محافظة تامة ، وأدها في أوقاتها بكامل حقوقها وآدابها ، وتشبه بالكرام فإنهم كانوا يؤدون الصلاة بآداب تستجمع حالات شعور الروح وحركات الجسد .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

فأهرع إلى الصلاة فرضاً ونفلا، وكن دائماً وأبدا مفتتحاً صلاتك بالتكبير مقروناً بشعور رهبة المقام وجلال الحال ، فأنت بين يدي الحق جل في علاه ، ينظر إليك ، فقف أمامه بالذل، حاضر القلب خاشع الجسد، ساكن الجوارح خافض الجناح ، مطرق البصر ، بعيداً عن الإلتفات ، ظاهراً وباطناً ، مستشعراً فيض الرحمات ، متفكراً في التلاوة ، متذوقاً لمعانيها .

ثم تكبر بالهيبة ، وتركع بالخضوع وتسبح بالتعظيم ، وتسجد بالخشية ، وتنزه بالعلو ، وتتشهد بالمشاهدة وتسلم بالاشفاق .(٢) .

فأحرص أخي على آداب بها ترقى ، تنال بها الرضى في هذه وفي الأخرى ، فالعبد إنما خلق لعبادة ربه ، والسعيد حقاً من أطاع ربه وجاهد نفسه ، والصلاة مطهرة للنفس من درنها ، مرقاة للأرواح في درجها : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام - آية : ١٦٢ .
(٢) مقتبس من كلام الإمام الغزالي .
(٣) سورة فصلت آية ٣٥ .

الإمامة وأهميتها :

الإمامة أمانة ومن حَمَلها نسأل الله له الإعانة ، فهي حمل ثقيل وأمر جليل ، يقف هذا الإمام وخلفه أُمم يسري بهم في طريق معراج الروح وقد دعى النبي صلى الله عليه وسلم للأئمة بالرشاد كما جاء في الحديث :

(الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، اللهم أرشد الأئمة وأغفر للمؤذنين) [١] .

والإمام في الصلاة قدوة والمأموم مأمور باتباعه وعدم مسابقته ، كما جاء في الحديث : (إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده ، فقولوا ربنا لك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا) [٢] .

أحق الناس بالإمامة :

جاء في الحديث : (يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنا ، ولا يُؤَمَّنَ الرجل في بيته ولا في سلطانه)[٣] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والإمام أحمد في رواية .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

من آداب الإمامة :

ومما ينبغي مراعاته والأخذ به لمن يتولى الإمامة ويتقدم للصلاة بالناس .

عدم تطويل الصلاة :

وهذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، لما روى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال :

(كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها) [١] .

ولحديث أنس بن مالك قال : (ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه) [٢] .

ولحديث أنس بن مالك قال : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه) [٣] .

وقد ورد الترغيب في التخفيف لمن أم الناس ففي الحديث : (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) [٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

كما جاء التحذير من التطويل في الصلاة لمن أم غيره لما في حديث أبي مسعود الأنصاري ، قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها . قال : فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ ، ثم قال : (ياأيها الناس إن منكم منفرين ؛ فأيكم ما صَلَّى بالناس فليوجز ، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة)[1] .

الخطابة وخطورتها :

الخطابة شعار الجمعة والعيدين والحج الأكبر لا يقوم بها إلا من كان له من العلم والذكاء الأوفر فحسب الخطابة أنها وظيفة الأنبياء وورثتهم من الدعاة العلماء .

عن الخطابة وأهميتها يحدثنا الدكتور محمد أحمد عاشور في كتابه «خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ص ٩ فيقول :

تعتبر الخطابة فناً قديماً من فنون الكلام والتعبير ، يقصد به التأثير على جماهير الشعوب في شتى الأغراض : الدينية والاجتماعية والسياسية والحربية والاقتصادية .

وقد عرفت المجتمعات البشرية على مر عصورها هذا النوع من الكلام ونشأ معها .

(١) رواه البخاري ومسلم .

وقد اشتقت كلمة الخطبة : أو الخطابة - كما يقرر أبو الفرج قدامة بن جعفر- من الخَطْب ، وهو الأمر الجليل ، لأنه إنما يقام بالخُطَبِ في الأمور التي تَجِلّ وتَعظُم . «أنظر : نقد النثر» .

وحسب الخطابة شرفاً أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين وصفوة العلماء والأدباء ، وعظماء الملوك ، وكبار الساسة ، يستطيع من طبع عليها وملك ناصيتها أن يمتلك القلوب ، ويستميل النفوس ، ويحرك العواطف ، ويتجه بها إلى ما يريد .

ولقد كانت الخطابة عند العرب - في الجاهلية والإسلام - ضرورة من ضرورات مجتمعاتهم .

فأضحت فيهم فطرية، تفتقت بها ألسنة أبنائها صيانة لعزها، وحفظاً لمجدها ، وتخليداً لمآثرها ، ودفاعاً عن حسبها ونسبها وعرضها ، وتمجيداً لشرف خصالها من الشجاعة ، والكرم والنجدة وحماية الجار ، وإباء الضَيَّمْ .

ولما جاء الإسلام ، سارت الخطابة في ركاب الدعوة الجديدة ، تخدم أغراضها وتنادي الناس للدخول فيها ، وقامت الخطابة بجانب السيف ، تسانده وتعاضده .

وأكتسبت الخطابة في الإسلام أهمية خاصة، وصار لها شأن خطير، حينما جعلها الشارع الحكيم شعاراً لكل إمام في كل حفل ديني أو سياسي كالجمعة والعيدين وموسم الحج الأكبر ، وعند الأخذ بالاستعداد للجهاد ، وفي كل أمر

جامع ومشهود لإعلان نصر أو إتمام فتح أو تأكيد وصية عامة أو خاصة أو غير ذلك من الأمور الجادة التي تتعلق بمستقبل الدولة الإسلامية .

الخطيب و صفاته :

وبما أن الخطابة هذا شأنها فما هي أهم صفات فرسانها ؟

عن أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الخطيب يحدثنا فضيلة الإمام الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «الخطابة» يقول فضيلته :

الأداب الخطابية :

آداب الخطيب الخاصة به : يجب أن يظهر في الخطيب عند الخطبة ثلاثة مظاهر :

١ - سداد الرأي .

٢ - صدق اللهجة .

٣ - التودد للسامعين .

صفات الخطيب :

١ - قوة الملاحظة ٢ - حضور البديهة

٣ - طلاقة اللسان . ٤ - رباطة الجأش .

٥ - القدرة على مراعاة مقتضى الحال .

ومن الصفات التي تتفاوت فيها أقدار الخطباء بمقدار ما ينالون منها :

١ - قوة العاطفة .

٢ - النفوذ وقوة الشخصية .

٣ - أن يكون ثقة .

٤ - التجمل في الشارة والملابس .

٥ - سعة الاطلاع . أهـ .

وبعد هذه التعريفات الخفيفة والمقدمة اللطيفة عن الصلاة والإمامة والخطابة دعونا نستعرض سوياً سيرة هؤلاء الأخيار الأئمة الأبرار الذين ساروا على النهج السوي حباً ومتابعة لسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا كبارا في العلم والأدب والخلق والكبار كبار أنى يُدرك لهم مقام .

وفقدانهم فجيعة ورحيلهم مصيبة وكما قال الإمام الحسن البصري عندما نُعي له الإمام إبراهيم النخعي قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن كان لقديم السن كثير العلم) فَبيَّن أن من أوجُه فضله ومزيته قِدم سنه وكثرة علمه .

وأئمتنا هؤلاء رحمهم الله تعالى كانوا كذلك قِدماً في السن كثرة في العلم واجتهاداً في العبادة ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) . نسأل الله تعالى أن يعوض الأمة فيهم خيرا وان ينزلهم منازل الأبرار الكرام الأخيار . فمع سيرتهم الخيرة ، ونبدأ بسماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ .

(١) سورة الزمر - آية : ٩ .

فضيلة الشيخ / عبد الله بن حسن آل الشيخ

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو الشيخ الفاضل الجليل عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب .

ولد رحمه الله تعالى في الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين من الهجرة ١٢٨٧هـ .

نشأ في أحضان والده الشيخ حسن فقرأ القرآن حتى حفظه وعمره عشر سنوات وبعد ذلك شرع في طلب العلم فأخذ العلم عن علماء أجلاء منهم والده العلامة الشيخ حسن والشيخ العلامة الجليل عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف والشيخ اسحاق ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ محمد بن محمود والشيخ العلامة حمد بن فارس أخذ عنه علم النحو .

وأخذ عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي علم الفرائض وقرأ على الشيخ العالم الجليل سعد بن حمد بن عتيق في الفقه ومصطلح الحديث وأسماء الرجال والتفسير وأجازه الشيخ سعد فيما تجوز له روايته من كتب الحديث والتفسير .

وأخذ التجويد عن الشيخ علي بن داود تلميذ الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن على أيدي هؤلاء الأعلام تعلم هذا الإمام فأستفاد أعظم الفائدة ،

وتزود بكثير من العلوم النافعة .

عين في أول حياته إماماً لمسجد الإمام عبد الرحمن بن فيصل المشهور بمسجد الديوانية وذلك في عام ١٣٢٣هـ واستمر يصلي به إلى عام ١٣٣٧هـ حيث اختاره الملك عبد العزيز يرحمه الله للذهاب إلى هجرة الأرطاوية وأقام بها سنة وبضعة أشهر اماماً وخطيباً وداعياً إلى الله ومرشداً ومعلماً وفقيها ثم طلبه الملك عبد العزيز فرجع إلى الرياض .

وقد خلف بهذه الهجرة المذكورة أثراً طيباً وذكراً حميداً .

بعد عودته للرياض عينه الملك عبد العزيز يرحمه الله قاضياً للجيوش معه فباشر ذلك وغزا مع الملك غزوات كثيرة وحضر معه فتح مدينة حائل عام ١٣٤٠هـ وعندما جهز الملك عبد العزيز ابنه الملك فيصل لتأديب المتمردين في عسير انتدب الشيخ عبد الله بن حسن مرافقاً للملك فيصل وقاضياً للجيش وذلك في شهر شوال ١٣٤٠هـ .

ولما استولت جيوش الملك عبد العزيز على الطائف ومكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ وسار الملك عبد العزيز من نجد إلى الحجاز صحب معه الشيخ عبد الله قاضياً للجيش فحضر معه حصار جده إلى أن تم تسليمها .

بعد ذلك عينه الملك عبد العزيز يرحمه الله إماماً وخطيباً للمسجد الحرام فشغل هذا المنصب وأستمر فيه إلى أن صدر الأمر بتعينه رئيساً للقضاة بالحجاز وذلك سنة ١٣٤٦هـ ثم أسند إليه الملك زيادة على ذلك الإشراف على الحرمين والمدرسين فيهما .

وأسند إليه وظائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وملاحظة المساجد

والإشراف عليها واختيار الأئمة وتعيينهم وتوزيع الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبد العزيز يرحمه الله كل هذه المناصب تولاها وقام بواجبها واجهد نفسه في أداء مهمته على أكمل وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى إضافة إلى ذلك كان قائماً بنشر الدعوة وتعليم العلم وتدريسه في الرياض وفي الحجاز فقد أخذ عنه العلم في نجد والحجاز خلق لا يحصون من فضلائهم :

أخوه العلامة الشيخ عمر بن الشيخ حسن ، والشيخ العلامة محمد بن عثمان الشاوي ، والشيخ فالح بن عثمان الصغير ، والشيخ عبد الرحمن بن داود ، والشيخ عبد الرحمن بن عقلا ، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشتري الملقب بأبي حبيب ، والشيخ عبد العزيز بن سوداء ، وعلي بن زيد ، وإبراهيم بن حسن .

هؤلاء ممن قرأ عليه وتتلمذ في نجد .

أما من أخذ عنه العلم في الحجاز عدد كبير من فضلائهم :

الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي، والشيخ محمود شويل ، والشيخ سليمان أباظه الأزهري ، والشيخ علي بن محمد الهندي ، وابنه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن وابنه الشيخ محمد وابنه الشيخ حسن .

كل هؤلاء العلماء الأفذاد أخذوا العلم عن هذا الإمام الجليل ، فأفادوا واستفادوا ونشروا العلم والدعوة في شتى بقاع الأرض .

ومازال هذا شأنه رحمه الله تعالى ناشراً للعلم مهتماً به حتى اختاره الله تعالى إلى جواره فتوفى رحمه الله تعالى في يوم السبت ٧ رجب ١٣٧٨هـ عن واحد وتسعين عاماً قضاها وأمضاها في نشر العلم وبث الدعوة وخدمة الإسلام ونصرة الدين .

وقد كان لفضيلته في قلوب الناس محبة كبيرة خاصة في قلوب طلبته ومريديه ولقد رثاه رحمه الله تعالى عدد كبير من الأدباء والخطباء وأهل الفضل نثراً وشعراً .

فممن رثاه نثراً على صفحات الصحف المحلية أخوه العلامة الشيخ عمر بن حسن رحمه الله تعالى وابنه معالي الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن رحمه الله تعالى .

والشيخ صالح جمال والشيخ عبد الله خياط والشيخ عبد الله البسام والشيخ علي بن محمد الهندي والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .

وقد رثاه شعراً شاعر الحجاز الكبير الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي رحمه الله تعالى ، كل هؤلاء الاعلام رثوه نثراً وشعراً وغيرهم كثير تأثروا بوفاته رحمه الله تعالى واسكنه الجنة .

وهكذا رحل عن الدنيا الفانية إلى الدار الآخرة الباقية مخلفاً وراءه الذكر الحسن والثناء الجميل ، رحم الله الشيخ عبد الله بن حسن رحمة الأبرار وأنزله منازل الاخيار . وقبل أن ننهي الحديث عنه رحمه الله تعالى نختم بمرثية ابنه الشيخ حسن رحمه الله تعالى حيث قال[1] :

(هم يريدون مني أن أتحدث عن والدي والحيرة والتردد يسيطران على مشاعري وأحس إحساساً غريباً لا أستطيع تصويره ، يتملك جوانحي وكيف أتحدث عنه والفجيعة بفقده أخرست الألسن وهول رحيله أدمى القلوب . ؟!

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٢٥ - ١٢٩ .

نعم ! كيف استطيع الحديث عنه وأنا لم أجد في موته أبلغ من الصمت الحزين عليه ؟! إنها مهمة صعبة وقاسية تلك التي أحاول أن أدفع بنفسي أو يحاول من أحب أن يدفع بي إليها .

وأنا وبياني العاجز وقلمي المتعثر مجموعة لا أظن أنها مستطيعة أن تبلغ شأواً ولو كان قصيراً في هذا الميدان ولكني أجدها مناسبة كريمة أن أفتتح هذه الرسالة التي جمعت مشاعر الوفاء والنبل مما شاء اخوة كرام أن يشاركونا به في مصابنا الجلل ولهم شكرنا ومن الله الأجر والمثوبة .

وأنا - حينما أحاول أن أقدم هذه الرسالة - أجد الجرح الذي أوجده فراقه الأليم - على غوره - لم يندمل واحس الحزن على مصابنا فيه - على عمقه - لم يتوار ولكن لانقول الا كما قال الصابرون {إنا لله وإنا إليه راجعون} واعتقد أن من الصعوبة بمكان أن أتحدث عن شخصية والدي - رحمه الله - لأنها شخصية متعددة الجوانب ولكن لا أجد ضَيْراً إذا استعرضت ما يحضرني من صفاته وأقواله ان كنت لست بمستطيع في هذه العجلة أن أكتب كما أريد .

كان يرحمه الله حريصاً كل الحرص على تعاليم دينه ، وعلى فضائل الأخلاق وكان صارماً في الخير وقوياً في التوجيه يتعهدنا بالنصائح الجامعة والمواعظ البالغة ويقول :

«إياكم والدنيا والحرص عليها فقليلها يكفي المرء كساء وقوتاً ولا تطلبوها بإضعاف دينكم» كان يغضب لو أقيمت الصلاة ثم وجد احد أفراد حاشيته يؤدي بعض الفوائت ويقول : «ان من يتهاون في ركعة قد يؤول به الحال إلى فقدان الإهتمام بأدائها جماعة في أول وقتها إذا حان وقت الأذان» كانت

الصلاة شغله الشاغل حتى يؤديها غفر الله ورضي عنه .

كان حريصاً على اتباع السنة في كل قول وفعل يكره أشد ما يكره التساهل في مندوب أو مستحب ويقول : احرصوا عليهما لأنهما سياج يحمي الواجب الذي يتحتم القيام به . يحب في الله ويبغض فيه لم يكن حبه ولا بغضه لدنيا أو جاه أو شرف . كثير العطف على الفقراء والمساكين يؤنسهم بحديثه ويقبل عليهم بوجهه حتى أن أحدهم يقبل عليه وهو يرتجف هيبة ووقاراً ثم يتحدث إليه برفق وبساطة حتى يعيد إليه هدوءه وانسه متواضع لا يعرف الكبر ولا العجب سبيلاً إلى نفسه وقلبه، يكره التفريط في الوقت وإضاعته، كنت لا أراه إلا ممسكاً بكتاب يقرؤه قراءة الباحث المنقب .

ولما ضعف بصره استبدل بقراءته قارئاً يصحبه أينما كان وكثيراً ما تشرفت بالقراءة عليه كان لا يدع القراءة إلا ليعود إليها وبين المغرب والعشاء تكون داره أشبه بندوة علمية يحضرها طلبة العلم وكلهم ممسك بكتابه واحدهم يقرأ حتى يرتفع صوت المؤذن يدعو لصلاة العشاء ويقول «عليكم بالدأب على قراءة النافع من الكتب فهى أفضل ما أنفقتم أوقاتكم فيه» وكان حريصاً على صلة الرحم وكم تحمل في سبيل ذلك من الأذى وكان يلقى الجحود والنكران وكنا نشفق عليه من سماع ما يوجه إليه ولكنه يخلف ظنوننا ويتلقى كل ذلك بهدوء المؤمن الصابر ويقول «هذا لا يضرني» وإذا بلغ به ما سمعه كان يقول « هداهم الله » ولقد سمعته ومعي غيري يقول : من نعمة الله عليّ أنني لم أحدث نفسي يوماً بالانتقام لها وقد عودني ربي أن يدافع عني وكان مرافقوه شديدي الدهشة على هذه المواقف الكريمة التي كان يقفها ممن يريد الاساءة إليه إذ كان

يقابل اساءتهم بالصفح والتجاوز فعاش سليم الصدر لم يبت ليلة حاقداً على أحد ولم ير غاضباً لنفسه بل لم يكن يغضب إلا إذا تناهى إلى مسامعه إنتهاك حرمات الله أو مجاهرة بمنكر أو الإقدام على معصية انه حينذاك يثور ولا يهدأ حتى ينتصر لحدود الله مهما كان معتديها . فعلمنا دروساً كريمة نبيلة قال لي يوما - ويده اليمنى يتخلل بأصابعها لحيته البيضاء - طيب الله ثراه - اسمع يابني لا تحاول يوماً ان تنتصر لنفسك فإنك إن كنت على حق فسيدافع الله عنك وان لم تكن عليه فليكن حديثهم عنك دافعاً لك إلى العودة إلى الحق الذي لا أرتضي لك مجاوزته . وقال لي يوماً : أوصيك بصلة رحمك فصلتها خير لك في دنياك وآخرتك . وكثيراً ما استشهد بالأحاديث النبوية التي تحث على صلة الرحم ويردد قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (ليس الواصل بالمكافىء) لقد أوذي في حياته ممن هم دونه ولكنه صمد صابراً صافحاً مسامحاً وعاش حياته كذلك ، ثم خرج منها سليم الصدر رفيع المكانة لم يستطع انسان أن ينال من مكانته وقدره محبوباً مرهوب الجانب لأنه كان صادقاً فيما يقول ويفعل . فأجمع الناس - بحمد الله - على محبته .

وكان لا يزداد كل يوم إلا عزة ورفعة وكان كثيراً ما يردد : أخشى أن يكون ما أنا فيه استدراج من الله لي فأنا كل يوم في نعمة جديدة . ثم تختلج الكلمات بين شفتيه وهو يكاد يبكي كانت مجالسه عامرة بذكر الله والحث على التواصي بالخير والزهد في الدنيا والتقليل من شأنها والتحسر على ما وصلت اليه حالة المسلمين اليوم من فقدان الموالاة في الله والمعاداة فيه . وكان يروي وقائع في هذا المجال تكاد تكون مستحيلة الوقوع لبعد حاضرنا عنها .

كان يعلمنا الاخلاص في العمل ويقول : اخلصوا في أداء ما أنيط بكم من أعمال تفوزوا برضاء الله تعالى وحسن توفيقه إنكم مسؤولون عن أعمالكم فراقبوا الله في أدائها على النحو الذي يرضيه إن ما يعطى لكم من هذا المال كمرتب لقاء اعمالكم لا تستحلوه حتى تقوموا بها كاملة ترضي الله .

واشتد به مرضه وكان ينتقل على الكرسي ذي العجلات الأربع ويقول : لماذا لا أذهب لعملي ؟ والاطباء يؤكدون ضرورة راحته وعرض ما يراد عرضه عليه في فراشه وهو يقول : هذا مستحيل لابد من القيام بعملي وكيف يحل لي تركه وأنا أستطيعه؟ وكانت تقوم محاولات عنيفة غالباً بهزيمتنا ونصائح الاطباء أمام عزيمته القوية وينقل إلى مقر عمله وهو يحمل آثار المرض رضي الله عنه وأرضاه .

وكان يحمل على الدنيا ويقلل من شأنها ويحذر من الاغترار بها وينحي باللائمة على من يكنزون أموالهم ويقول : لا تنفعهم فهي وبال عليهم في الدنيا والآخرة . وقال لأكثر من واحد من جلسائه : انه يتضايق إذا علم بوجود نقود تفيض عن حاجته لديه .

يرحمه الله .. كان نادر المثيل وكانت فجيعتنا بفقده أكبر من الوصف وأجل من التصوير ولئن رزئنا بفقده فإن أهدافه الكريمة وخلائقه الفاضلة ستظل بإذن الله هدفنا ورائدنا .

ولقد مات راضي النفس قرير العين يلهج بذكر الله وينادي وهو في أشد حالات المرض من حوله ويقول : هل صلينا ؟ .. إذا حضرت الصلاة فأعلموني.

كانت هذه كلماته حتى قبيل موته بساعات ولست أزكيه على ربه ولكن

أستعرض ما أشرت إليه ليوقظ في نفوسنا الشعور بالعلاقة المتينة التي تربط المسلم بربه والتي يجب أن تظل قوية الأصل متينة الجذور .. رحمه الله رحمة واسعة وأسبغ عليه شآبيب رحمته ورضوانه وجزاه عنا جميعاً خير جزاء وافضله وشمل تقصيره وقصور عمله بعفوه الشامل ورحمته الواسعة ولا حرمنا أجره ولا فتنّا بعده .. انه جواد كريم). أهـ .

ومن مرثية الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي رحمه الله تعالى في رثاء الشيخ عبد الله بن حسن رحمه الله :

ما للعيون بمائها تتحجر ... وقلوبنا بالحزن فيه تفجر
حبر من الرحمن يفجع نعيه ... كانت به التقوى تعز وتفخر
من خير آل الشيخ من أعلامهم ... وجميعهم بالباقيات مؤزر
لله عمر في الجهاد قضيته ... يزهو به التوحيد وهو يكبر
كافحت فيه عن الشريعة مؤمنا ... وأمرت بالمعروف حيث المنكر
وجعلت دأبك دعوة الصدق التي ... لا يمتري فيها ولا هي تكفر
خلق كأنفاس الربيع مدرع ... بالعلم وهو عن الرسالة يصدر
ما كنت إلا كوكبا متوقدا ... وبك الجوامع كلها تتنور
قبل الآذان إلى الصلاة مبادرا ... والليل داج والرياح تزمجر
في خشية لله دون جمالها ... ما ضمّت الدنيا وما هي تؤثر
والحق أنك في خشوعك آية ... ويقينك الحصن الذي لا يقهر
تسعى إلى الصلوات في أوقاتها ... دلجا وتنذر بالهدى وتبشر

تلقـــاء بيت الله بين حطيـــمـــة عند المقـــام مكانك المتـــخـــيـــر
كم كنت تدعـــو للمـــهـــيـــمن هاديا ومـــذكـــراً وكم انتـــضـــاك المنبـــر
وكم اقـــتـــدى بك عـــالم ومـــعلم ومـــهلل ومـــحلق ومـــقـــصـــر
وكم الحـــجـــيج أفـــاض من عـــرفـــاته حـــجـــجـــا وأنت خطيـــبـــه المتـــوقـــر
هيـــهـــات يجحد فضلك القمر الذي تشـــدو به شـــتى البـــلاد وتجـــهـــر
مـــا كنت إلا من مـــصـــابيح الهـــدى ولك المواقف والعـــوارف تشـــهـــر
تفنى العـــصـــور وأنت فـــيـــهـــا خـــالد بالصـــالحـــات وبالمحـــامـــد تذكـــر
مهـــمـــا استفاض الشعر فيك مراثيا فـــهـــو المقـــصـــر والمقـــارب يؤجـــر
ورجـــــاؤنـــا فـــي الـــلـــه أنـــك عـــنـــده ممن رضـــوا عنه وفـــيـــه اســـتـــبـــشـــروا
والموت حق والحـــيـــاة مـــراحل وبنوك دين الله فـــيـــهـــم ينصـــر
ولنـــا العـــزاء بهم وهم في شـــملهم لك قـــرة وبنورهم نتـــبـــصـــر
يـــاحـــافظـــا لـــلـــه وهـــو مـــودع ومطيـــعـــه والكائنات تفطـــر
لك في جنان الخلد مـــا تجـــزي به ولنـــا بمن خلفت كنز يبـــهـــر. أهـ

هذا ونسأل الله تعالى أن يرحم الشيخ ويشمله بواسع مغفرته والحمد لله رب العالمين .

من مراجع ترجمة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ

كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ

كتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي بعنيزة .

فضيلة الشيخ / عبد الظاهر أبو السمح

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو أبو السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه

ولد رحمه الله تعالى عام ١٨٨٥ م . في بلدة التلين التابعة لمركز ميناء القمح في الشرقية بمصر وهو من عائلة اشتهرت برعايتها لشئون القرآن الكريم وتحفيظه .

نشأ فضيلته في هذه البيئة المباركة ، فوالده الشيخ محمد نور الدين الفقيه كان صاحب كُتَّابْ في بلدته فتولى تحفيظ إبنه القرآن الكريم مع غيره من أبناء البلدة فحفظ القرآن الكريم وجوده وهو في التاسعة من عمره .

ثم أرسله إلى القاهرة وألحقه بالأزهر الشريف فقرأ الروايات السبع وحفظ متون العلم واللغة على مشائخ الأزهر .

وحضر مجالس كبار العلماء كالشيخ محمد عبده والشيخ أمين الشنقيطي وغيرهم من علماء أجلاء وفقهاء أتقياء فتزود من العلم والمعرفة

اشتغل في البداية بمدرسة ابتدائية بالسويس ثم عاد إلى القاهرة وطلب العلم بدار الدعوة والإرشاد على يد المرحوم السيد رشيد رضا ولما تخرج من دار الدعوة والأرشاد عين مدرسٌ بمدرسة بالأسكندرية وتولى الأمامة بمسجد أبي هاشم برمل الاسكندرية .

وكان له نشاط كبير في الدعوة إلى الله تعالى في الاسكندرية يدرس ويعلم يخطب ويحاضر يؤم ويصلي يدعو إلى الله تعالى بصدق وإخلاص ، ظل كذلك حتى استقدمه الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله لإمامة المسجد الحرام عام ١٣٤٥هـ .

فجاء إلى الحجاز وولاه الملك عبد العزيز يرحمه الله الإمامة والخطابة والتدريس بالمسجد الحرام .

فقام بواجب الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذه الوظائف خير قيام فلقد كان مثال الخطيب البارع لخطبه مذاق ولقراءته تذرف الدمع الآمآق (قراءته مجودة وصوته جميل وأداؤه حسن فرحمة الله تعالى عليه رحمة الأبرار) ، كان إماماً ضليعاً وخطيباً بليغاً .

كما كان درسه بالمسجد الحرام ملتقى طلبة العلم ينتهلون من المورد الروي ويصدرون وكُلٌ منهم قد روى ، تتلمذ على يديه الكثير واستفاد من علمه الجمع الغفير ، أسس مدرسة دار الحديث المكية بمكة المكرمة .

وظل يرأس مجلس إدارتها حتى توفاه الله تعالى ، وقد تخرج منها عدد كثير ممن طلب العلم بأروقتها وأرتشف المعرفة من ساحاتها ، وكان الشيخ يرحمه الله راعياً لشئونها مهتماً بها يلاحظ طلبته فيها ويهتم بهم غاية الاهتمام يواسي محتاجهم ويساعد فقيرهم ويقضي مصلحة الطلبة بسرور وحظهم لديه موفور .

ظل الشيخ يرحمه الله هكذا مجاهداً في سبيل نشر الدعوة وبث السنة من

خلال خطبه المنبرية ودروسه في المسجد الحرام المسائية ومتابعته لطلبته في دار الحديث المكية ، معظم وقته بل كله جعله للعلم وطلبته .

تولى عدة مناصب إدارية كرئاسة هيئات الأمر بالمعروف ، ورئاسة مجلس إدارة دار الحديث ، ورئاسة بعض الجمعيات الخيرية ، وكان أحد المصححين المعتمدين لمصحف مكة المكرمة .

كل هذه المناصب لم تشغله عن العلم وطلبته بل ظل داره ملتقى لطلبة العلم وكل وقته مصروف في بذل العلم ونشره في المسجد الحرام وفي منزلة وفي مدرسته ظل كذلك حتى ألزمه المرض الفراش فسافر للعلاج في مصر وهناك وافاه الأجل وهو على صالح العمل بإذن الله عز وجل .

توفى رحمه الله تعالى بمستشفى جيزة القاهرة عام ١٣٧٠هـ كان لفضيلته محبة عظيمة في قلوب المسلمين وخاصة معارفه ومحبيه وطلبته ومريديه فاضت مشاعرهم بهذه المحبة لهذا الشيخ العظيم عن مدى حب الناس لفضيلته وعن بعض حياته وسيرته .

يحدثنا الشيخ عبد الله عبد الغني خياط إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله تعالى فيقول[١] :

فضيلة الشيخ عبد الظاهر محمد أبو السمح خطيب وإمام المسجد الحرام والمدرس فيه ومدير دار الحديث المكية ، وهو كما يقولون أشهر من نار على علم تشرفت بمعرفته وحظيت بالتتلمذ عليه أمداً طويلاً في المسجد الحرام، قرأت عليه كتاب مشكاة المصابيح - كما كنت أدرس عليه في داره كتب العقيدة ككتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية وكتاب الجواب الكافي وكتاب

---

(١) جريدة عكاظ العدد ٦٧٤٢ الثلاثاء ٥ ربيع الأول ١٤٠٥هـ .

الواسطية وجملة من كتب العقيدة فكان يثلج صدري ويروي ظمأ نفسي المتعطشة للمزيد من التعرف إلى العقيدة السلفية - كنت أذهب إليه ضحوة كل يوم فأجد من فضيلته إلى جانب الإفادة من علمه وخلقه التجارب العظيمة التي مرت عليه والمتاعب التي لقيها في سبيل الدعوة إلى الله في بلده والتي يترجم عنها قصيدته النونية في مؤلفه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) .

وكتاب حياة القلوب من أروع ما ألف في العقيدة وبيان حقيقة التوحيد لقد أُعْطِيَ رحمه الله موهبة لا في الخطابة والإلقاء البارع المؤثر ولا في تلاوة القرآن والتدريس فحسب بل صوته الجهوري الذي كان يبلغ بناية وزارة المالية [1] في مكة باجياد بل إلى أبعد من ذلك دون أن يكون ثمة مكبرات للصوت . إن هي إلا نفحة من الله وفضل وهبه إياه وفاتني أن أذكر ضمن ما ذكرته مما درست عليه في اللغة العربية ألفية ابن مالك وكان يحفظها عن ظهر قلب يقرأ المنظومة ثم الشرح لابن عقيل ويكثر من الأمثلة لتطبيق القواعد وهذا ما جعلني ابتعد عن اللحن في القراءة لحفظي الكثير من الاعراب مما افدته منه وبالإضافة إلى ذلك كله كان كثيراً ما يوجهني إلى الطريق السليم في الحياة ومعاملة الناس وكنت إذ ذاك عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة وهذا المرفق يتطلب الكثير من الحكمة .

ولشد ما كان سروري عندما يبسط لي القول في الدعوة الحكيمة وعدم أخذ الناس بالغلظة والشدة تمشياً مع التوجيه النبوي الكريم (سددوا وقاربوا) وأخذاً

---

(١) الموقع الآن بناية تكييف الحرم بجوار فندق اجياد مكة .

بالتخطيط القرآني ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [1] ومن وافر حظي في الفترة التي كنت فيها عضواً في الهيئة صدر مرسوم ملكي بإسناد رئاسة الهيئة لفضيلته فسار في الدرب الذي كان يوجهني إليه . ولم تطل فترة رئاسته لأنه كان يفضل السير على سياسة أقرب إلى استجلاب قلوب الناس وتوعيتهم بالتي هى أحسن .

وكان غيره ممن يشترك معه في الهيئة يرى غير ذلك - والنتيجة أنه استقال فاستراح وأراح - . وكم لفضيلته عليّ من أيد لا تقصر الناحية العلمية فحسب بل تأخذ توجيهاته كما سبق أن أشرت إلى ذلك أبعاداً ونواحي فيها المصلحة لمن أنتهجها ويتوقف عليها بروز الشخصية ومن أجل ذلك كله ترجمت له في طليعة من الشخصيات البارزة التي تركت في نفسي أثراً حميداً لا أنساه أبداً ، أسأل الله له رفع المنازل في جوار الصالحين من عباد الله ونختم هذا المقال بأبيات من قصيدته يرحمه الله التي تصور واقع حياة القلوب :

حياة القلوب بذكر الإله ... وتسبيحه باسمه كل حين

الست ترى الأرض تحيا بماء ... وتأتي بما يعجب الناظرين

فإن لم يصبها سماء بماء ... تموت وفي ذا البلاء المبين أهـ

وعن جوانب من حياة فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح يحدثنا إبنه الشيخ عبد الرحمن فيقول[2] :

لقد تعلم الوالد بالأزهر وتخرج منه كما درس بدار الدعوة والإرشاد وكان له نشاطات كبيرة في الدعوة إلى الله بالأسكندرية بمصر .

---

(١) سورة النحل : اية : ١٢٥ .

(٢) جريدة البلاد يوم السبت ١٤٠٣/١١/٥هـ صفحة حياتهم إعداد الأستاذ محمد أبو بكر باسلامة

طلبه جلالة الملك عبد العزيز ليكون إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام ، وساعده للمجيء إلى مكة المكرمة فكان حريصاً على وصوله بسرعة فقد أرسل جلالته عدة برقيات إلى السيد فوزان السابق مفوض المملكة بمصر آنذاك طلب منه تسهيل سفر الوالد لمكة المكرمة .

ومنذ وصوله لمكة حتى وفاته وهو يؤم المسلمين ويخطب فيهم بالحرم المكي الشريف .

كما كان له درس بعد المغرب عند باب علي في حصوة باب علي خاص بالتفسير والوعظ خاصة في أيام الحج .

وقد كلفه جلالة الملك عبد العزيز بإلقاء خطبة يوم الوقوف بعرفة .

كان جلالة الملك عبد العزيز يحبه حباً جماً وبين الملك وبينه عدد من المراسلات أذكر منها ما كتبه إليه الوالد بخصوص شراء وتوزيع كتاب (الفتح الرباني) لشهيد الإسلام حسن البنا فاستمع جلالته لكتاب الشيخ عبد الظاهر وكتب إليه قائلاً نحن أمرنا وزير ماليتنا بشراء هذا الكتاب وتوزيعه على طلبة العلم .

أما عن حياته الخاصة : فالوالد كان رحمه الله قد تزوج مرتين وأنجب (٨ ثمانية أولاد) و (٦ وست بنات) فمنهم من يعمل ضابطاً في الجيش ومنهم مهندسون وكان رحمه الله دائماً يعامل أولاده المعاملة الحسنة الطيبة .

وقد قام بتحفيظي القرآن الكريم كاملاً منذ صغري . كما أرسلني إلى مصر على نفقته للدراسة بالأزهر وذلك لحرصه على طلب العلم وتشجيع أبنائه عليه، ولم أره يوماً يتأخر خارج البيت ولا يحب السهر أبداً ، فهو بعد أن يصلي

صلاة العشاء بالحرم يعود لبيته ويتناول شيئاً من الطعام ثم ينام .

وكان يقوم وبصفة مستمرة بزيارة أصدقائه في أوقات العصر وأذكر من أصدقائه الشيخ سليمان الصنيع والشيخ أسعد مشفع والشيخ عبد القادر ساعاتي .

كان رحمه الله يتمتع بشعبية واسعة ليس في هذا البلد فحسب بل في أقطار العالم الإسلامي فحين جاء (طلعت حرب) عمل فيلماً عن مكة المكرمة القديمة أخذ للوالد في أيام الملك عبد العزيز صوراً وهو يقف على المنبر وأيضاً وهو يؤم المصلين في صلاة الفجر ، كما كان رحمه الله قليل السفر للخارج وحينما يسافر إلى مصر كان يجتمع بالشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية والشيخ محمد شلتوت .

وكان من زملائه الشيخ يوسف ياسين الذي كان وزيراً لخارجية المملكة ومستشار للملك عبد العزيز ، ولما أمر جلالة الملك عبد العزيز بفتح دار الأيتام بمكة وكانت تحت إشراف مهدي المصلح كتب قصيدة بهذه المناسبة وألقيتها نيابة عن الوالد في مجلس الملك .

رحم الله الوالد وأسكنه فسيح جناته .

كان دائماً يأمرنا بالصلاة والمحافظة عليها زاهداً جداً في هذه الدنيا لا يملك شيئاً حتى أن الدار التي كنا نسكن فيها كانت تتبع الأوقاف ومستأجرها الوالد ، وقد أمر جلالة الملك بدفع الأجرة ، وجلسنا فيها مع الوالد واخوتي ما يقارب (٢٥) خمسة وعشرين عاماً .

والذي كان يملكه كان ينفقه على طلاب العلم والفقراء .

كان الوالد يشكو من المرض (مرض السكر) ورغم ذلك كان يقوم بواجباته وأعماله خير قيام ولم يقعده المرض أو يثنيه عن مهامه .

ولما أشتد عليه في آخر أيامه أستأذن من جلالة الملك عبد العزيز للسفر للعلاج بالقاهرة وأذن له . وظل يعالج هناك حتى وافته المنية يوم الأثنين الموافق ١٠/رجب/ ١٣٧٠هـ بعد أن قضى حياته في خدمة الدين ونشر الدعوة .

ووصل الخبر للملك عبد العزيز فتأثر كثيراً وأرسل برقية إلى الملك فيصل رحمه الله الذي كان في ذلك الوقت نائباً للملك في الحجاز قائلاً له :

(بلغنا وفاة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح وقد تأثرت كثيراً وأنتم قوموا بتعزية أولاده وأخبروهم أن كل شيء كان جارياً لوالدهم سيجري لهم) .

فقام الملك فيصل بإرسال علي جميل مدير الأمن العام في ذلك الوقت ، الذي جاء إلى منزلنا وقدم إلينا التعازي .

وحمل إلينا البشرى وكان كلام الملك عبد العزيز وكرمه لنا لفتة إنسانية عظيمة وفاءً لوالدنا رحمه الله جزى الله آل سعود خيراً وأسكن الشيخ عبد الظاهر أبو السمح جنات النعيم . أهـ .

وعن فكرة تأسيس دار الحديث ودور فضيلة الشيخ فيها يحدثنا الشيخ علي عامر عقلان فيقول[1] :

إجتمع بعض العلماء في ساحة المسجد الحرام وبحثوا فكرة إنشاء دار يدرس

---

(١) الشيخ علي عامر عقلان مدير مدرسة دار الحديث الخيرية ، توفى رحمه الله في ١٤١٨/٣/١٥هـ غفر الله له واسكنه فسيح جناته .

فيها علوم القرآن الكريم والحديث الشريف . حيث ان مدارس الفقه واللغة والعلوم الأخرى نشطت وعمرت جوانب المسجد الحرام في حينه .

وقد تبنى الفكرة وأبرازها إلى حيز الوجود الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام . الذي قام بالكتابة إلى الملك عبد العزيز يستأذنه في هذا الأمر .

وما أن تسلم الملك عبد العزيز كتاب الشيخ عبد الظاهر رحمه الله بشأن فتح مدرسة بمكة المكرمة تعتني بتدريس علوم القرآن والحديث وتشجيعاً منه للعلم ونشره لتعم المنفعة عموم المسلمين حتى أرسل جلالته خطاباً تاريخياً هذا نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبد الظاهر أبي السمح سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد وصل إلينا كتابكم الذي بشأن المدرسة واحطنا علماً بما ذكرتم - ومن قبل المدرسة وفتحها فهذا أبرك ما يصير - ولكن بارك الله فيك تعرف حالة الناس اليوم وتخالفهم وتعاطيهم أموراً ليست في الشرع إنما هي بعضها عن تعنت وبعضها عن جهل والمقصد من ذلك تعرفون أئمة الإسلام أنهم الأئمة الأربعة وأن لهم مما بينوه من الأمور الفقهية التي من الكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح اليد الطولى بذلك ولا يعترض عليهم إلا كل إنسان ما له معرفة بالدين الحقيقي ولاشك أن المرجع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكل ما يخالف ذلك فهو باطل فإذا ما وجد المرجع من المذاهب الأربعة أولى من الجهل أو الاجتهاد الذي ما تحمد عقباه لأنه ثابت عن الأمة ولا يشكك في ذلك إلا ناقص عقل .

ان الأئمة الأربعة ما خالفوا الكتاب أو السنة ولا بينوا ما يخالفهم إلا اللهم أن يكون أحدهم يشكك في حديث منقول عن صاحبه ولعدم صحته ويختار غيره أو أحد ما اطّلع على الحديث والأئمة الأربعة أجتهدوا فيما يلزم عليهم جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

فإذا كانت المدرسة التي تريدون فتحها أنه يعلم فيها الحديث والفقه وبالأخص فقه الإمام أحمد وعدم الإعابة على أحد من الأئمة . فهذا نحن ممنونون منه ونوافق عليه ، فإن كان تخشى أن يصير اعتراض أو كلام يشوش الأمة كلها فهذا لا فائدة فيه .

فأنت يجب عليك تتراجع مع الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ (رئيس القضاء آنذاك) في ذلك وتنظرون في الأصل .

وتقررون قراراً أعتمد عليه فبهذا نفتح المدرسة . ونحن نساعد في كل شيء نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد في الأقوال والأفعال هذا ما يلزم بيانه والله يحفظكم ..،

الملك عبد العزيز أول صفر ١٣٥٢هـ

ويصل خطاب الملك عبد العزيز إلى الشيخ عبد الظاهر وبناءً عليه تم الاجتماع بين الشيخ عبد الظاهر ابو السمح والشيخ عبد الله بن حسن

آل الشيخ رئيس القضاء وتم دراسة كل المواضيع الخاصة بفكرة تأسيس المدرسة وتم خلال هذا الإجتماع وضع نظام الدراسة بدار الحديث المكية واللائحة الداخلية التي تنظم الأعمال فيها .

وعلى أثر هذا الاجتماع الذي تمخض عنه صياغة نظام خاص بالمدرسة تم عرضه على الملك عبد العزيز آل سعود ، أصدر جلالته على الفور الموافقة الملكية السامية بإفتتاح دار الحديث المكية برقم ٦٥ في ٣ صفر ١٣٥٢هـ ، وهذا نص الخطاب من الملك إلى الشيخ .

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم عبد الظاهر أبو السمح سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد وصل إلينا كتابكم المؤرخ في ٢ صفر ١٣٥٢هـ وأحطنا علماً بما ذكرتم به وقد أطلعنا على النظام الذي وضعتموه لمدرسة دار الحديث ونحن نوافق على ذلك النظام هذا ما لزم بيانه والسلام) .

وبدأت الدراسة فيها بتوفيق من الله وعونه بصفين دراسيين ، التمهيدي والعالي لدراسة الكتب الستة المشهورة (البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) إلى جانب دراسة القرآن الكريم وتفسيره والتوحيد وأصول الحديث والفقه وقواعد اللغة العربية والعلوم الرياضية .

وممن كانوا إلى جانب الشيخ عبد الظاهر أبو السمح عند تأسيس المدرسة : الشيخ محمد نصيف والشيخ عبد الله الدهلوي والشيخ عبد الوهاب الدهلوي والشيخ عبد الرحمن مظهر .

كان هؤلاء من بين الجماعة الذين طرح الفكرة عليهم وشجعوه وناصروه

وقاموا معه حتى تأسست المدرسة وخرجت للوجود .

ومن مدرسي دار الحديث :

محمد عبد الرزاق حمزة صهر الشيخ عبد الظاهر

الشيخ محمود شويل

الشيخ سلطان معصومي

الشيخ محمد بن السياد

كان فضيلة الشيخ عبد الظاهر أحد المصححين المعتمدين لمصحف مكة المكرمة الذي يعد تحفة مكية وقد طبع في مكة المكرمة عدة طبعات .

وعن بعض سمات الشيخ عبد الظاهر يقول الشيخ علي عامر عقلان :

رحم الله شيخنا لقد كان من سماته الحميدة ومآثره الحسنة التي يذكرها له تلاميذه ومحبوه دماثة أخلاقه وملاطفته لأبنائه الطلبة وتفقد أحوالهم والسعي لما فيه إسعادهم وإدخال السرور عليهم ومواساتهم سراً وجهرا . أهـ.

وممن لازم الشيخ عبد الظاهر فترة طويلة واستفاد منه الكثير الشيخ محمد عمر عبد الهادي .

وعن بعض جوانب حياة الشيخ العملية يحدثنا الشيخ محمد عمر عبد الهادي فيقول[1] :

كان إتصالي بالشيخ عام ١٣٥٧هـ حيث أنتسبت للمدرسة ودرست بها ثلاثة سنوات وقد درست فيها التفسير على يد الشيخ عبد الظاهر رحمه الله فكان معلماً رائعاً له أسلوبه الفريد في تلقين الطالب الدرس وإفهامه بالطريقة

(١) جريدة البلاد يوم السبت ١٤٠٣/١١/٥هـ صفحة حياتهم إعداد الاستاذ محمد أبو بكر باسلامة

السريعة والمبسطة ، فأعجبت بشخصيته ومن هنا توطدت العلاقة بين الطالب واستاذه . وبعد تخرجي وحباً منه في تدعيم المدرسة ببعض الأستاتذة والمربيين أختارني للعمل سكرتيراً للمدرسة ثم مدرساً بها فكنت إلى جواره حتى وافته المنية عام ١٣٧٠هـ .

وهو لازال متحملاً مسئولية إدارة المدرسة التي أسسها وكان رحمه الله مهتماً بتطوير التعليم .

لقد عملت معه سكرتيراً له ولم أر منه طوال الفترة التي قضيتها معه إلا كل خير ، كان باستمرار يحث الأساتذة على تذليل الصعوبات أمام طلبة العلم.

ويضيف الشيخ عمر أحمد عبد الهادي قائلاً : أن سبب مجيء الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إلى مكة المكرمة أن الملك عبد العزيز رحمه الله كتب إلى السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في مصر يطلب منه ترشيح أحد العلماء الأفاضل للإمامة في الحرم فأختار لها الشيخ عبد الظاهر فكان مجيئه إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ .

كان رحمه الله حسن الصوت فإذا قرأ لا أحد يقول إنه أطال لحلاوة صوته فكانت تلاوته لذيذة بدون تكلف وصوته جميل لا يمله السامع وكان في تلك الأيام لا توجد بالحرم مكبرات صوت .

كان شيخنا محمد الطيب الأنصاري رحمه الله أحياناً يطلب من الشيخ عبد الظاهر أن يقرأ علينا القرآن بالحصوة فإذا أنتهى من القراءة قام الشيخ الأنصاري ليقول لنا هذا الرجل : (يقرأ كما أنزل) وهذه تعتبر شهادة عظيمة .

وفي شهر رمضان الكريم كان يصلي بالناس التراويح بالحرم يقف غرب

الحجر وكان صوته جميل يطرب السامعين . وكان الملك عبد العزيز على رأس من أعجب بصوته وحسن ترتيله فكان يطلبه إلى قصره ليصلي به .

ولم يكن إماماً فقط بل كان رحمه الله خطيباً يتميز بحسن إلقائه واختيار أحسن المواضيع في خطبه . وفي الحج كان الشيخ ينصب خيمته بجوار مسجد الخيف بمنى حيث تعطي له الدولة سيارتين . وكان كثيراً ما ينيبني عنه في الصلاة بالحرم .

وفي أثناء الصلوات يتزاحم المصلون ليكونوا قريبين منه وبالصف الأول بالتحديد حيث كان لا توجد آنذاك مكبرات الصوت للمسجد الحرام . وحان الوقت المناسب لها ووصلت وهو في آخر حياته وقد طلبوا لتصليحها وتركيبها أحد المهندسين من مصر وقصة بداية الصلاة بالميكروفون كانت كالآتي[1] :

كنا في الحج - عند تركيب الميكرفون بالمسجد الحرام - وأرسل الشيخ ابنه الشيخ عبد الرحمن إلى مكة المكرمة وقال له :

قل لخالك محمد عبد الرزاق حمزة يخطب ويصلي بالناس في يوم العيد بالحرم ولكنه لم يجد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزه فكان أول من خطب بالميكروفون في المسجد الحرام هو إبن الشيخ عبد الظاهر فضيلة الشيخ عبد الرحمن .أهـ .

وقبل أن نختم الحديث عن فضيلة الشيخ عبد الظاهر نستعرض وإياكم بعض الأسطر التي خطها قلم المرحوم الاستاذ عمر عبد الجبار عن فضيلته[2].

يقول : قرأت في صحف الأخبار ووادي النيل ومجلة المنار ما كان ينشره فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح منذ عام ١٣٤٨هـ وكنت أتتبع جميع ما نشره وردود مناوئيه من دعاة الخرافة والإلحاد وسمعت عنه الشيء الكثير بعد

---

(١) بداية الأذان والصلاة بالميكرفون في المسجد الحرام ذكرها صاحب كتاب أعلام الحجاز المرحوم محمد علي مغربي عندما ترجم لأحد أعلام الحجاز وهو الشيخ عبد الرؤوف صبان ص ٣٢٨ .

(٢) سير وتراجم ص ٢٢٧ .

قدومه إلى مكة، ولما قدمت إلى مكة المكرمة عام ١٣٥٥هـ كان أول ما خطر ببالي مقابلة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح فزرته بمدرسة دار الحديث في باب العمرة فرأيت سيما الصلاح والتقوى بادية في حديثه ومجالسه ، وصليت خلفه فكان في خطبه وصلاته يَبْكِي ويُبْكِي مَنْ خَلْفَهُ ، وكان رحمه الله يحافظ على تلاوة القرآن في حصوة باب الصفا بصوته الرحيم وقراءته المرتله وكان الحجاج يتزاحمون على الصف الأول ليسمعوا صوت الشيخ قبل أن يكون في المسجد مكبرات للصوت .

وقد فقد المسجد الحرام بوفاته إمامه الورع وخطيبه المؤثر وداعيته إلى الله فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجعل أولاده خير خلف لخير سلف . أهـ .

سبحان الذي يختص من يشاء بمزيد فضله ووافر إنعامه كل من ذكر الشيخ ممن عاصره يذكر حسن قراءته وجمال صوته وقوته وتجويده للقرآن وتحبيره وهذا غاية في الاكرام من الحق جل في علاه لعبده عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله تعالى وجعله في الجنة ممن يقرأ ويرقى .

أما وقد حان بنا أن نصل إلى ختام ما قُدّر لنا أن نجمعه عن فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام والمدرس فيه ، فلأجدر أن يكون مسك الختام هذه القصيدة العصماء التي أنشأها فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رثاء في شيخه واستاذه المرحوم السيد رشيد رضا الذي أنتهل من معين مورده العذب فصدر عنه روي والذي كان سبباً في مجيئه لإمامة المسجد الحرام فتفتقت قريحته عن هذه الأبيات[1] :

---

(١) نقلناها من كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ وهو بدوره نقلها عن جريدة أم القرى عدد ٥٦٢ السنة الثانية عشر الموافق يوم الجمعة ١٣٥٤/٦/١٥هـ كما ذكر ذلك في ترجمته للشيخ السيد رشيد رضا .

أي خطب دها وأي مصاب ... خبروني فقد نكرت صوابي
أحقيق قضى رشيد فأمسى ... صامتاً لا يحير رد الجواب
أحقيق هوى منير الدياجي ... من سماء العلا وحق اكتئابي
أحقيق غاض الخضم ودك الـ ... ـطود في مصر يا له من مصاب
أي إمام الهدى أعرني لسانا ... كان فيه الهدى وفصل الخطاب
وذكاءاً يمده نور علم ... ويراعا يجول في كل باب
وأعرني لآلئا كنت تمليـ ... ـها هدى من بليغ آي الكتاب
فلعلي أصوغ منها المراثي ... باكيات ولا بكاء السحاب
ولعلي أفي ببعض حقوقٍ ... لفقيد الإسلام محيي الشباب
من لنا اليوم بعد موتك يفتي ... ويبين الصواب دون ارتياب
ويرد الضلال من غير عي ... ويرد العدا على الاعتاب
من لتفسيرك المحكم من ذا ... لمنار في الحق ليس يحابي
من يحل العويص من مشكلات ... من يجلي مخدرات الكتاب
من يسد الفراغ بعد رشيد ... من يبين السبيل للطلاب
كان ملء العيون علماً وفضلاً ... حجة في العلوم والآداب ..
سلفياً محققاً مستقل آلـ ... ـفكر حر الضمير حلو الخطاب
المعيا مناظرا لا يجاري ... وبليغا من أبلغ الكتاب
وخطيبا ومصقعا علوياً ... باسق الأصل في ذُرا الانساب
محييا سُنّة النبي بعلم ... ومميتا لبدعة وكذاب
داعيا للإله في حين يدعو ... علماء الضلال للأنصاب
حارب الشرك والفجور بعزم ... دونه مرهف القنا والحراب
فتوالت عليه شَتّى خطوب ... من أناس كثيرة كالذباب

وتعـــادت عليـــه مـــثل ذئاب ... وهو كـالبـدر لم ينل باصطخـاب
ومـضى ناصـحـا بغـيـر التـفـات ... لأذى ملحـــد وأهل كـــتـــاب
غـــيـــر راج من الخـــلائق أجـــراً ... لا ولا خـــــائف ولا هيّـــاب
كم أهاب الرشـيـد بالشـرق حـتى ... أشـرقت شـمـسـه بغـيـر حـجـاب
صـــادعـــاً بالحق المبين إذا مـــا ... شـغلت غـيـره ذوات الخـضـاب
لا يبـــالي بمدحـــه الناس يومـــاً ... وهو أهل لهـــا ولا بســـبـــاب
فـأقـرأ الوحي[1] إن أردت رشـــاداً ... ومنـارا دليله كـــالشـــهـــاب
كم تمنى لشـــرعـــه الحق نصـــرا ... وعلوا على جـمـيـع الرقـاب
كم أمـــاط اللثـــام عنهـــا وجلى ... وســبـانا بحـسـنهـا الخـلاب
شُـــعْلَةٌ أَطْفِـــئَتْ وشـــمسٌ توارت ... وَيْ كـــأن الحـيـــاة لمع ســـراب
ليت شـعـري آتائب حـاسـدوه ... بعـــد هذا لربـنـا التـــواب
كل حي إلى الفناء سـيـمـضي ... ومـسـوق جـمـيـعنا للتـراب
رب أن المصـــاب فـــيـــه عظيم ... ضـاق فـيـه ذرعـاً أولوا الألبـاب
رب أفـــرغ على القلوب اصطبـــارا ... وامنحن الفـقـيـد حسن الثـواب. أهـ

---

(١) إشارة إلى كتاب الوحي المحمدي تأليف العلامة الفقيد .

وبعد هذا شيء يسير عن حياة عالم نحرير وخطيب مفوه قدير وفقيه متمكن كبير ومقرئ مجودٍ شهير تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام وهو لها أهلاً وبها جدير ، من كبار الدعاة وأخلص العلماء وأصدق من جاهد بقلمه ولسانه ذلكم هو فضيلة الشيخ أبو السمح محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه رحمه الله تعالى وغفر له وللمسلمين .

ومن مؤلفاته :

كتاب : حياة القلوب بدعاء علام الغيوب .

كتاب : الأولياء والكرامات .

كتاب : الرسالة المكية .

مراجع ترجمة فضيلة الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح

مستدرك معجم المؤلفين .

الاعلام للزركلي .

نثر الدرر في تذييل نظم الدرر

سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة ، عمر عبد الجبار

جريدة عكاظ الثلاثاء ٥ ربيع أول ١٤٠٥هـ العدد ٦٧٤٢

جريدة البلاد السبت ١٤٠٣/١١/٥هـ صفحة حياتهم إعداد الأستاذ محمد أبو بكر باسلامه.

صورة من توقيع الشيخ أبو السمح على كتاب الجواب الكافي .

الجواب الكافي

لمن سأل عن الدواء الشافي

تأليف

الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد

شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي بكر

المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله عنه

الطبعة الثالثة

١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

طبع على نفقة ملتزميه

أبي السمح عبد الظاهر بن محمد — امام ومدرس وخطيب الحرم المكي

محمد صالح نصيف — من أعيان ووجهاء جدة (الحجاز)

حقوق الطبع محفوظة

(كل نسخة غير مختومة بختم أحد الملتزمين تعتبر مسروقة)

مطبعة أمين عبد الرحمن بشارع محمد علي نمرة ١٤١ بجوار سوق الخضار بمصر

صورة من صفحة إهداء الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح للكتاب إلى مكتبة الحرم بخط يده وتوقيعه .

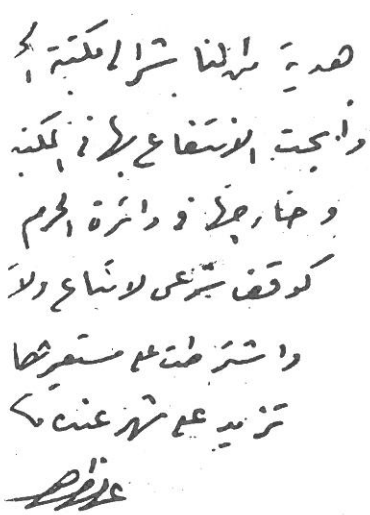

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أخرجنى من ظلمات الشرك والتقليد ، إلى نور العلم والتوحيد . ووفقنى من غير حول ولا قوة للاعتصام بالكتاب والسنة. ونفخ في روح العمل بهما ، والدعوة إليهما ، والتفقه فيهما

أحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ربوبية ولا ألوهية ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير البرية . صلى الله عليه وعلى أصحابه صلاة دائمة زكية ، وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : فلما كان الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافى للامام العلامة العارف بربه أبي عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية من أهم الكتب النافعة فى تقويم الأخلاق وتثقيف العقول وشفاء النفوس

فضيلة الشيخ محمد نور الكتبي [1]

إمام المسجد الحرام

هو الشيخ محمد نور الكتبي بن محمد إبراهيم الكتبي بن محمد عبد الله الحسني ، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب .

ولادته : ولد رحمه الله في مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ .

المنشأ : نشأ وترعرع في رحاب أم القرى وعن علمائها تلقى علومه وأخذ دروسه . حفظ القرآن الكريم وجوده على يد الشيخ عبد اللطيف قاري المدرس بالمسجد الحرام ، التحق في بداية طلبه للعلم بالمدرسة الصولتية ، وعن كبار علمائها واساتذتها أخذ جُل علومه وتخرج منها وتحصل على شهادتها عام ١٣٣٧هـ .

ومن مشايخه في المدرسة الصولتية الشيخ مشتاق أحمد الهندي ، والشيخ محمود زهدي ، والشيخ عبد الرحمن الدهان ، والشيخ يحي أمان .

ثم سار يحث الخطى نحو المسجد الحرام ليتلقى عن كبار علمائه ويأخذ عن اساتذته ، فدرس أولاً على يد والده العلامة الشيخ محمد إبراهيم الكتبي أحد مدرسي المسجد الحرام، درس عليه أصول الفقه والحديث والتفسير .

ثم درس علم الحديث والفقه على محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان المحرسي، ودرس كذلك على الشيخ عيسى رواس ، وعلى غير هؤلاء كثير تلقى

(١) نقلاً عن كتاب اعلام من أرض النبوة ، للأستاذ أنس يعقوب الكتبي الحسني .

عنهم وحضر دروسهم ومازال يجد ويجتهد في الطلب حتى أصبح مؤهلاً للتدريس ، ،أذن له بالتدريس عام ١٣٤٠هـ فتصدر للتدريس بالمسجد الحرام ، وعقدت حلقة درسه ، وتهافت عليه طلاب العلم ، ينتهلون من علومه ومعارفه.

إمامته للمسجد الحرام :

ذكر صاحب كتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام الشيخ حسين عبد الله باسلامه في كتابه ص ٢٣٤ :

يقوم بخطبة الجمعة والعيدين العلامة الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح والصلوات الخمس ، ثم عُين لصلاة الظهر معه عضو هيئة رئاسة القضاء الشرعي العلامة الشيخ محمد نور الكتبي . أهـ .

ويذكر صاحب كتاب اعلام من أرض النبوة الأخ أنس يعقوب الكتبي الحسني : أن الشيخ محمد نور الكتبي كان قبل ذلك يصلي في الأيام العادية ويصلي التراويح في رمضان . أهـ .

ومن مكرمات الملك عبد العزيز أنه لما علم أن فضيلة الشيخ محمد نور الكتبي يسكن بعيداً عن المسجد الحرام وهو أحد أئمته أصدر أمره الكريم عام ١٣٥٥هـ بمنحه العمارة العائدة لوزارة المالية بباب العمرة مقابل الزقاق الموصل إلى الداودية كهبة وتقدير من جلالة الملك عبد العزيز ، وانتقل إليها الشيخ محمد نور وكان من جيرانه الأستاذ عبد الله بالخير وآل المنصوري وآل خوج [١] .

---

(١) رجال من مكة - الجزء الثالث ص ١١٧ للأستاذ زهير جميل كتبي .

حيـاته العمليـة :

في عـام ١٣٤٦هـ عُين فضيلته عضواً بهيئة رئاسة القضـاء الشرعي ، وفي نفس العـام عُين بترشيح من الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة .

وفي عام ١٣٤٩هـ عين الشيخ الكتبي عضواً بهيئة التمييز للأحكام الشرعية ، وفي عـام ١٣٥٥هـ تم تشكيل مجلس المعارف في المملكة و فـأختير الشيخ الكتبي عضواً في هذا المجلس .

تولى القـضـاء بالمدينة المنورة ، ومنذ عـام ١٣٥٧ إلى عـام ١٣٦٤هـ وهو رئيساً لمحاكم المدينة المنورة .

وخلال هذه الفترة كان رئيساً لهيئة كبار العلماء والمدرسين بالمسجد النبوي الشريف .وفي عـام ١٣٧٣هـ طلب فضيلته من ولاة الأمر اعفائه من القضاء ، فصدر الأمر الملكي الكريم بالموافقة على طلبه وإحالته على التقاعد بكامل راتبه إكراماً لجهوده .

وفي نفس العـام ١٣٧٣هـ انتخب فضيلته عضواً في المجلس الإدراي بالمدينة المنورة ، وفي عـام ١٣٧٧هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه مستشاراً شرعياً لإدارة الأوقاف في المدينة المنورة .

آثـاره العلميـة :

لم يكن لدى فضيلة الشيخ محمد نور الكتبي من الوقت ما يجعله يتفرغ للتصنيف ، فكل وقته كان للقضاء الشرعي وشئونه والتدريس ، لكنه خلف

مكتبة عامرة تزخر بكثير من المخطوطات والكتب النادرة أفنى عمره منذ صغره في جمعها ، أنتقل بها معه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حينما استقر بها ، وهى الآن موجودة تحت اسمه في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقد صنف كتاباً في المناسك (النخبة المعتبرة من مناسك الحج على المذاهب المشتهرة) طبع في عام ١٣٤٧هـ .

وفاته رحمه الله :

وبعد حياة حافلة بالعلم والقضاء ، ومزيد من العطاء والوفاء ، متنقلاً بين الحرمين الشريفين ، داعياً إلى الله تعالى على هدى وبصيرة، من خلال تدريسه بالحرمين ، وتوليه للقضاء فيهما ، وسعيه حثيثاً لحل مشاكل الناس . لبى نداء ربه وانتقل إلى جواره . توفى رحمه الله تعالى في يوم ٢٢/١٠/١٤٠٢هـ في المدينة المنورة ، ودفن في بقيع الغرقد بين آل البيت والصحابة الكرام والصالحين على مقربة من مرقد جده المصطفى صلى الله عليه وسلم .

شيع الجنازة حشد هائل من طلبة العلم والأعيان وواسى في وفاته رجال الدولة وكبار العلماء . رحمه الله تعالى وعفى عنه .

فضيلة الشيخ / محمد عبد الرزاق حمزة

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

ولد في قرية كفر عامر بالقليوبية بمصر عام ١٣٠٨هـ

نشأ وتربى وتعلم في مصر

التحق بالأزهر الشريف وحاز على شهادته في عهد شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري ، وبعد تخرجه من الأزهر إلتحق بدار الدعوة والإرشاد التي أسسها السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى .

وبعد تخرجه من دار الدعوة والارشاد إشتغل بالدعوة إلى الله تعالى ، وذاع صيته ولمع نجمه واشتهر اسمه وظل كذلك داعياً إلى الله حتى استدعاه الملك عبد العزيز يرحمه الله مع فضيلة الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح ليشغلا وظيفتي الامامة والخطابة في الحرمين الشريفين .

فوصل الحجاز عام ١٣٤٥هـ وبمجرد وصوله زاول التدريس بالمسجد الحرام وانتفع به أناس كثير .

وفي عام ١٣٤٦هـ تولى خطابة وإمامة المسجد النبوي الشريف ووكيلاً لهيئة مراقبة الدروس ومدرساً بالمسجد النبوي الشريف وكانت له دروس صباحية ومسائية في الحرم النبوي الشريف استفاد منها طلبة العلم خاصة في الحديث والتفسير والتوحيد .

وفي عام ١٣٤٨هـ صدر الأمر بتعيينه مساعداً لإمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة ومدرساً بالحرم المكي الشريف ، وبعد مجيئه إلى مكة المكرمة مساعداً لإمام وخطيب المسجد الحرام قام بواجبه داعياً إلى الله تعالى إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام .

كما شارك فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح في تأسيس دار الحديث المكية وظل بها مدرساً حتى انتقل الشيخ عبد الظاهر إلى رحمة الله تعالى وتولى إدارة دار الحديث المكية .

كما كان مدرساً بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة ، فاستفاد منه طلبة العلم الشيء الكثير من خلال خطبه بالمسجد الحرام ودروسه بالحرم ودروسه بدار الحديث وبالمعهد العلمي رحمه الله رحمة الأبرار .

كما شارك رحمه الله تعالى في التدريس في أول معهد علمي بالرياض عندما تأسس عام ١٣٧٢هـ تحت إشراف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية حيث اختير الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة للتدريس في مادة التفسير والحديث وفروعهما . وأقام به فترة ليست بطويلة عاد بعدها إلى مكة المكرمة ، بعد أن استفاد طلبة المعهد منه الكثير .

وهكذا ظل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ناشراً للعلم باثاً للسنة داعياً إلى الله تعالى على هدى وبصيرة حتى توفاه الله تعالى في الثاني والعشرين من شهر صفر عام ١٣٩٢ بمكة المكرمة .

وصلى عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة المغرب ودفن بالمعلاة مخلفاً وراءه الذكر الحسن والفعل الجميل .

بكته القلوب ودمعت من أجله العيون .

من آثاره العلمية :

ألف رحمه الله تعالى مجموعة من الكتب العلمية القيمة :

منها كتاب : الصلاة ، وهو يعتبر كموسوعة مصغرة لموضوع الصلاة .

كتاب : الشواهد والنصوص ، نقد لكتاب (الأغلال) لعبد الله القصيمي .

كتاب : ظلمات أبي ريا ، نقد لكتاب لأبي ريا

كتاب : المقابلة بين الهدى والضلال .

كتاب : الإمام الباقلاني وكتابه التمهيد .

عن بعض جوانب من حياة فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة يحدثنا من حرص على ملازمته ودرس على يديه وأنتفع به غاية الانتفاع صهره زوج إبنته فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله تعالى فيقول :

(لعل من أبرز الشخصيات التي كان لها الأثر في نفسي شخصية فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ثم مساعد خطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة والمدرس بالحرم المكي والمعهد العلمي السعودي ومدير دار الحديث بالنيابة .

بدأت صلتي بفضيلته منذ أن قدم مكة المكرمة وأقام في الحرم المكي الشريف فترة يعلم الناس الخير ويلقي دروساً في الحديث ثم ارتحل إلى المدينة المنورة ليزاول عمله فيها خطيباً للمسجد النبوي الشريف وبعد عودته من المدينة

المنورة للاقامة بمكة المكرمة مدرساً في المسجد الحرام ومساعداً لخطيبه . قرأت عليه في جملة ما قرأت جزءاً من كتاب مشكاة المصابيح ثم في مختصر سنن الترمذي وصحيح البخاري وكتب السنن بالإضافة إلى استماعي لتفسير القرآن الكريم الذي كان يفسره تفسيراً مبسطاً ومن المصحف دون كتاب أشبه بوعظ عام - كما درست عليه في المعهد العلمي كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد وكتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام الذي كان مقرراً في المعهد آنذاك - والجدير بالذكر أن فضيلته رغم تخصصه في علوم الدين والعربية كان يضم إلى ذلك العلوم الرياضية والاجتماعية - وكان شرح فضيلته على السبورة لمسائل الجبر والحساب كأفضل مدرس متخصص في هذه المادة وكثيراً ما كانت تبدو على طلابه علامة الاستفهام والدهشة لمزاولته تدريس الرياضيات فيسألونه عن اختصاصه وكيف جمع بين علوم الدين والرياضيات في مهارة وحسن أداء فيفتر ثغره عن بسمة سرور وغبطة ثم يقص عليهم قصته وأنه في ماضيه كان مولعاً بدراسة الرياضيات ثم أضاف إلى ذلك تخصصه في علوم الدين - وأغرب من ذلك أن فضيلته كان مولعاً أيضاً بعلم الفلك وله فيه نشاط ملحوظ ودراسات واسعة الأمر الذي حمله على جلب جهاز خاص كان يطمع أن يوضع على جبل أبي قبيس أو غيره من الجبال الشاهقة لأثبات رؤية الهلال . ومن كرمه كان يخصني يرحمه الله بدروس في الخلوة التي كانت تعرف بقبة الساعات في المسجد الحرام ينزلها للقرب من أداء التدريس والامامة ويقضي فيها أكثر أوقات فراغه .

درست عليه فيها اللغة العربية في الفية ابن مالك وشرحها كما كنت

استعرض له في الكتب المطولة أبحاثاً في العقيدة والحديث والتفسير وان شئت فقل والرياضيات خاصة دروس الجبر إذ كنت ضعيفاً في هذا الفن ويسترسل الشيخ عبد الله خياط في الحديث عن صهره الشيخ محمد عبد الرزاق حمزه فيقول عن مثاليته :

لست أكتب عن تاريخ حياته فاستقصي فيه كل شيء ولكني أكتب من زاوية عقدت لها هذه الحلقات شخصيتة وكيف كان لها الأثر في نفسي في طليعة ما يجب أن اعنى به مثاليته في المنزع واخلاقه الكريمة العظيمة التي تلحقه ان شاء الله بالصالحين ، نبدأ منها بذكر تواضعه إذ كان خلقه الذي لا ينفك عنه كان من سعة علمه يظهر وكأنه طالب علم لا من العلماء المتبحرين لم يَبْدُ في مظهر من مظاهره أنه أرتفع بشخصيته عن الغير أو اعتقد بعلمه وفاضل به مع أنه يرحمه الله كان آية في الاستنباط وحجة في سرد أقوال العلماء قديماً وحديثاً إلى جانب عرض النظريات الحديثة في علوم الحضارة مما لا يتنافى مع الدين ، أما عزوفه عن المادة فيترجم عنه عدم التكثر بل يقنع منها برزق الكفاف وما يسد الخلة لم يؤخذ عليه أنه تدلى في طلبها أو أستجدى للاستحواذ عليها أصدق ما يصور ذلك أن تقاعده لم يبلغ الثلثمائه ريال وحسبك بالقناعة كنزاً لا يظفر به غير الأخيار الأفذاذ من الرجال .

لقد رغبت في مصاهرته فرحب ويسر مطالب الزواج في كل دروبها فاتصلت صلة العلم بصلة المصاهرة وكان ذلك أعظم كسب إذ كنت أجد من فضيلته على الدوام لقرب الصلة التوجيه السديد الرشيد .

توفى فضيلته يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر عام ١٣٩٢هـ وصلى عليه بعد مغرب ذلك اليوم في المسجد الحرام ودفن في مقبرة المعلاه يرحمه الله .

ولئن غاب عن ذهني الكثير من توجيهاته لبعد العهد وضعف الذاكرة فلست أنسى توجيهه وتشجيعه بل وحفزه لي بكل وسيلة لقبول ترشيحي لإدارة مدرسة الأمراء بالرياض .

أذكر الآن من قوله ونصحه ما يأتي : إن في الحركة بركة ، وإن الماء الراكد لا يبرح أن يتعفن وإن بقاءك في الحجاز كمدير مدرسة لا يرفع من شأنك بل لا تزال في نظر الناس كأنسان عادي ولا تزداد إلا بلاء وعناء مع طلاب لا يقدرون مصلحتهم ومع اساتذة قد يكون من الصعب أخذهم بالمنهج التربوي في تدريس المواد والذي أفدته من المعهد فأحزم أمرك وتوكل على الله ولن يخيبك أبداً .

وغادرت مجلسه منشرح الصدر لتوجيهه ونصحه قوي الثقة بالله بأنه سبحانه وتعالى سوف يجعل في مسيرتي الخير - فحزمت أمري وقبلت الترشيح وأمضيت في رحاب ملك كريم أكرمني يرحمه الله لذلك ما برحت أبكي حتى الآن كل لحظة عشتها في رحابه وكل فترة قُدر لي أن أنعم بها في ظلاله - لم يكن تقديره في السر بل كان علناً وفي مجلسه الحافل بأفاضل الرجال شهد ذلك كل أنجاله وعَجِبَ منه الكثير مِنْ أولى المكانة مِمّنْ يعيش في الرياض ، والفضل من أصوله لا يستغرب .

يرحم الله الملك عبد العزيز رحمة واسعة في منازل البررة من عباده والمقربين إليه .

لقد أمضيت في الرياض سبعة عشر عاماً بفضل الله ثم ببركة توجيه ونصح فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، ثم عدت إلى الحجاز في أرفع مكانة وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى ثم ببركة قبول النصح والتوجيه الصادق الخالص من شيخنا يرحمه الله) . أهـ .

بهذه العبارات النيرة والكلمات الطيبة وصف لنا الشيخ الخياط شيخه الشيخ محمد عبد الرزاق حمزه وصفاً يدل على مدى محبته لشيخه وصهره ومدى تأثره به وبشخصيته ، رحم الله الجميع .

وبعد :

هذا ما تيسر لنا جمعه عن فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة يرحمه الله إمام وخطيب المسجد الحرام والمدرس فيه ، وعضو التدريس في دار الحديث المكية والمعهد العلمي السعودي بمكة والرياض الذي فرغ نفسه للعلم وطلابه وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة .

مراجع ترجمة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة :

الاعلام - جزء ٦ ص ٢٠٣ .

مشاهير علماء نجد وغيرهم

نثر الدرر في تذييل نظم الدرر - مصور ص ٦٥

عكاظ الثلاثاء ١٢/٣/١٤٠٥هـ العدد ٦٧٤٩ .

البلاد - الأربعاء ١١/رجب/١٤٠٧هـ العدد ٨٥١٠ - حياتهم ، إعداد محمد أبو بكر باسلامة .

فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ

إمام وخطيب المسجد الحرام

أما هذا الشيخ الهمام سليل بيت العلم الكرام ، حفيد شيخ الإسلام وابن رئيس القضاء في البلد الحرام ، فسيرته خَيّرة وحياته طيبة ، وخير من يحدثنا عنه ابنه المبارك معالي الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز آل الشيخ الوزير السابق للزراعة الذي كان مثالاً يحتذى في البر والسمع والطاعة .

وقد زودنا[1] بترجمة مختصرة عن والده الفقيد الغالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ جزاه الله تعالى خير الجزاء واليكموها كما جاءتنا :

ترجمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ

(١٣٣٦هـ - ١٤١٠هـ)

هو الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن ابن الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

ولد الشيخ عبد العزيز عام ١٣٣٦ هـ. وشب ودرج في كنف والديه .. وعاش طفولته في أحضان والدته لانشغال والده بمصاحبة الملك عبد العزيز ابان حروب توحيد شبه الجزيرة وتحضير البادية ، إذ كان أبرز شخصية عُرفت يوم

---

(١) تلقينا هذه الترجمة عن طريق فضيلة الشيخ أبو عبد العزيز عبد الله بن أحمد بن علي بخيت مدير الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني بجده الذي كان صديقاً لمعالي الشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ إمام وخطيب المسجد الحرام ومقرباً لديه .

ذاك بمهمة الدعوة والإرشاد .

التحق الشيخ عبد العزيز في فترة مبكرة من طفولته بمدرسة (ابن مفيريج) احدى الكتاتيب المشهورة بمدينة الرياض آن ذاك فحفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة ، ثم التحق - مع بقية اسرته - بوالده في الحجاز حيث عين (الشيخ عبد الله) إماماً وخطيباً للمسجد الحرام اثر دخول الملك عبد العزيز الحجاز . وفي عام ١٣٤٦هـ عين الشيخ (عبد الله) رئساً للقضاء بالحجاز وهناك استقر مع اسرته فلازم الشيخ عبد العزيز والده ملازمة دائبة ونهل كثيراً من علمه وفضله .

وعند افتتاح المعهد العلمي بمكة المكرمة ألحقه والده به فنال شهادته ، وأصبح رجلاً مؤهلاً يعتمد عليه ، فكان مثالاً للشاب الصالح الذي لا تعرف له صبوة كما كان عالماً يفتي ويؤم المصلين بالمسجد الحرام ، وظل دائماً حريصاً على الاستفادة من علم والده ومن العلماء الذين يفدون إلى مكة بغرض الحج أو المجاورة .

وعندما أنس فيه والده النجابة والرغبة الملحة في اغتراف المزيد من العلم شجعه على الإلتحاق بالدراسة ، على يد ابن عمه العلامة الجليل (الشيخ محمد بن إبراهيم) مفتي الديار السعودية ، وأحد العلماء البارزين في ذلك الوقت ، فوفد إلى الرياض وانضم إلى حلق الدراسة بمسجد الشيخ واستقبله الملك عبد العزيز استقبالاً طيباً وأكرم وفادته لما يعرفه عنه من تقى وصلاح ، فخصص له داراً وسهل له أمر طلب العلم ، فحقق بذلك ما يريد لكن نفسه الكريمة كانت تحدثه دوماً بنيل المزيد ، فسافر إلى مصر في بعثة دراسية

والتحق بالجامعة الأزهرية (كلية الشريعة) فنال الشهادة العالمية في الشريعة ، ثم عاد إلى الحجاز فعين عضواً في رئاسة القضاء وإماماً للمسجد الحرام ثم معاوناً لوالده في إدارة شئون القضاء وعندما انشئت أول وزارة للمعارف ، وكان خادم الحرمين الشريفين (الملك فهد) أول وزيراً لها . اختار الفقيد ليكون وكيلاً للوزارة ، اضافة إلى مهامه تلك ، فظل الساعد الأيمن والعنصر الأشد لوزير المعارف في لم شمل التعليم وتنظيمه وتحديثه وإصلاح مناهجه والدفع بعجلة التعليم قدماً حتى عم أنحاء المملكة .

وعندما تغيرت الوزارة أصبح الفقيد وزيراً للمعارف وتخلى يومها عن نيابة رئاسة القضاء في الحجاز غير أنه احتفظ بالإمامة والخطابة في المسجد الحرام والخطابة في مسجد نمرة .

وبعد تخليه عن حقيبة وزارة المعارف واصل مشواره في الخطابة بالمسجد الحرام ومسجد نمرة ، ودأب على ما عرف عنه من الحرص على تطبيق السنة واستكمال الفضائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكراهية البدع فكان مثل والده في ذلك .. يشتد غضبه ان وصل إلى سمعه أن ثمة محارم تنتهك أو أن سنة شرعية تختفي .

سافر إلى كثير من البلدان الإسلامية وزار كثيراً من الجمعيات فألقى العديد من المحاضرات وأجرى الكثير من اللقاءات الهادفة من أجل خدمة الإسلام والعقيدة .

وظل كذلك إلى أن اضطره سوء صحته للجلوس بالدار غير أنه استمر يؤدي الواجب بطريقة أخرى ، إذ أخذ يبعث بالنصائح والرسائل لمن يعنيهم الأمر من الولاة والقادة ، فكان رأيه - رحمه الله - يحظى عندهم بالقبول والتقدير وكان ولاة أمورنا - يحفظهم الله - يجيبونه ويشكرون له هذا الصنيع ويطالبونه بالمزيد .

وعندما توفى عمه (الشيخ عمر بن حسن) رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدر أمر ملكي سام بأن يحل محله ، فامتثل الفقيد الأمر وقام بواجبه فترة من الزمن ، إلا أن صحته لم تمكنه من الاستمرار فاعتذر وطلب كذلك من ولاة الأمر تعيين من ينوب عنه في الخطابة والإمامة بالمسجد الحرام ومسجد نمرة ، فقبل عذره ووجه إليه خطاب شكر وامتنان على ما أسداه من خدمة جليلة .

كان - رحمه الله - مثالاً في الخلق مهيباً وقوراً ، حسن المعشر ، متسامحاً كريماً ، كما كان مثالاً فذاً للرجل العالم العاقل والعامل بعلمه فسجاياه - رحمه الله - أكثر من أن نوفيها حقها ونحصرها في عجالة كهذه .

رحل عنا قرير العين ، راضي النفس حتى آخر لحظة من عمره مشغولاً بذكر ربه ، محافظاً على صلواته جماعة حتى في أصعب ظروفه الصحية ، وكان لسانه يلهج بشكر الله رغم ما كان يعاني منه من مرض عضال حتى أن أصحابه كانوا يعجبون من صبره وجلده ، لم يشك مما أصابه لأنه كان يعلم يقيناً : أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

عاش عمراً طويلاً وظل دائماً مستقيماً غيوراً على الدين والمحارم فأكسبه

ذلك هيبة ووقاراً فأحبه الأقربون ودون ذلك ، وأحبه واحترمه حتى من اختلف معه في الرأي .

وكانت نفسه الزكية تنأى دوماً عن سفاسف الأمور وتفاهتها فغدا بذلك أشبه بمن عرفناهم وقرأنا عنهم من علمائنا العاملين من سلفه فلا غرو اذن أن يتمتع بكل تلك المكانة السامية وأن يكون له كل ذلك الحب والاكبار .

عاش عزيزاً كريماً .. ومات مستوراً مأسوفاً عليه وعلى ما امتاز به من سمح الخصائل وكريم الشمائل أهـ .

هذا هو فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ وهذه بعض خصاله رحمه الله ، كان ذا هيبة وتواضع أدركته في آخر حياته خطيباً للمسجد الحرام في عيد الفطر وصليت خلفه ، وأدركته كذلك خطيباً في الجمع الأكبر في مسجد نمرة بسوح عرفه وصليت خلفه ، كانت عباراته جزلة ولصوته رنه يدوي في ساحات الحرم بالتكبير وبصادق النصح والتحذير ، كما أن لصوته الشجي انطلاقات عاليه في جو السماء بسوح عرفات وعرصاتها بالتلبية والتهليل والنصح الجميل والدعوة المخلصة لصفاء العقيدة وكمال التوحيد ، ينقل ذلك الأثير لسائر أقطار الدنيا نقلاً حياً مباشراً والمتابعة تكون من عامة الأمة في سائر الأرض بأشد الحرص وغاية الاهتمام ، فبذا يصل صوته مهللاً وملبياً وناصحاً ومذكراً لكل بقاع الأرض ، تسعد به أرواح المؤمنين وتستجيب لنصحه فكان له بهذا عظيم الأجر وجزيل الثواب ، رحمه الله رحمة الأبرار .

فضيلة الشيخ / عبد المهيمن أبو السمح

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو أبو السمح عبد المهيمن محمد نور الدين الفقيه ولد في قرية التلين بمديرية الشرقية بمصر عام ١٣٠٧هـ .

في بيت علم ودين فأتم حفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره وتلقى علومه في الأزهر الشريف على أيدي كبار علماء عصره وتتلمذ على كثير منهم من أمثال الشيخ محمد عبده .

قضى شبابه رحمه الله في الدعوة إلى الله ، شارك في تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة وكان من أبرز أعضائها وقد فتح مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بجوار إدارة جماعة أنصار السنة بعابدين بالقاهرة .

ألتقى رحمه الله في المملكة بالكثير من علمائها الأفذاذ أمثال الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر عليه رحمه الله ، والمشائخ عبد الملك بن إبراهيم وعبد الله بن دهيش ومحمد بن علي الحركان وغيرهم ممن ساهموا بجهد معروف في نشر الدعوة وشاركهم مجالس العلم وندواته وقد رأى فيه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز إهتماماً بتوجيه النشىء إلى العقيدة الصحيحة فأمر بتعيينه مديراً للمعهد الثانوي بعنيزة في القصيم، حيث واصل رحمه الله جهوده الرامية إلى غرس المفاهيم الدينية الصحيحة في نفوس الشباب وبذل غاية الجهود التربوية للوصول إلى ما يريده ويرجوه من بث روح البحث والدراسة والتحقيق والتدقيق في هذا النشئ وغرس هناك غرساً مباركاً فأثمرت جهوده .

وفي عام ١٣٦٩هـ إستدعاه الملك عبد العزيز لإمامة المسلمين في المسجد الحرام فقام بالإمامة إلى جانب التدريس للقرآن الكريم والحديث الشريف في مدارس وزارة المعارف وفي دار الحديث بمكة المكرمة .

ولقد كان الشيخ إلى جانب ذلك من أكثر الداعين تحمساً لتضامن المسلمين وتوحيد كلمتهم للوقوف في وجه التيارات الإلحادية والتنصيرية السائدة في العصر الحديث .

فكان من أشد المؤيدين لدعوة جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز لإنشاء رابطة العالم الإسلامي .

وبعد إنشاء الرابطة واظب يرحمه الله على حضور إجتماعاتها ولم يدخر جهداً في سبيل نشر الدعوة طوال حياته التي دامت اثنين وتسعين عاماً .

توفى في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٩ هـ رحم الله الشيخ وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين واسكنه الجنة أنه سميع مجيب ..

مصادر الترجمة :

نقلت هذه الترجمة من نسخة مصورة وجدتها لدى الشيخ عبد الله المعلمي أمين مكتبة الحرم المكي سابقاً .

فضيلة الشيخ / عبد الله خياط

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط .

الولادة : ولد في مكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ ، .

المنشأ : نشأ وترعرع في أم القرى مهبط الوحي ومنبع النور ومشرق الهداية ، وكان المسجد الحرام في ذلك الوقت يشع بأنوار العلم ويضيء بنور العلماء كان المسجد الحرام في ذلك الوقت مركز الاشعاع العلمي والثقافي ومصدر المعرفة الفكرية ، حلق العلم فيه تكتظ بالطلبة ملتفين حول مشائخهم متحلقين حول العلماء ينتهلون من موارد العلم والمعرفة ويصدرون وقد أرتووا من الموارد الهنية . وتأهلوا للمقامات العلية وتصدروا للدعوة الإسلامية .

نعم لقد كان المسجد الحرام مكتظاً بحلق العلم ، فهذا مدرس للتفسير وآخر للحديث وثالث للفرائض ورابع لعلوم العربية ، وهكذا إلى آخر العلوم الشرعية،، يجد طالب العلم بغيته ، ويملأ جُعبته على أيدي كبار العلماء ، الأتقياء الأولياء الذين يرضيهم في الدنيا القليل يريدون الدار الآخرة ورضى الرب الجليل .

في هذه البيئة نشأ فضيلة الشيخ عبد الله خياط وعلى أيدي كثير من علماء المسجد الحرام تلقى فضيلته العلم وأرتشف المعرفة وأنتهل البر وتزود بالتقوى واستبق الخيرات .

درس فضيلته علومه الأولية في مدرسة الخياط بمكة المكرمة ودرس المنهج الثانوي في المدرسة الراقية ثم تخرج في المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٠هـ .

فمن المشائخ الكرام والعلماء العظام الذين درس عليهم فضيلة الشيخ عبد الله خياط وتلقى عنهم كل من أصحاب الفضيلة :

١ - فضيلة الشيخ حسن عرب : حفظ على يديه القرآن الكريم في المدرسة الفخرية .

٢ - فضيلة الشيخ محمد اسحاق القاري : مدير المدرسة الفخرية ، درس عليه ألفية ابن مالك في اللغة العربية ودرس عليه القراءات السبع .

٣ - فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير: قرأ عليه في المسجد الحرام سنن الترمذي .

٤ - فضيلة الشيخ المحدث مظهر حسين : قرأ عليه في المسجد الحرام ، كتاب بلوغ المرام وشرحه سبل السلام .

٥ - فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح : إمام وخطيب المسجد الحرام والمدرس فيه ومدير دار الحديث المكية ، قرأ عليه في المسجد الحرام كتاب مشكاة المصابيح كما قرأ عليه في داره كتب العقيدة مثل كتاب التوسل والوسيلة وكتاب الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميه ، وكتاب الجواب الكافي لابن القيم وجملة من كتب العقيدة .

٦ - فضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة : مساعد خطيب المسجد الحرام

والمدرس بالحرم والمعهد العلمي ومدير دار الحديث بالنيابة ، قرأ عليه في المسجد الحرام من جملة ما قرأ جزءاً من كتاب مشكاة المصابيح ، ثم مختصر سنن الترمذي وصحيح البخاري وكتب السنن بالإضافة إلى استماعه لتفسير القرآن كما درس عليه بالمعهد كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد وكتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام .

٧ - فضيلة الشيخ سليمان الحمدان : درس عليه بالمسجد الحرام كتاب عمدة الاحكام .

٨ - فضيلة الشيخ تقي الدين الهلالي : درس عليه بالمسجد الحرام صحيح البخاري ومسلم وعدد من كتب السنة وملحة الاعراب في اللغة .

٩ - فضيلة الشيخ بهجت البيطار : درس عليه في المعهد العلمي .

١٠ - فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي : درس عليه الفرائض بالمعهد العلمي .

١١ - فضيلة الشيخ محمد بن علي البيز : درس عليه الفرائض في شرح الرحبية والفقه على مذهب الإمام أحمد في المعهد العلمي .

١٢ - فضيلة الشيخ عبد الرحمن أبو حجر : قرأ عليه في المسجد الحرام سنن أبي داود .

١٣ - فضيلة الشيخ سليمان أباظه الأزهري درس عليه في المسجد الحرام كتاب قواعد اللغة العربية وفي المعهد كذلك .

١٤ - فضيلة الشيخ عبيد الله السندي الديوبندي : قرأ عليه في المسجد الحرام كتاب تنوير الحوالك شرح موطأ مالك .

١٥ - فضيلة الشيخ أحمد العرابي : تتلمذ عليه في تاريخ الأدب العربي بالمعهد السعودي .

١٦ - فضيلة الشيخ إبراهيم الشوري : مدير المعهد العلمي السعودي وإلى جانب الإدارة درس عليه أصول التربية والتعليم ، ودرس عليه أيضاً في اللغة العربية .

وغيرهم كثير من علماء ذلك الوقت تتلمذ عليهم فضيلة الشيخ عبد الله خياط في المسجد الحرام والمدارس فأستفاد منهم أعظم الفائدة وتزود بحصيلة علمية جعلته في قائمة من تأهل للتصدى للتعليم والتدريس والخطابة والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة .

وظائفة بعد التحصيل العلمي :

عمل في بداية حياته إماماً لمسجد زاوية الرشيدي بمكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ. وعضواً في هيئة الأمر بالمعروف عام ١٣٤٧هـ . ومراقباً لهيئة الأمر بالمعروف عام ١٣٥٠ هـ .

عمل في وظائف تربوية متعددة :

أولها : مديراً لمدرسة حارة الباب بمكة المكرمة عام ١٣٥٢هـ فمديراً لمدرسة الأمراء : (أنجال الملك عبد العزيز يرحمه الله) بالرياض عام ١٣٥٦هـ .

، فمستشاراً لوزارة المعارف بمكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ . ، ثم مشرفاً على إدارة التعليم بمكة المكرمة ومديراً لكلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٧٦هـ .

ورئيساً لمجلس إدارة دار الحديث المكية عام ١٣٨٩ هـ .

آخر وظائفة الإدارية مستشاراً لوزارة المعارف بالمنطقة الغربية بدرجة إستاذ منذ عام ١٣٨٠ هـ .

فضيلة الشيخ والخطابة بالمسجد الحرام :

عين فضيلته خطيبٌ للمسجد الحرام عام ١٣٧٣هـ .

تولى الخطابة وباشرها وقام بواجبها على أكمل وجه قاصداً بذلك وجه الله تعالى مخلصاً في دعوته صادقاً في خطبته قوياً في حجته واضحاً صريحاً في مقولته .

إنطلق صوته في بيت الله الحرام داعياً إلى الله على هدى وبصيرة ، مقتدياً بالسلف الصالح من العلماء الكرام والدعاة العظام ، وصدى صوته ينقله الأثير إلى كل كبير وصغير في جميع الأنحاء والأقطار وسائر الأمصار يدعو لتوحيد ربه الواحد القهار .

وظل كذلك داعياً إلى الله بقوله وفعله في سره وجهره باخلاص نية ومتابعةً للسنة النبوية بأسلوب فريد وقول طري جديد عليه طلاوة وله حلاوة يذوق حلاوته كل من استمع لمقالته . تأثر به الكثير وانتفع به الجم الغفير .

اسلوبه الخطابي :

لقد كان فضيلة الشيخ عبد الله خياط طرازاً وحده وفريداً من نوعه عباراته سلسة وألفاظه سهلة ، يعطي الموضوع حقه ، يوفيه ويكفيه أدلة وبراهين وحجج دامغة بقول واضح مبين مقولته تأسر القلوب وهو لكل مستمعيه محبوب ، يقصر في الخطبة من دون أن يخل بقواعدها وأركانها ، ويحيط بما يريد من كل الجهات قريبها والبعيد ، في قوله رِقةْ ، وفي عينه دمعه ، وفي قلبه خشيه ، رقيق المشاعر ، لا يكاد يعتلي المنبر ويبدأ في الخطبة إلا وتخنقه العبرة ، وتفلت منه الدمعة ، فيظل يقاوم حتى ينتهي من الخطبة ثم يقف بالمحراب يؤم المصلين بصوت شجي فيه بكاء وأنين ، وقلب فيه حب لربه وحنين ، وخلفه المصلين يحسون ويبكون ولربهم يتضرعون ، هذا حاله وكذلك كان في كل مقالة له أينما كان ، سل جنبات المسجد الحرام كم بَكَى فيها وأبْكَى مِنْ خلفه مصلين كرام ، ورجال عظام.

وباعتذاره عن الخطابة في المسجد الحرام نظراً لحالته الصحية وظروفه المرضية أحدث فراغاً كبيراً وفقده خلقٌ كثيرٌ فاشتاقت إليه الأرواح ، وفقدته الأشباح ، وجردت الأقلام للتحدث عن هذا الإمام .

فَمِنْ مَنْ أطلق لقلمه العنان وكتب على صفحات الجرائد بأوضح قول وأفصح بيان متأثراً بغياب هذه الشخصية الفذة عن مجال الخطابة والدعوة وناشراً لبعض مزايا خطب الشيخ واحساسه بالقضايا فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الوهاب أبو سليمان عميد كلية الشريعة بمكة المكرمة والأستاذ بجامعة أم القرى سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء حالياً . في صحيفة عكاظ الغراء العدد ٦٧١٤ يوم الثلاثاء ٦ صفر عام ١٤٠٥ بعنوان (غياب القيادات) فمما قال حفظه الله وجزاه خير الجزاء :

يوم الجمعة في حياة المسلمين هو المهرجان الاسبوعي الذي يعبر فيه خطيب الجمعة عن مشاعر الأمة وأحاسيسها ويضع الحلول السليمة لمعاناتها ومشكلاتها . ليس هذا فحسب بل انه يتحدث عن المستقبل ببصيرة نافذة ويعد الطاقات لما فيه خير الأمة ورفعتها .

وخطيب الجمعة هو الشخصية القيادية المؤهلة لاحتواء تلك الأمور ، واستيعاب ما يدور في المجتمع على المستوى المحلي والعالمي ، لا تنقصه الخبرة، ولا تعوزه الحنكة ، يستضي في فكره ومقاله بنور الشريعة الوضاء .

منذ عقدين من الزمن نعمت جموع المواطنين ببلد الله الحرام بنموذج فذ من هؤلاء الخطباء هو فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط خطيباً بالمسجد الحرام تردد أروقته صوته الندى في خشوع وسكون يأسر القلوب ، إذ كان لها وقع وتأثير متميز في نفوس المصلين لأن خطابته وخطبته الاسبوعية تميزت بخصائص عديدة يأتي في مقدمتها الوحدة الموضوعية مع العناية التامة بلم أطراف الموضوع، مستشهداً له بالأقوال المسلمة ، والنصوص القطعية مختاراً منها أبلغها عبارة ، وأمسها بالفكرة ، دون استكثار ، أو تكرار ، متآخية في

مواردها ومعانيها بما يسبقها من عبارات . وما يعقبها من إشارات وتعليقات، فمن ثم يبلغ من نفس السامع ما أراد لها من وقع وتأثير . ملتئمة مع عباراته في أسلوب متنوع مشرق يمنحها تياراً قوياً من الشعور الإيماني الفياض وهو اقتدار لغوي ، بلاغي لا يسلس قياده إلا القليل من العلماء .

تميزت خطبه فيما تميزت به بتعدد الأغراض والأفكار حسب المناسبات المحلية والدولية والدينية والاجتماعية .

فللمناسبات الدينية في خطبه حديث مستفيض ، وتوجيه رشيد ، واستنهاض للهمم بالمبادرة والافادة منها بالصورة التي يريدها الشرع الشريف .

وللمناسبات الاجتماعية حديث المعايشة ، وتجربة الأيام . فبدايات الأعوام مناسبة لتذكير الناس وتحريك لمشاعرهم الأخوية بالشفقة والعطف لابراز تعاطفهم الإسلامي الإنساني مع المستأجر لمنع مغالاة أصحاب الأملاك من الجشع وتعجيز أصحاب الدخل المحدود ، وموسم الامتحانات تذكير للمدرسين بفلذات الأكباد والرفق بهم . ان حديثه حديث إلى كل فرد في الأسرة والمجتمع فلا غرابة أن تصغي لحديثه القلوب ، وإصلاح المجتمع وتقويمه دينياً وخلقياً يأخذ في خطبه بنصيب وافر في أسلوب رقيق وروح أبوية قيادية صادقة ليس فيها التشنيع ، واللوم ، والتعالي .

لم يفقد المصلون بالمسجد الحرام في خطبه التعرض للأحداث السياسية الإسلامية والعالمية محللاً لها في ضوء التعاليم الإسلامية بحيث يشعر

المسلمون في جنبات المعمورة تفاعل القبلة الأولى بما يحدث في أطرافها تفاعل القلب مع أطراف الجسد .

وللأحداث التاريخية الحاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين مجال خصب ما أكثر ما استحث من خلالها عزائم المؤمنين ، واستنهض باعادة ذكرها للأذهان غيرة الأجيال المسلمة لبعث الحاضر .

ان خطب الشيخ الخياط بالمسجد الحرام على مدى السنين الماضية مدرسة متميزة في الخطابة المنبرية المعاصرة في منهجها وأفكارها وأسلوبها وطريقة إلقائه المبدعة التي تكسوها نبرات الصدق والإيمان والصراحة والإخلاص ، وقد أوجدت على طول ذلك المدى تياراً إيمانياً ، ووعياً دينياً صادقاً بين أفراد المجتمع .

إن غياب هذه القيادة الدينية الموهوبة عن الخطابة بالمسجد الحرام يترك فراغاً إجتماعياً كبيراً يفتقده المجتمع في مسيرة الحياة ، وفي هذه الآونة التي نحن فيها أحوج ما نكون إلى أمثالها .

سيظل فضيلة الشيخ الخياط وان غاب عن منبر المسجد الحرام حاضراً في ذاكرة الأجيال الوفية وصفحات التاريخ ، مثلاً حياً لعالم الشريعة المتجرد ، ونموذجاً متميزاً من الخطباء ، نسأل الله المولى الكريم أن يجزيه بكل كلمة مخلصة خير الجزاء ، وأن يمن عليه بدوام العافية ليستمر منه العطاء[1] .أهـ

---

(١) أجاب على هذا فضيلة الشيخ عبد الله خياط في كلمة بعنوان والكلمة الطيبة صدقة - في عكاظ العدد ٦٧٢١ يوم الثلاثاء ١٣ صفر ١٤٠٥هـ .

محبته لزملائه وتواضعه لمعلميه :

وفضيلة الشيخ المحبوب ممن آتاهم الله علماً وحلماً على مقام كبير من الأدب الراقي وسمو الأخلاق والتواضع الجم ، محب للخير ، داعٍ إليه ، ذو رقة وإحساس ، مجبول على المحبة لكل الناس وخاصة من أسدى إليه معروفاً كمشائخه الكرام الذين تلقى عنهم ودرس عليهم وزملائه الأحبة في مجال طلب العلم في المسجد الحرام أو في المدارس كالفخرية والراقيه والمعهد العلمي السعودي .

إستمع إليه وهو يَذْكُر أحد زملائه في الدراسة وسترى أن فضيلة الشيخ ذو فطرة إيمانية وروح إحسانية يحب الخير له ولغيره ويتنافس على حصوله ، بحب ووئام وصفاء والتئام وأخوة صادقة ومحبة فائقة .

يقول فضيلته عن أحد زملاء دراسته فضيلة الشيخ إبراهيم يوسف خان : (لم تكن صلتي بفضيلته صلة عابرة بل كانت طويلة مديدة منذ عهد الدراسة في المدرسة الفخرية عندما كنا نحفظ القرآن الكريم على الشيخ حسن عرب يرحمه الله فكنت وفضيلته كمن يستبق حلبة سباق فمرة أكون المجلى فيها وأخرى يكتب له السبق ، فلا يحمل أحدنا للآخر ضغينة لسبقه ، بل يهنئه أو يعزيه لو خازه الحظ حتى أنتهينا من حفظ القرآن الكريم في أقصر فترة) .

ثم استمع معي إلى فضيلة الشيخ وهو يذكر أحد أصحابه وأحبابه وإخوانه في الله يتضح لك مدى صفاء سريرته وصدقه واخلاصه في محبته عسى أن

ننتفع وإياك أيها القارئ للتخلق بهذه الأخلاق والإتصاف بهذه الصفات التي هي صفات الكُمل من الرجال الذين أرتقوا في المحبة أعلى مقام وأفخم حال .

يقول فضيلته عن أحد أحبابه وابن أحد مشائخه فضيلة الشيخ عبد الرحمن ابن فضيلة الشيخ المحدث مظهر حسين :

(عرفت الشيخ عبد الرحمن كصديق ومحب وأخ في الله ، والأخوة في الله لها أثرها وقيمتها فهي فوق كل نسب وأغلا من كل رابطة تربط الناس في دنياهم و لقد عشت معه دهراً ومحبتنا في الله لم تصب بالوهن كشأن العلاقات التي تكون لغرض دنيوي وتنتهي بانتهائه . لقد كان له من الفضل بعد الله أن كان أول من وجهني لطريقة السلف معتقداً ومذهباً ، إذ أهداني كتباً في العقيدة والسنة كانت بالنسبة لي فاتحة عهد جديد عكفت عليها فخرجت من قراءتها أسلك مسلك السلف الصالح رضوان الله عليهم . ثم خصص لي دراسة على والده المحدث الشهير الشيخ مظهر حسين فقرأت عليه في الحديث فترة من الزمن وثقت صلتي بالسنة فكنت أتحدث فيها عن علم وخبرة ، وكان رحمه الله مثال الرجل المخلص الأمين في عمله ولدولته ولأمته .

أما الروح الدينية فلقد كانت الطابع الذي يتسم به فلا تراه إلا بين المصلين والطائفين تطبيقاً للعلم بالعمل وهو ملحوظ في مسلكه يعرفه عنه كل من أمتزج به أو عاشره وأتصل به) .

بهذه الروح الأخوية يذكر فضيلة الشيخ عبد الله خياط زملاء دراسته

وأصدقائه وأحبته يرعى ودهم ويحفظ عهدهم وينسب الفضل إليهم ، ولا يذكر له منّةً عليهم ، يدعو لهم ويترحم عليهم، فلله دره من وفّي صادق ، قام بواجب الأخوة خير قيام وذكر محاسن أحبته واخوته للخاص والعام .

هذا شأنه مع الرفقاء والزملاء فكيف حاله مع الشيوخ والعلماء، استمع إليه معي وهو يذكر فضل بعض مشائخه ومدرسيه وأنهم سبب الحال الذي هو فيه . من فقه في السنة وحصيلة علمية جعلته يستنم في العلم أعلى مراتبه ومراقيه.

يقول فضيلة الشيخ عبد الله خياط عن شيخه المحدث القدير العلامة الشيخ مظهر حسين الأنصاري .

(إنه من علماء الحديث المشهورين المعدودين في مكة المكرمة في الماضي أنشأ مدرسة وأخرج للمجتمع جيلاً . كان يعني بعلوم الحديث ، ويأخذ بسنة خير الورى ، لا يقدم عليها قول أحد مهما علا كعبه ، وارتفع مقامه في العلم.

لقد فتح باب داره ليغشاه الطلبة فليس العلم مقصوراً على المدارس والمعاهد والجامعات بل الأجر على اشاعته في أي بقعة من بقاع الدنيا وأي مركز من مراكز التثقيف يغشى الطلبة داره أفراداً وجماعات ليفيدوا من علمه وفضله وزهده وكنت أحد الطلبة الذين كانت لهم الحظوة بالتلقي عليه فقرأت عليه في الحديث فترة من الزمن وثقت صلتي بالسنة فكنت أتحدث فيها عن علم وخبرة.

درست عليه كتاب بلوغ المرام وشرحه سبل السلام فكان يشبع الطالب شرحاً وبسطاً لمدلول الحديث ويذكر أقوال العلماء ويجمع بين المتعارض فيخرج الطالب إلى المجتمع بحصيلة علمية وركيزة تجعله في طليعة من يؤخذ بقوله ويمتد ببسطه لمسائل العلم وذلك بفضل الله ثم ببركة إخلاص الشيخ مظهر حسين رحمه الله ، فقد تحلى رحمه الله بخصال كثيرة وكانت شخصيته من طراز نادر) أهـ .

نعم هذا هو خُلق شيخنا المفضال فضيلة الشيخ عبد الله خياط ينسب الفضل لذويه ويرد المعروف لصانعيه ، ذكرت لك أخي القاريء نموذجاً من نماذج حبه ووفائه لمشائخه ومعلميه وإلا فشيخنا كله حب ووفاء وبذلك يشهد له الأوفياء من المشائخ والزملاء .

نشاطه العلمي :

آثاره العلمية وتوجيهاته التربوية :

ولفضيلة الشيخ عبد الله خياط جهد كبير ملموس ونشاط باهر محسوس في مسيرة التعليم في هذا البلد العزيز .

فإسهاماته في تطوير كلية الشريعة بمكة المكرمة وإسهاماته في تطوير مناهج التعليم العالي ، وإشرافه على لجان ووضع ودراسة أسئلة اختبارات المعاهد العلمية ودار التوحيد وكلية الشريعة وجهوده في هذا المجال بارزة كثيرة تثبت أنه من أفاضل الرجال وخيرة أهل هذا الحال .

مؤلفاته :

ومن مؤلفاته الكثيرة القيمة التي أنتفع بها كثير من طلبة العلم في هذه البلاد وغيرها من البلدان الواسعة .

كتاب : الخطب في المسجد الحرام

كتاب : مبادئ السيرة النبوية

كتاب : ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه

كتاب : التفسير الميسر

كتاب : حكم وأحكام من السيرة النبوية

كتاب : اعتقاد السلف

كتاب : الفضائل الثلاث

كتاب : دليل المسلم

كتاب : الرواد الثلاثة

كتاب : صحائف مطوية

كتاب : تأملات في دروب الحق والباطل

ولفضيلته مشاركات فعالة في عملية التوعية الإسلامية عن طريق العديد من المقالات التي ينشرها في الصحف والمجلات أو عن طريق الأحاديث الإذاعية .

عضوياته في الهيئات العلمية واللجان الإسلامية :

ولسماحته أيضاً مشاركات فعالة في نفع الأمة فهو عضو في هيئة كبار العلماء بالمملكة منذ إنشائها .

وكذلك عضو اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي .

وعضو لجنة جائزة الدولة التقديرية للبحوث والدراسات الإسلامية منذ تأسيسها .

ثنـاء العلمـاء عليـه :

سماحة شيخنا المحبوب له شعبية كبيرة ومحبة في قلوب محبيه أكيدة .

ولقـد عـبـر عـن هذه المحـبـة للشـيخ الفـاضل نيـابة عن أهل مكة المكرمـة الأفـاضل، نـادي مكة الثـقـافي أحد قـلاع العلم ومنابر المعـرفـة بمكة ، سـاحـة ادبائهـا وملتقى فضلائها فقـام النادي بجـهـد وعناية ورعـاية معـالي رئيسـه الدكـتـور راشـد مدير جامـعـة أم القـرى آنذاك بتـوجيـه الدعـوة لكبـار الأدباء والفضلاء من أهل أم القرى لحضور حفل التكريم لسماحة الشيخ الجليل ولقد حضر حشد كبير ضاقت به ساحة النادي واعتلى المنصة معالي الدكتور راشد وصفوة من رجال التربيـة والتعليم في أم القرى منهم معـالي الدكـتـور محـمد عبده يماني والشيخ إبراهيم فوده والأستاذ أحمد محمد جمال والأستاذ مصطفى عطار ودار الميكروفون بينهم بالتناوب للتحدث عن مآثر سماحة شيخنا المفضال وآثاره العلمية والتربوية .

فمما قيل في هذا الحفل التكريمي نختصر لكم ما يلي :

بدأ معـالي رئيس النادي بتلاوة نبذة يسيرة عن شخصيـة الشيخ ومناصبه فقال :

(في هذه الأمسية المباركة يتحدث رجال لهم وزنهم العلمي والثقافي والأدبي في مكة المكرمة عن رجل خدم العلم وخدم المعرفة وخدم العقيدة فسماحة والدنا الشـيخ عـلم من أعـلام هذا الدين خدم العلم وخـدم التـربيـة وواكب نهـضـتـهـا

التعليمية منذ بدايتها تخرج على يديه كثير من طلاب العلم النابهين .

ولد في مكة المكرمة وتلقى تعليمه الابتدائي بها كما تلقى تعليمه المتوسط والثانوي بالمعهد العلمي السعودي ثم تلقى تعليمه أيضاً على أيدي بعض علماء المسجد الحرام .

بدأ الخدمة مديراً لمدرسة حارة الباب الابتدائية ثم مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض .

مديراً لمدرسة دار الحديث .

مستشاراً لوزارة المعارف بمكة المكرمة . فمديراً للإدارة العامة للتعليم .

عميداً لكلية الشريعة بالوكالة .

عضو هيئة كبار العلماء .

إماماً وخطيباً للمسجد الحرام

عضو في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي) . أهـ

من كلمة الشيخ إبراهيم فوده

بعد أن حمد الله وصلى على رسول الله : قال :

(إن الشيخ عبد الله عبد الغني خياط أشهر من أن يُعَرّف وفي غنى عن التعريف ، ذلك أنه أولاً إمام المسجد الحرام ومن في مكة المكرمة لا يعرف إمام المسجد الحرام .

ومَنْ مِنْ الوافدين المترددين على مكة من أبناء المملكة لا يعرف أمام

المسجد الحرام ؟ وكثير من الوافدين إلى هذه البلد المقدسة من الحجاج والمعتمرين يعرفون إمام المسجد الحرام .

فإذا كان لابد من كلمة عن هذا الجانب شهادة معاصر فإنني أشهد أنه كان من أجلّ الخطباء في يوم الجمعة اختياراً للموضوع وأداء له في أسلوب رقيق لطيف هين لين .

وكان من أجمل أصوات الأئمة في المسجد الحرام يحمل صوته الاحساس بالمعنى ويحمل صوته رنه فيها عذوبة وفيها حنان وهو بعد ذلك بكاءً بُكاءً صادقاً لا مفتعلاً .

يذكرنا بالسلف الصالح ابتدآءً من الصديق إلى غيره من الصالحين ، وأنا لا أعقد مقارنة بين الصديق وبين أي أحد من بعد ولكن على طريقة التخلق . تخلق الأصغر بأخلاق الأكبر ، أورد هذا المثال .

ثم من في طلبة العلم في مملكتنا الواسعة لا يعرف الشيخ عبد الله خياط وهو صاحب المؤلفات العديدة المقرر دراستها عليهم في كافة مراحل التعليم الابتدائية والاعدادية والثانوية ثم مَنْ مِنْ المثقفين لا يعرف الشيخ عبد الله خياط وقد أمضى عمره كله في وزارة المعارف وانتهى المطاف به إلى مستشار وزارة المعارف ولكنه عاش في التعليم حياة طويلة ذكرها معالي أخي الدكتور راشد الراجح ثم مَنْ مِنْ المسئولين لا يعرف الشيخ عبد الله خياط وقد كان استاذاً لكبارهم حين كان مديراً لمعهد انجال الملك عبد العزيز .

فصغارنا يعرفه ومتوسطونا يعرفه وزملاؤه يعرفونه وكبراؤنا يعرفونه فليس في حاجة إلى تعريف .

لكن إذا كان لابد من شهادة معاصر فإنني أشهد أن الشيخ عبد الله خياط كان من العلماء العاملين وكان من أكثر الناس زهداً وورعاً وكان في إغراءات الحياة الدنيا من الزاهدين ، وأعلم من شئون هذا مايعلمه الكثير منكم وأعلم من شئون هذا ما لا يعلمه الكثير ، وما كل ما يعلم يقال ولكن أشهد أنه كانَ في عُليا المناصب من الزاهدين فتحية إليه ودعاء إلى الله له بتمام العافية وان يجزل الله له ثوابه في الدنيا والآخرة وآن يسره ويديم سروره بهؤلاء الأنجال البررة النابغين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أهـ .

من كلمة الدكتور محمد عبده يماني :

(قبل أن أبدأ بحديثي أود أن أؤدي أمانة أؤتمنت عليها هذا الصباح، فقد طلبني أخي صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز في منزله وأبلغني رسالة شفوية لكم جميعاً يقول فيها أنه يسعدني أن أساهم معكم الليلة في تكريم هذا العالم الجليل المربي الفاضل الوالد استاذنا الشيخ عبد الله خياط .

وفي تكريمكم له شيء يمثلنا جميعاً نحن اللذين درسنا على يديه .

هذا الرجل الذي يعتبر بحق عملٌ طيب وصالح .

جزاه الله عنا خير الجزاء وعن كل الأجيال التي تربت على يديه تربيةً أو وعظاً أو إرشاداً أو قدوة حسنة فقد كان بالفعل قدوة حسنة لنا جميعاً أرجو في

هذه الأمسية أن تعتبروني معكم في هذا اللقاء أُحيي استاذنا فضيلة الشيخ الوالد المربي الكريم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذه رسالة أخي سمو الأمير ماجد بن عبد العزيز يُحيي فيها فضيلة استاذنا الشيخ عبد الله خياط .

ولكني أود في هذه المناسبة أن أقول إنني على الرغم من أنني ما تشرفت بالدراسة على يديه في المراحل الابتدائية ولا حتى الثانوية ولكن شاء الله ان نتتلمذ جميعاً على يديه . عالم جليل وفقيه وواعظ كريم أخذ بأيدينا في تلك الخطب الرائعة المختصرة المركزة الجميلة في المسجد الحرام حيث كنا نتهافت على سماع مثل هذه الخطب والتي تمثل بالفعل ما يجب أن يكون عليه خطباؤنا اليوم من إيصال رسالة مبسطة دقيقة تخرج فيها من خطبة فضيلة الشيخ وأنت على حصيلة طيبة دون أن يثقل عليك وبتخفيف وبروح عالية جداً يخاطب فيها العقول ويلمس فيها القلوب مما يدل على ان الله سبحانه وتعالى قد أكرمه بهذا القبول لما يتمتع به من نية صالحة فقد كان رجلاً يألف ويؤلف أطال الله في عمره ومنحه الصحة والعافية .

والشيخ قدوة حسنة لما يجب أن يكون عليه الداعية ولما يجب أن يكون عليه المربي الفاضل .

فقد كان دائماً يتجنب أي فحش من القول أو أي غلظة بل كان كتلة من الأخلاق السامية الطيبة تتحرك على الأرض يبتسم للناس ويحي صغيرهم

وكبيرهم وهذه نعمة من نعم الله عز وجل على استاذنا الشيخ .

لقد فرحنا نحن هنا في مكة ونحن نتربى على مثل هذا الخُلُقْ كيف لا وقضية الأخلاق عند العلماء شيء عظيم وخصوصاً إذا ارتبطت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد وصفه الله بأفضل ما وصف : (وانك لعلى خلق عظيم) .

فالحمد لله الذي أكرمنا بمثل هؤلاء الرجال اللذين أخذوا بأيدينا وكانوا قدوة حسنة ونبراساً أضاء لنا الطريق .

أسأل الله أن يمد في عمره ويجزيه خير الجزاء ويختم له بخاتمة الخير ويبارك في أبنائه من بعده ويوفقنا إلى إكمال رسالة أمثال هؤلاء المربين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أهـ .

من كلمة الأستاذ أحمد جمال الداعية الإسلامي المعروف والأستاذ بجامعة أم القرى : قال : بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله

عرفت استاذي الفاضل الشيخ عبد الله خياط خلال دراستي الابتدائية في مدرسة الطائف كان فضيلته مديراً للمدرسة السعودية في الطائف وكنت أحد تلامذتها في تلك الفترة عرفته استاذاً جليلاً ومدرساً حبيباً مؤثراً على طلابه الصغار في المرحلة الابتدائية .

ثم عرفته أماماً في المسجد الحرام عندما كان يصلي بنا التراويح في رمضان وكان الإمام الأول الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله كان يصلي أبو

السمح رحمه الله عشراً من التراويح وكان الشيخ عبد الله خياط يصلي العشر الثانية وكنت أصلي التراويح خلفه في مقام الحنفي ، كان هناك أربع مقامات في مكة كما تذكرون في المسجد الحرام .

فتأثرت بتلاوته الرقيقة المؤثرة فحفظت القرآن وقد كتبت في مقدمة كتابي القصص الرمزي في القرآن أن الشيخ عبد الله خياط كان المؤثر الأول لدفعي إلى حفظ القرآن الكريم لأنني كنت استمع إليه وهو يقرأ في صلاة التراويح وكان المؤثر الثاني لدراسة القرآن أو لحفزي على دراسة القرآن السيد علوي مالكي حيث كان يدرس في المسجد الحرام مادة التفسير فكان الشيخ عبد الله خياط المؤثر لحفظ القرآن وكان السيد علوي مالكي المؤثر لدراسة القرآن ، جزاهما الله عني خير الجزاء أعظم الذكريات وأحلاها في أيام الصبا والدراسة والشباب .

الشيخ عبد الله خياط اسبغ الله عليه ثوب العافية عالم جليل وفي مقدمة أعلام رجال التربية والتعليم في بلادنا منذ تخرج من المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٠هـ ، عُين مدرساً ثم مديراً لبعض المدارس الابتدائية ثم مارس بعد ذلك التدريس في عدة مدارس ومعاهد ومن ذلك معهد الانجال في الرياض وقد قرأت من ذكرياته خلال قيامه بالتدريس في معهد الانجال وإدارته لهذا المعهد انه عندما قدّم لجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله شهادات أبنائه في نهاية السنة الدراسية أن الملك عبد العزيز أخذ الشهادات منه ووضعها جانباً وقال له ياشيخ

عبد الله المهم أن يعملوا بما تعلموا فكان موقفاً عظيماً من الملك عبد العزيز ان يرجوا أن يعمل أبنائه بما تعلموا .

ثم مارس فضيلته وظيفة مستشار لوزارة المعارف كما مارس عضوية هيئة كبار العلماء في المملكة ومما يذكر من فضله وتقواه وزهده وورعه أنه لم يتقاضى أو تنازل عن مكافأة الإمامة والخطابة في المسجد الحرام أداها ابتغاء وجه الله .

كما أنه تنازل عن مكافأة تسجيله للقرآن الكريم في المصحف لم يتقاضى كما تقاضى غيره المكافأة السخية على هذا التسجيل .

الاستاذ الشيخ عبد الله خياط اسبغ الله عليه ثوب العافية رقيق الحاشيه لطيف الحديث مع محبيه ومع طلابه ومع رفاقه ، من يجلس إليه يستأنس به ويحس كأنه يعيش مع صديق قديم أو مع والد أو مع استاذ مربي لذلك كنت أتلقى منه كثيراً من الرسائل وكثيراً من الأحاديث وكنت أزوره في مكتبه كمستشار لوزارة المعارف وكنت أجد منه العطف الكثير والتوجيه الكريم ومن هنا أجد نفسي أنني رافقته منذ كنت صبياً في المرحلة الابتدائية إلى ما قبل سنوات معدودة لم أفارق الشيخ اما مستمعاً لتلاوته القرآن الكريم بالمسجد الحرام أو لخطبته في المسجد الحرام أؤ لمقالاته في المجلات والصحف السعودية أو زائراً له ومستمعاً إلى حديثه أو متلقياً لبعض توجيهاته ورسائله .

وبعـد ..

فالشيخ عبد الله خياط عالم جليل وفي مقدمة رجال التربية والتعليم في بلادنا وله فضل كبير وأثر عظيم في التوجيه التعليمي والتربوي ويجب أن لا ننساه وأن نذكره دائماً ونشكره وندعوا له بالجزاء الحسن وأن يمده الله بالعافية والصحة ، وأن يجعل ابناءه قرة عين له وأن يوفقهم لأن يكون والدهم قدوة لهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أهـ .

من كلمة الأستاذ مصطفى عطار مدير التعليم بمكة سابقا :

بعد أن حمد الله وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

سماحة الشيخ عبد الله خياط، نريد أن نتكلم عنه بإيجاز كخطيب للمسجد الحرام ، لأن هذا الأمر أمرٌ خطير جداً أن يجتمع أناس وفي حرم الله يخطب فيهم عالم داعية يلزم لها آداب كثيرة التزمها فضيلته حفظه الله وأمده بالصحة والعافية .

فالشيخ عبد الله هو إمام المسجد الحرام وخطيبه المفوه الموفق الذي أدرك قدسية عملة وجلال موقفه ، أدرك حفظه الله وأثابه على كل أعماله انه حامل ميراث النبوة وأنه يقف خطيباً في أقدس بقعة على وجه الأرض ، الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرة صحابته ومشيختهم يهتدي بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمتثل أدبه وسننه وشفقته بأمته فكانت خطبه

تنزل برداً وسلاماً على أفئدة المؤمنين آمين الحرم المكي الشريف ، لما فيها من فقه وتشريع وإيجاز ووحدة موضوع وبلاغة في التعبير وعفة في اللسان وإبتعاد عن مواضيع الخلاف تجنباً لإيغار الصدور أو تعكير النفوس وطلباً لسماحتها وصفائها .

يكمل كل ذلك أنه أثابه الله كان يحرص في صلاة الجمعة ان يختار الآيات الكريمة المتصلة بموضوع الخطبة ليكون تأثيرها أقوى وأحرى بأن تثبت الموعظة في العقول وتفعل فعلها في النفوس المؤمنة .

يُزَيِّنْ كل ذلك تلاوة مباركة بصوت شجي طري من فصيح أخآذ مما جعل ولاة الأمر في هذا البلد يحرصون على أن يظل في الإمامة إلى ماشاء الله ولولا اعتلال صحته وآلام ركبتيه ورجليه لما أعفي ولما أعفي هو حفظه الله نفسه من هذا الواجب المقدس والشرف الرفيع .

كيف وقد رأيناه حينما كانت السيول تجتاح الحرم الشريف مخلفة الأوحال والصخور يشق طريقه إلى المنبر ليخطب الناس ويؤمهم لصلاة الجمعة وكان يقدم من الطائف من طريقه الوعر القديم للخطابة والصلاة بالناس .

وكانت بدايه حفظه تنبي عما سيؤل إليه حاله فمنذ نعومة أظافره وهو يشق طريقه للدرس والتحصيل على المشائخ والعلماء ولذلك انضم إلى المدرسة الفخرية العثمانية ولقسم الحفاظ يحفظ القرآن الكريم مجوداً ولما تم له ذلك اختارته المدرسة نفسها ليدرس فيها .

ولما فتح الملك عبد العزيز رحمه الله المعهد العلمي السعودي انضم إليه

وتخرج في المعهد العلمي السعودي وكُلّفْ بتدريس مادة القرآن الكريم بالمعهد نفسه وكان من خطباء المعهد المفوهين في الحفلات العامة ، وعند زيارة نائب الملك عبد العزيز في الحجاز سمو الأمير فيصل الملك رحمه الله .

وفي ختام كلمتي هذه أذكر بعض أفكار الشيخ وفلسفته الإصلاحية المنبثقة من اسرار التشريع ومقوماته الخلقية والتي طبقها على نفسه قدر طاقته البشرية ، فسماحته يؤكد على دور مكارم الأخلاق في بناء الحضارة الإسلامية وكيان البشرية المسلمة شامخاً متنامياً فيقول : (وما الدين في مجموعه وتشريعاته سوى الخُلق الرفيع في أجَلّ صوره فالعبادات كلها كما قال بعض العلماء وان كانت متباينة في جوهرها ومظهرها ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالصلاة والصيام والزكاة والحج وما أشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام هي مدارج الكمال المنشود ورافد الطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها ولهذه السجايا الكريمة التي ترتبط بها أو تنشأ عنها أعطيت منزلة كبيرة في دين الله وهذا التأكيد على آثار مكارم الأخلاق وجماعها على حياة المسلمين ومنع عدوان الأعداء عليهم بشتى صنوف الأسلحة المعروفة وغير المعروفة والحروب المعلنة وغير المعلنة ، والتي تتخذ أشكالاً وألواناً متعددة) .

نقول أن سماحته أو ان تأكيد سماحته على ذلك جعله يهتبل كل مناسبة ليكتب سلسلة من الأحاديث للإذاعة كسلسلة أحاديثه تحت عنوان الحياة الاجتماعية في الإسلام يختار من لئلائها لتضيء حياة المسلم ومقالاته الرائعة في مجلة الحج من أكثر من ثلاثين عاماً وكذلك أحاديثه الأسبوعية في جريدة عكاظ الغراء لمدة تزيد على عشرة سنوات اختار لها عنواناً يدلل على منحاه واحداثه ومشاركته الصحفية العنوان على دروب الخير ، إضائة على طريق التوعية الإسلامية يجسد فيها اخلاقيات الإسلام ودور الدعاة في ترسيخ مفاهيمه النيرة لتضمن مجتمعاً متراحماً يحسن الظن ويقيل العثرات .

وأخيراً ان اسلوبه الطري الذي يمتاز بالديباجة المشرقة ووضوح العبارة وسلاسة العرض وزخم الفكرة وعمق الثقافة وسعة الاطلاع في كتب الأمهات تلحظها بوضوح في مؤلفاته القيمة مثل : حكم وأحكام . في السيرة النبوية التي لا يكتفي بعرض للأحداث والمواقف ومراعاة التسلسل التاريخي بل أنه حفظه الله لغيرته المتضرمة وحماسه الديني ، وكونه داعية ثقه فإنه يجول ويصول في المؤلفات التي تتصل بالموضوع ويدفع أيةُ شبه بأدب الدعاة وعلم العلماء مبتعداً عن أي تجريح أو اعتساف على الآخرين وكذلك في كتابه في الرواد الثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارس الإسلام ورامية سعد بن أبي وقاص . ومصعب بن عمير أول مبعوث للنبي صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة .

وأبو هريرة وعاء العلم الزاخر رضي الله تعالى عنهم .

وبعد أيها الأخوة الكرام ، لا أجد ما أصف به سماحة الوالد الشيخ ، التي امتدت استحي أن أقول زمالتي بل إمتدت تلمذتي عليه أكثر من ثلاثين عاماً تتلمذت عليه في كل أدوار حياتي ، بارك الله فيه وأطال عمره ، وإنني لخصت هذه الكلمات القصيرة (في وصف سماحته):

صدق في الحديث ، واستقامة في السلوك ، زهد وورع نادران ، تواضع يزري بكل صفات البساطة والسماحة والدماثة علم غزير حكمة في الدعوة استقطاب للخلق ، تجميع للقلوب وتأليف للنفوس ، بكاءً بالقرآن ، أماراً بالمعروف ، نهآيُ عن المنكر ، يغار على المحارم ، يقف عند حدود الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) . أهـ

من كلمة الأستاذ / سهل المطرفي مدير التعليم بمكة المكرمة سابقاً

بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إنها فرصة سعيدة تتاح لي لأتحدث عن بعض المواقف التي أتاحها عملي بإدارة التعليم منذ عام ١٣٩٨هـ وهذا هو التأريخ الذي عرفت فيه الشيخ عن قرب ، وقد كنت دائم التردد عليه في مكتبه للسلام أولاً وللإستفادة من خبراته التربوية الطويلة والمتنوعة . والحقيقة أنني سمعت منه واستفدت منه الشيء الكثير .

ولكنني سأركز في هذه العجالة على بعض ما عرفت منه وهو ما يتعلق بمساهماته في مسيرة التعليم في هذا البلد العزيز منذ أن كان عضواً في مجلس المعارف عندما أسسها خادم الحرمين الشريفين عام ١٣٧٣هـ وقد تعددت تلك المساهمات ومن أهمها :

أولاً : الاسهام في تطوير إدارة كلية الشريعة بمكة المكرمة والتي كانت يومها تابعة لوزارة المعارف .

ومن أبرز ما عرفته حول هذا الموضوع هو تطبيقه للمرة الأولى نظام قاعات المحاضرات والعناية بالمكتبة وتعيين عميد لها باعتبارها أهم معالم الثقافة . ووضع مناهج علمية مرسومة للإسترشاد بها إضافة إلى أنه ظل يشارك في رسم مناهجها حتى بعد أن أنتقل منها .

ثانياً : الإسهام في تطوير مناهج التعليم ونورد على سبيل المثال استبداله لكتاب كشف الشبهات الذي كان مقرراً على الصف السادس بكتاب لمعة الاعتقاد ، ورفع كشف الشبهات إلى المراحل الثانوية . وكذلك إستبداله كتاب أخصر المختصرات في الفقه الذي كان مقرراً على المراحل الابتدائية بكتاب دليل الطالب ورفع كتاب عمدة الفقه إلى المراحل الثانوية .

وشمل التطوير جميع مناهج التربية الإسلامية كذلك .

ثالثاً : الإشراف على لجان ووضع ودراسة أسئلة ونظام الاختبارات في مواقع متعددة مثل : اختبارات المعاهد العلمية ، ودار التوحيد ، وكلية الشريعة . وكانت له جهود بارزة ومثبته في هذا المجال . هذا قليل من كثير) أهـ .

وبعد .. هذه بعض نفحات ونفثات جاشت بصدور الرجال فعبروا عنها باللسان في هذا الحفل البهيج الذي حضره الجمع الكثير من الوجهاء والأعيان وطلبة العلم وكانت ليلة مشهودة تجلى فيها أحد أبناء الشيخ بإلقاء كلمة والده فأسر الحضور بتمكنه من اللغة مع أن تخصصه في الطب مما جعل معالي رئيس النادي يعبر عن هذا بقوله : لقد أجاد الطبيب وتمكن من فن الإلقاء غاية الإجادة والتمكن وكأنه قد تخصص في اللغة لا في الطب .

وبالفعل هذا ما حصل ولكن هذا لا يستغرب ممن له أبٌ كفضيلة الشيخ عبد الله خياط .

وبعد ..ففضيلة الشيخ عبد الله خياط الحديث عنه لا يُمَلّ فهو ممن كانوا على مقام كبير في التقوى وصالح العمل ، آثاره كثيرة ومنافعه عديدة .

أدركته في آخر خُطَبه في المسجد الحرام . وكنت أحافظ على حضور الجمعة في الحرم المكي الشريف ، أستمتع كغيري وأستفيد أعظم الفائدة من خطبه المفيدة تعلقت بخطبه وألزمت نفسي بحبه فكنت أنتظر تحت المنبر عندما كان المنبر في صحن المسجد الحرام خلف مقام سيدنا إبراهيم وأتشرف بالسلام على فضيلته بعد إنتهاء الصلاة ، وظل الحال كذلك حى انتقل المنبر تحت المكبرية جهة باب الصفا ، فكنت أجيء إليه بعد إنتهاء الصلاة للتشرف بالسلام عليه برفقة أخي الفاضل الأستاذ عبد الرحمن شفيع ، الذي كان يحظى بمحبة الشيخ ويزوره في داره ويستمتع بالجلوس معه والاستفادة منه .

نعم كان هذا حالي مع فضيلته حباً له في القلب أكيد وشوق إليه وإلى خطبه الرائعة كل أسبوع في مزيد ، حتى اعتزل الخطابة واعتذر عنها .

ولكنني لم أحرم من مشاهدته والإستمتاع برؤيته حيث كنت أحظى برؤيته في المسجد الحرام مصلياً خاصة في صلاة المغرب والعشاء بباب الملك عبد العزيز فأتشرف بالسلام عليه وسؤاله الدعاء فيرد عليّ بابتسامته المعهودة وألفاظه المألوفة ما تُسر به نفسي وتُقَرُ به عيني فينشرح صدري ويزداد سروري وفرحي حيث قد حظيت بهذا من فضيلة إمام وخطيب المسجد الحرام الرجل الصالح العالم العامل فضيلة الشيخ عبد الله خياط .

لقد كان يجلس عند مدخل باب الملك عبد العزيز بالمسجد الحرام بين المغرب والعشاء يتلو القرآن بتدبر وإمعان حتى يؤدي صلاة العشاء جماعة مع المصلين مأموماً ، ظل كذلك حتى الزمه المرض الفراش فلم يستطع أن يصل للمسجد الحرام بجسده ولكنه بالروح معلقاً بالكعبة وجنباتها مشتاقاً لها ولساحاتها ، وأخيراً حان لهذا الفارس أن يترجل وعن هذه الدنيا بأسرها يرحل فلبى نداء ربه وانتقل لجوار حبه راضياً مرضيا بمكة المكرمة عام ١٤١٥هـ رحمه الله رحمة الأبرار .

نعته الصحف والمجلات وكتب عنه كبار العلماء والأدباء ، رحمه الله تعالى رحمه واسعه .

مراجع ترجمة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط

ترجمة لفضيلته بقلمه ضمن بعض مؤلفاته وكتبه .

جريدة عكاظ الأعداد ٦٧١٤، ٦٧٢٨ ، ٦٧٣٥

شريط كاست عن حفل تكريم الشيخ عبد الله خياط في نادي مكة الثقافي.

فضيلة الشيخ / عبد الله الخليفي

إمام و خطيب المسجد الحرام

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخليفي

الولادة : ولد في منطقة القصيم بمدينة البكيرية عام ١٣٤٣هـ .

المنشأ : نشأ وترعرع في مدينة البكيرية في بيئة دينية صالحة محافظة على تعاليم الإسلام . حيث كان والده شيخاً جليلاً وإماماً لأحد مساجد البكيرية وكان جده الشيخ عبد الله شيخاً جليلاً وعالماً كبيراً وقاضياً بمدينة البكيرية .

هذه البيئة الدينية والعلمية أثرت أثراً كبيراً على نشأة فضيلة الشيخ عبد الله فقد كان والده حريصاً كل الحرص على تربيته تربية دينية .

حفظ الشيخ عبد الله القرآن الكريم على يد والده الجليل الشيخ محمد الخليفي وله من العمر حوالي سبعة عشر عاماً .

طلب العلم في بداية نشأته على يد والده الشيخ محمد الخليفي .

وممن طلب العلم على أيديهم أيضاً الشيخ محمد بن مقبل والشيخ عبد العزيز بن سبيل وسماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ والشيخ سعد وقاص البخاري العالم في التجويد .

وفضيلة شيخنا المحبوب عبد الله الخليفي جمع بين الدراسة الحديثة بمدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة إضافة إلى حلقات العلم على أيدي المشائخ السالف ذكرهم .

عمل في بداية حياته إماماً لأحد مساجد مدينة البكيريه إحدى مدن القصيم، وبعد ذلك بفترة طلبه الملك فيصل رحمه الله ليكون إماماً عنده ، بعد ذلك أشار الملك فيصل رحمه الله بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام وذلك عام ١٣٧٣هـ .

فباشر فضيلته وظيفته الجديدة ومهمته الكبيرة إماماً وخطيباً في المسجد الحرام وظل كذلك حتى وافاه الأجل وهو قائم بعمله خير قيام .

ومن زملاءه في الإمامة في أول تعيينه كل من الشيخ عبد المهيمن أبو السمح والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة.

وفضيلة الشيخ عبد الله من كبار المربيين فلقد اشتغل بالتدريس والإدارة منذ عام ١٣٧٣هـ وكان آخرها مدير مدرسة حراء الابتدائية بمكة المكرمة ، وفضيلة شيخنا المحبوب الشيخ عبد الله الخليفي شيخ وقور عليه سمة الصالحين تعلوه المهابة وتحفه السكينة متواضعاً محبوباً ، دمث الأخلاق ، جميل الألفاظ ، رقيق الاحساس ، بكاً بالقرآن تغلبه العبرة ، شديد التأثر .

يَبْكِي ويُبْكِي ، تشهد له جناب المسجد الحرام كم بكى وكم أبكى فيها من أنفس مؤمنة وأرواح طاهرة .

ولفضيلة شيخنا المحبوب مشاركات كثيرة في مجال الإرشاد والتوعية العامة والتأليف وذلك من خلال أحاديثه المذاعة اسبوعياً تحت عنوان دروس من الفقه الإسلامي .

وكتاباته في الصحف منها مقال اسبوعي ينشر في جريدة عكاظ الغراء .

ومن مؤلفاته المباركة :

١ - إرشاد المسترشد إلى المقدم في مذهب أحمد .

٢ - القول المبين في رد مبدع المبتدعين .

٣ - المسائل النافعه .

٤ - فضل الإسلام .

٥ - الثقافة العامة .

٦ - خطب الجمع في المسجد الحرام .

٧ - أدب الإسلام .

٨ - التربية الإسلامية .

٩ - دواء القلوب .

١٠ - المعاملات الربوية .

١١ - مناسك الحج .

هذه بعض مؤلفاته نفع الله بها ، ثمرة جهده . وبعد حياة حافلة بمزيد من بذل العلوم ونشر التعليم والدعوة والإرشاد وعموم الفائدة التي كان يبثها للمسلمين من خلال خطبه ومواعظه أو بين دفتي كتبه ودروسه الإذاعية ، حان لهذا القمر المضيء ونوره الساري أن يتوارى عن الأنظار ويوسد الثرى فأستجاب لنداء ربه وودع الدنيا بأسرها ولحق بالرفيق الأعلى .

نعم لقد توفى إلى رحمة الله تعالى وأنتقل إلى جوار ربه يوم الأثنين الموافق ٢٨ من شهر صفر لسنة ١٤١٤هـ وصلى عليه بالمسجد الحرام عند باب الكعبة المشرفة وتحت أعتابها في مكان طالما صلى بالناس إماماً فيه وها هو الآن محمول على الأعناق لا تكاد أطراف الأصابع تلحق بالنعش من شدة الزحام حيث قد توافد كثير من طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم والوجهاء والأعيان يتقدمهم كوكبة من الأمراء . صلى عليه رفيقه وزميله سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لإدارة الحرمين ، ثم خرجت الجنازة في حشد عظيم حتى وصلت مقابر العدل قُرب جبل النور وهناك صلى عليه مرة أخرى مَن لم يتمكن من حضور صلاة الجنازة في المسجد الحرام ثم غُيب ذلك الجسد الطاهر تحت أطباق الثرى ووقف على قبره عامة الناس وأئمتهم يتقدمهم سمو الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود وعدد كبير من العلماء يسألون الله تعالى أن يثبته عند السؤال .

رحم الله شيخنا الفقيد وجعل قبره روضة من رياض الجنة .

وممن رثاه فضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم إمام وخطيب المسجد الحرام بقصيدة منها :

ذهب الصفا وحال دون بقائه خطب جليل ثار كالبركان
ينعي بذاك إمامنا وخطيبنا نعياً أسيفاً حل كالطوفان
ذاك الخليفي الذي كمدت له ني أرض مكة عصبة الإيمان

ومنها :

فـــالله نســـأل أن يثـــيب إمـــامنا بحـــبـــوحـــة في جنة الرضـــوان
وكـــذا زواج الحـــور في جناته بل نظرة في الواحـــد الديان
وصـــلاة ربي دائمـــاً وســـلامـــه للمـــصطفى الطيب الأردان [1]

ومما يجدرذِكْرُهُ ولا يحق لنا أن نتجاهله ونغفله أن فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الخليفي إمام وخطيب المسجد الحرام ، رحمه الله ، هو أول من جمع المصلين على صلاة التهجد آخر الليل في العشر الأواخر من رمضان خلف إمام المسجد الحرام فبدأها رحمه الله بعدد يسير من المصلين في حصوة باب السلام جهة بئر زمزم فتزايد العدد يوم بعد يوم وكَثُرت الصفوف من صف إلى صفين إلى ثلاثه، وهكذا بدأ يتزايد عدد المصلين ويكثر توافدهم للصلاة خلف فضيلته وازداد عددهم عام بعد عام وظل كذلك رحمه الله حتى أصبح من يصليها خلفه بالآلاف ثم شاركه فيها باقي الأئمة واستمرت تقام هذه الصلاة في العشر الأواخر من رمضان كل عام حتى وقتنا الحاضر يصليها مئات الألوف من المقيمين والوافدين خلف أئمة الحرم المكي الرسميين ، جعل الله ذلك في ميزان حسناته .

(١) تاريخ القضاة في العهد السعودي - ص ٤/١٧٢ - للشيخ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني .

فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشعلان [1]

إمام وخطيب المسجد الحرام

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله شعلان

ولد رحمه الله عام ١٣٢٨هـ

قرأ القرآن على كل من الشيخين الجليلين شكر بن حسين وعلي بن محمد الشامي وقرأ الفقه والتوحيد ومختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الشيخ حمود الحسيني الشغدلي والشيخ عبد الله الصالح الخليفي والشيخ عيسى بن حمود المهوس .

كما قرأ أيضاً التوحيد والفقه والتفسير على الشيخ أحمد المرشدي وقرأ النحو والحديث والمصطلح على كل من الشيخين الفاضلين محمد زاهد الداغستاني والحميدي بن عبد العزيز بن رديعان بخيبر .

ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٠هـ فقرأ في الحرم الشريف على الشيخ محمد بن مانع والشيخ عبد العزيز بن رشيد ثم التحق بدار التوحيد وقرأ على اساتذتها وتخرج منها عام ١٣٧١هـ ، والتحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة فقرأ على اساتذتها وتخرج منها عام ١٣٧٥هـ وبعد ذلك مباشرة تولى رئاسة المستعجلة الأولى بمكة المكرمة .

---

(١) نقلنا هذه الترجمة من كتاب زهر الخمائل في تراجم علماء حائل لفضيلة الشيخ علي بن محمد الهندي ص ٢٨ طبع عام ١٣٨٠هـ .

كما تولى إمامة مسجد الحلقة ثم نُقل إلى إمامة وخطابة مسجد الجميزا بأعلى مكة .

كان عاقل لبيباً متديناً فيه زهد وورع عقد في مسجده المذكور درساً حافلاً بالمستمعين وانتفع بدرسه كثير من الناس محبوباً عند أهالي تلك المنطقة لوعظه تأثير ولنطقه بالقرآن حلاوة .أهـ.

يقول صاحب كتاب «تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي» ص ١٩١/٤ .

ولد الشيخ عبد الرحمن الشعلان عام ١٣٣٤هـ وتحصل الشيخ الشعلان على الماجستير في القضاء وتولى قضاء المستعجلة بمكة وتدرج في مجال القضاء حتى أصبح رئيساً للمحكمة المستعجلة بمكة برتبة قاضي تمييز ، وكان فضيلته إماماً وخطيباً للمسجد الحرام ، وكان قبلها إماماً لمسجد الجميزا ، ودَرّس في هذا المسجد القرآن الكريم والتجويد والفقه والنحو والصرف والتوحيد . أهـ

هذا ما تيسر لي الحصول عليه عن فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشعلان وقد أدركته آخر حياته وصليت خلفه في المسجد الحرام كان يؤم المصلين في صلاة الظهر جهوري الصوت فيه تواضع جم وحب للفقراء والمساكين .

وفي آخر أيامه اعتزل الإمامة وألزمه المرض الفراش فصبر واحتسب حتى فاز بحسن المنقلب حيث منّ الله تعالى عليه فلقي وجه ربه في مكة المكرمة وهو صابر محتسب في شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٧هـ رحمه الله تعالى وعوضه الجنه .

الخاتمـــة

نسأل الله تعالى حسنها

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه . وبعد ..

في ختام بحثنا هذا الذي استعرضنا فيه وإياكم بعض الصفحات عن المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز ونماذج من سير وحياة بعض الأئمة والخطباء ورؤساء الإشراف الديني بالمسجد الحرام منذ عهد الملك عبد العزيز (يرحمه الله) وتخلل ذلك بعض الأسطر عن المسجد الحرام في قلوب المحبين وما له من الخصائص والمزايا وما فيه من الآثار ، وددت التذكير لنفسي وإخوتي بأن هذه الرحاب الطاهرة والأماكن المقدسة التي هي مهوىً للأرواح والأفئدة ، ينبغي لكل زائر لها أو مقيم بها أن يلتزم الأداب وينتهج المنهج الصواب ويتحلى بصفات المتقين ويتبع سبيل الصادقين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ «سورة التوبة - آية ١١٩» .

اللذين جاهدوا أنفسهم وطهروا قلوبهم وتأهلوا لمناجاة الحق جل في علاه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ « العنكبوت آية ٦٩» .

فطهر آخي فؤادك من أدرانه ، واشتغل بتقويمه وصلاحه، ففي صلاحه صلاح سائر الجوارح والأعضاء، ولا يكون صلاحه إلا بملازمة المراقبة ودوام المحاسبة فكن حذراً متيقظاً، فإن النفس والشيطان والهوى يوردان المرء موارد الردى

تذكرت أياماً مضت ولياليا خَلت فَجرت من ذكرهن دموع

فهنيئاً لمن اجتهد في محاسبة نفسه ومجاهدتها والسير نحو الصراط المستقيم .

نعم ..

من سعادة المرء أن يشغل نفسه في هذه الرحاب بالطاعة والاجتناب عن المعصية يسعى جاهداً في كمال المتابعة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم قياماً بالواجبات وتقرباً بالنوافل وسمواً في الأخلاق ورفعة في الأقوال والأفعال ، وقوفاً عند حدود الله وبُعداً عن محارم الله ، متطهراً ظاهراً وباطناً ، مُزيّناً باطنه للذي يعلم السر وأخفى ، ليكون مؤهلاً لمناجاة الحق جل في علاه ، الذي لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر للقلوب كُن كهؤلاء تَفُزْ دنيا واخرى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ «سورة الزمر - آية ٢٠» .

واغنم الوقت في هذه الأماكن المقدسة فإن الأماكن متفاوتة وفي هذه الرحاب الحسنات مضاعفة ، سلك الله بنا وبكم نهج الصالحين ورزقنا وإياكم إستقامة الصادقين الذين حق لهم أن يفرحوا ببشارة :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾

«سورة التوبة آية ٢١» .

أبو محمد الشريف عبد الله منسي العبدلي

عصر يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رمضان المبارك

من سنة الف واربعمائة وتسعة عشر من الهجرة النبوية

المراجـــــع

١ - القرآن الكريم .

٢ - المعجم المفهرس . محمد فؤاد عبد الباقي

٣ - صحيح الإمام البخاري .

٤ - صحيح الإمام مسلم .

٥ - سنن الإمام أبو داود .

٦ - سنن الإمام الترمذي .

٧ - سنن الإمام ابن ماجة .

٨ - تاريخ عمارة المسجد الحرام . للشيخ حسين عبد الله باسلامه

٩ - تاريخ الكعبة المعظمة . للشيخ حسين عبد الله باسلامه

١٠ - التاريخ القويم لمكة والبيت الكريم . للشيخ محمد طاهر الكردي المكي

١١ - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز . لخير الدين الزركلي

١٢ - جزيرة العرب في القرن العشرين . لحافظ وهبه

١٣ - قلب الجزيرة . لفؤاد حمزة

١٤ - تاريخ مكة . لأحمد السباعي

١٥ - مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري . لمحمد عمر رفيع

١٦ - في رحاب البيت الحرام. لفضيلة الدكتور السيد محمد علوي المالكي الحسني

١٧ - قصة التوسعة الكبرى . لحامد عباس . الناشر مجموعة بن لادن السعودية

١٨ - الاعـلام . لخير الدين الزركلي

١٩ - نثر الدرر في تذييل نظم الدرر (مصور) للشيخ عبد الله غازي المكي .

١٠ - مشاهير علماء نجد وغيرهم . للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

٢١ - روضة الناظرين عن مآثر نجد وحوادث السنين .
للشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي بعنيزة .

٢٢ - فيصل العظيم . لأمين سعيد

٢٣ - زهر الخمائل في تراجم علماء حائل للشيخ على بن محمد الهندي

٢٤ - أعلام أرض النبوة. لأنس يعقوب الكتبي الحسني

٢٥ - تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي .
للشيخ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني .

٢٦ - رجال من مكة . الجزء الثالث . لزهير جميل الكتبي

٢٧ - أعداد من جريدة أم القرى .

٢٨ - أعادا من جريدة عكاظ .

٢٩ - أعداد من جريدة البلاد .

فهـــرس المحتـــويات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
توطئـــة	٨
تمهيـد	١٥
الفصـل الأول المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وأبنائه الكرام	٢١
المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وأبنائه الكرام	٢٣
المسجد الحرام وتوسعاته السعودية	٢٥
المسجد الحرام عبر التاريخ	٢٥
الترميمات والإصلاحات في أواخر العهد العثماني وعهد الحسين بن علي	٢٨
تسقيف المسعى في العهد السعودي	٣٢
التوسعات السعودية	٣٥
المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية الأولى	٤٠
أهداف التوسعة السعودية الأولى ونتائجها	٤١
توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز	٤٣

١٠ - مشاهير علماء نجد وغيرهم . للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ
٢١ - روضة الناظرين عن مآثر نجد وحوادث السنين .
للشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي بعنيزة .
٢٢ - فيصل العظيم . لأمين سعيد
٢٣ - زهر الخمائل في تراجم علماء حائل للشيخ على بن محمد الهندي
٢٤ - أعلام أرض النبوة. لأنس يعقوب الكتبي الحسني
٢٥ - تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي .
للشيخ عبد الله بن محمد بن عايض الزهراني .
٢٦ - رجال من مكة . الجزء الثالث . لزهير جميل الكتبي
٢٧ - أعداد من جريدة أم القرى .
٢٨ - أعادا من جريدة عكاظ .
٢٩ - أعداد من جريدة البلاد .

فهـــرس المحتـــويات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
توطئـــة	٨
تمهيـــد	١٥
الفصـل الأول المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وأبنائه الكرام	٢١
المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز وأبنائه الكرام	٢٣
المسجد الحرام وتوسعاته السعودية	٢٥
المسجد الحرام عبر التاريخ	٢٥
الترميمات والإصلاحات في أواخر العهد العثماني وعهد الحسين بن علي	٢٨
تسقيف المسعى في العهد السعودي	٣٢
التوسعات السعودية	٣٥
المسجد الحرام قبل التوسعة السعودية الأولى	٤٠
أهداف التوسعة السعودية الأولى ونتائجها	٤١
توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز	٤٣

الموضـــوع	الصفحة
الإشراف الديني على المسجد الحرام منذ عهد جلالة الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الملك فهد .	٤٤
الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام .	٤٦
الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .	٤٩
ترجمة ذاتيه لسماحة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للإشراف الديني	٥٣
ترجمة مختصرة لسماحة الشيخ ناصر بن حمد الراشد الرئيس العام لشئون الحرمين الشريفين	٥٨
ترجمة ذاتيه لسماحة الشيخ سليمان بن عبيد الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .	٦٢
ترجمه ذاتيه لسماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .	٦٦
الفصل الثاني المسجد الحرام في قلوب المحبين .	٧١
المسجد الحرام في قلوب المحبين .	٧٤
طـــلائع الـــزوار .	٨٢
أيهـــا المقبـــل مرحـــا .	٨٤

الموضـــوع	الصفحة
تأثير الحرم في نفس المسلم .	٨٦
الفصل الثالث المسجد الحرام وما له من الخصائص وما فيه من الآثار .	٩٣
تعريف شامل بمعنى المسجد الحرام .	٩٦
المسجد الحرام في القرآن الكريم .	٩٨
الكعبة المشرفة .	١٠٠
الكعبة ومراحل البناء .	١٠١
الكعبة الغراء في قلوب المؤمنين الأتقياء .	١٠٢
فضل النظر إلى الكعبة المشرفة .	١٠٧
فضل الطواف حول الكعبة المشرفة .	١٠٩ ١٢١
الحجر الأسود .	١
الركن اليماني .	١١٥
الملتزم .	١١٦
حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام .	١١٩
مقام إبراهيم	١٢٠
زمزم .	١٢١

الموضـــوع	الصفحة
من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء .	١٢٥
المسجد الحرام وحلقات دروسه العلمية .	١٢٧
الفصل الرابع المسجد الحرام وأئمته الكرام .	١٣٩
الإمامة والإمام والخطابة والخطيب .	١٤١
الصلاة ومكانتها .	١٤٥
الإمامة وأهميتها .	١٤٧
الخطابة وخطورتها .	١٤٩
تراجم أئمة وخطباء المسجد الحرام	
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ .	١٥٣
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح .	١٦٣
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ محمد نور الكتبي .	١٨٣
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة	١٨٧
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ	١٩٥
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد المهيمن أبو السمح	٢٠٠
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط	٢٠٢
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد الله الخليفي	٢٣٣

الموضـــوع	الصفحة
ترجمة ذاتية لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الشعلان	٢٣٨
الخـــاتمـــة	٢٤٠
المراجـــع	٢٤٣
الفهـــرس	٢٤٥

مطابع الصفا

ALSAFA
PRINTERS

مطابع الصفا مكة المكرمة ت : ٥٥٦٢٨١٠

في هذا الكتاب

تجد نبذة موجزة عن الإشراف الديني على المسجد الحرام منذ عهد الملك عبد العزيز حتى عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز .

كما تطالع في هذه الصفحات ترجمة مختصرة لبعض من ولاهم ولي الأمر رئاسة الإشراف الديني والرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي .

وفي ختام هذه الصفحات ترجمة ذاتية لأصحاب الفضيلة أئمة وخطباء المسجد الحرام بَدأً من أول إمام عينه الملك عبد العزيز يرحمه الله .

يتخلل ذلك صفحات يسيرة عن المسجد الحرام في قلوب المحبين وما له من الخصائص وما فيه من الآثار .

من أقوال الأئمة في الملك عبد العزيز

(جئت للحج عام ١٣٤٤هـ برفقه أخي في الله محمود أفندي منصور ، ونزلنا في ضيافة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، واجتمعت بجلالته غير مرة، ولقينا منه كل حفاوة وإكرام ، وعندما أردت الإنصراف إلى بلدي عرض عليَّ جلالته أن أبقى فاعتذرت ووعدت بالعودة .)

محمد عبد الظاهر أبو السمح

إمام و خطيب المسجد الحرام

« نثر الدرر في تذييل نظم الدرر»

(وفي عام ١٣٤٤هـ حضرت للحج وتشرفت بلقاء جلالة الملك عبد العزيز آل سعود برفقه شيخنا السيد محمد رشيد رضا والشيخ عبد الظاهر أبي السمح والأديب المرحوم محمود علي منصور الاسكندراني والشيخ أبي زيد الدمنهوري وغيرهم ونزلنا بضيافته ووصلنا ببره ومعروفه .)

محمد عبد الرزاق حمزة

إمام و خطيب المسجد الحرام

« نثر الدرر في تذييل نظم الدرر»

(يرحم الله الملك عبد العزيز رحمة واسعه في منازل البررة من عباده والمقربين إليه .

لقد أمضيت في الرياض سبعة عشر عاما في رحاب ملك كريم أكرمني يرحمه الله لذلك ما برحت أبكي عليه كل لحظة عشتها في رحابه وكل فترة قدر لي أن أنعم بها في ظلاله لم يكن تقديره في السر بل كان علنا وفي مجلسه الحافل بأفاضل الرجال شهد ذلك كل أنجاله وعجب منه الكثير من أولي المكانة ممن يعيش في الرياض ، والفضل من أصوله لا يستغرب .)

عبد الله عبد الغني خياط

إمام و خطيب المسجد الحرام

عكاظ ١٤٠٥/٣/١٢هـ

0 15

ردمك : ١ - ٦٦٧ - ٣٥ - ٩٩٦٠

مطابع الصفا - مكة ٥٥٦٢٨١٠